كارِن بلومنتال

ستيف جوبز

والقصة المدهشة لمؤسس أبل

ترجمة عبد المقصود عبد الكريم

ستيف جوبز والقصة المدهشة لمؤسس أبل

تأليف
كارِن بلومنتال

ترجمة
عبد المقصود عبد الكريم

هنـــداوي

ستيف جوبز والقصة المدهشة لمؤسس أبل

Steve Jobs

كارِن بلومنتال

Karen Blumenthal

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ويندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٠ ٣٦٥٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر أصل هذا الكتاب باللغة الإنجليزية عام ٢٠١٢.
صدرت هذه الترجمة عام ٢٠١٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للسيد الدكتور عبد المقصود عبد الكريم.

المحتويات

مقدمة	١٣
الجزء الأول: الرحلة هي المكافأة	١٧
١- البذور	١٩
٢- وز	٢٥
٣- عفاريت التلفون	٣١
٤- الكلية	٣٩
٥- البحث	٤٥
٦- أبل	٥١
٧- الجراح	٥٩
٨- أبل ٢	٦٧
٩- ثراء	٧٥
١٠- القراصنة	٨٣
١١- سكلي	٩٥
الجزء الثاني: الفنانون الحقيقيون ينطلقون	١٠٥
١٢- نيكست (NeXT)	١٠٧
١٣- الأسرة	١١٧
١٤- سليوود	١٢٧
١٥- العودة	١٣٥
١٦- مختلفان	١٤١

١٧- التحول ١٤٩
١٨- الموسيقى ١٥٩

الجزء الثالث: وشيء آخر ١٦٩
١٩- السرطان ١٧١
٢٠- الخلاص ١٧٩
٢١- الحياة ١٨٩
٢٢- الإرث ١٩٩
ابقَ جائعًا ابقَ أحمق ٢٠٣
كلمة المؤلفة ٢١١
ببلوجرافيا ٢١٣
الكتب والمقالات ٢١٧
مراجع الصفحات الإلكترونية ٢٢١
حقوق الصور ٢٢٣

إلى براد

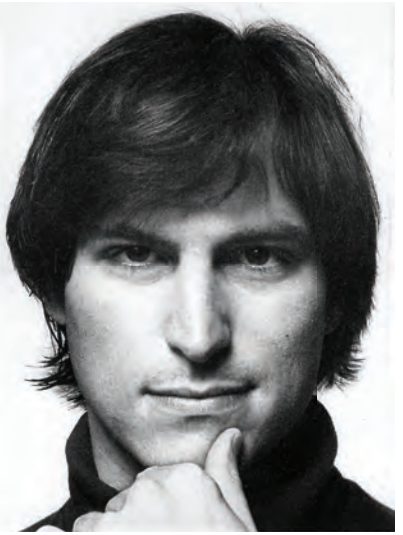

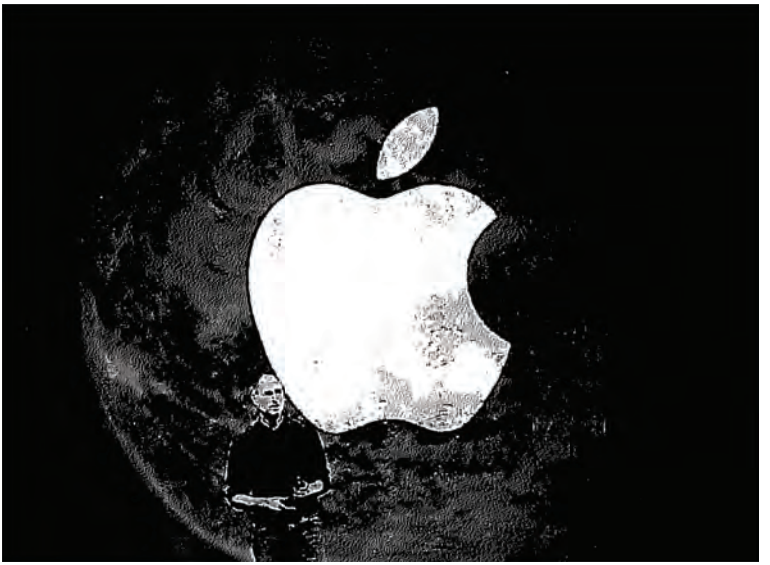

مقدمة

ثلاث قصص

في يوم دافئ من يونيو ٢٠٠٥م، ذهب ستيف جوبز إلى حفل تخرجه الأول؛ كمتحدث في الحفل. لم يكن الملياردير مؤسس شركة أبل للكمبيوتر وقائدها مجرد رجل أعمال مغرور. كان هذا الرجل، الذي لم يكمل دراسته الجامعية، نجمًا من نجوم التكنولوجيا وأسطورة حية في نظر الملايين حول العالم، مع أنه لا يزال في الخمسين.

عرَّف جوبز في أوائل العشرينيات من عمره — وبمفرده تقريبًا — العالم بأول كمبيوتر يمكن أن تضعه على طاولة ويستطيع تنفيذ عمليات بنفسه. كما أحدث ثورة في الموسيقى، وفي آذان جيل بأكمله، بجهازٍ موسيقي صغير وأنيق يُسمَّى «آيبود»، ومختارات واسعة من الأغاني في متجر «الآيتونز». قام جوبز بتمويل ورعاية شركة تُدعى «بكسار»، والتي أنتجت بعض أروع أفلام الرسوم المتحركة المصممة بالكمبيوتر، مثل فيلم «حكاية لعبة»، و«سيارات»، و«البحث عن نيمو»؛ حيث بثت الحياة في الشخصيات الخيالية على الشاشة بشكل غير مسبوق.

وعلى الرغم من أن جوبز لم يكن مهندسًا أو مهووسًا بالكمبيوتر، فقد ساعد في ابتكار منتجات شديدة الرواج واحدًا تلو الآخر. وكان دائمًا ما يضعني أنا وأنت — المستخدمين الفعليين — نُصب عينيه في أثناء التصميم. ولم يكن الذين يستمعون إليه في ذلك اليوم يعرفون أن هناك تكنولوجيا أخرى تفوق روعتُها التصور قيد التنفيذ، متضمنة «الآيفون» الذي يضع قدرات الكمبيوتر جُلها بين راحة يديك. وكثيرًا ما قورن «والد الأربعة» بالمخترع

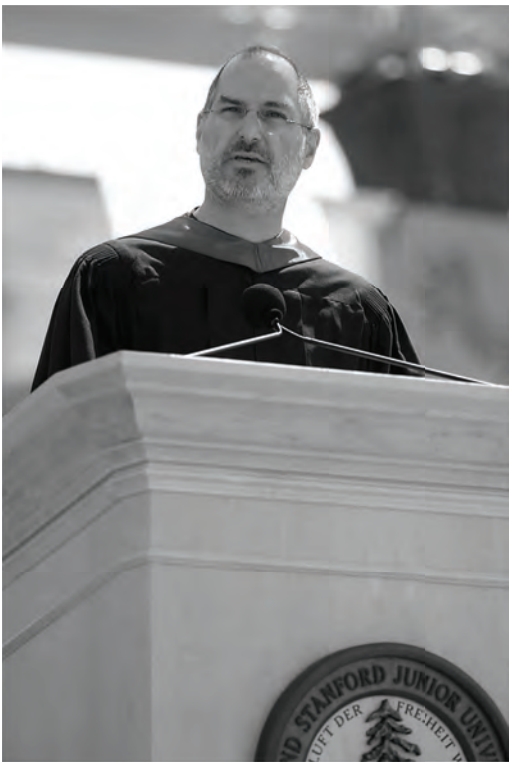

توماس إديسون وقطب السيارات هنري فورد، اللذين قدَّما مخترعات معقولة الأسعار غيرت حياة الناس.

تعرض جوبز وعلى الرغم من كل نجاحاته لبعض الإخفاقات أيضًا على مسمع ومرأى الكثيرين. عندما كان في الثلاثين من عمره، جرد من مهامه في أبل بسبب كونه مشوشًا وصعب المراس. عقد العزم بعد ذلك على بناء شركة أخرى للكمبيوتر، ولكن لم تأتِ الرياح بما تشتهي السفن، حيث بدد ملايين الدولارات من أموال المستثمرين. كان متقلبًا، وكان يصرخ في أوجه زملائه ومنافسيه والصحفيين. وقد كان يبكي أحيانًا حين لا تسير الأمور كما يريد، وكثيرًا ما نسب إلى نفسه أفكار الآخرين. كان يمكنه أن يكون ساحرًا وجارحًا في آن، كما كان حساسًا وفظًّا بشكل يدعو إلى الاستغراب.

تبدو أجزاء من حياته أشبه بحكايات الأفلام الخيالية مثل: الوعد الذي قُطع وهو طفل رضيع، والقصص الرومانسية، والنهوض من بعد العثرات الكبيرة، وثروة تفوق كل تصور. وعلى النقيض، كانت هناك أجزاء أخرى ظهر فيها التشوش والقبح؛ مثله مثل أي إنسان عادي. كان محبوبًا ومكروهًا، مثيرًا للإعجاب ومرفوضًا. وصفه الناس بأقوى الكلمات وأكثرها تعبيرًا: صاحب الرؤية، المخرج الاستعراضي، الفنان، الطاغية، العبقري، الأحمق.

تقدم جوبز، مرتديًا الجينز الأزرق ومنتعلًا صندلًا تحت روب التخرج، إلى الميكروفون بطريقته المعهودة؛ بعزم وشغف. في كلمة قصيرة أمام ثلاثة وعشرين ألفًا من الطلاب والآباء والأصدقاء المجتمعين، شاركهم في رؤاه الشخصية لحياته. قال: «أود أن أحكي لكم اليوم ثلاث قصص من حياتي.»

ثلاث قصص فقط، لا أكثر، رسمت حياة مدهشة وقدمت دليلًا مصمَّمًا لأناس في بداية حياتهم كراشدين. حتى نفهم من كان ستيف جوبز ومن أصبح. من المفيد أن نبدأ من تلك النقطة: أولى القصص الثلاث.

الجزء الأول

الرحلة هي المكافأة

الفصل الأول

البذور

تضمنت أولى قصص ستيف جوبز قطع أحجية، وبدأت بوعدٍ غريب.

كانت «جوان شيبل» طالبة الدراسات العليا في ولاية ويسكونسن في الثالثة والعشرين من عمرها عندما اكتشفت أنها حامل. لم يوافق أبوها على علاقتها بطالب دراسات عليا سوري المولد. وكانت التقاليد الاجتماعية في خمسينيات القرن الماضي في أمريكا تستنكر أن تنجب امرأة من دون زواج. ولتجنب الفضيحة، انتقلت «شيبل» إلى سان فرانسيسكو وذهبت إلى طبيب يرعى الأمهات غير المتزوجات ويساعد على ترتيب إجراءات التبني.

في البداية، وافق محامٍ وزوجته على تبني الرضيع، لكن حين ولد الطفل في ٢٤ فبراير ١٩٥٥م، غيَّرا رأيهما.

كان الزوجان المتواضعان «بول وكلارا جوبز» في انتظار طفل، وهما زوجان من سان فرانسيسكو، حاصلان على بعض التعليم الثانوي. وحين جاءت المكالمة المنتظرة في منتصف الليل، اغتنما فرصة تبني الوليد على الفور، وأسمياه «ستيفن بول».

كانت «شيبل» تريد أن يتبنى طفلها أبوان من خريجي الجامعة. وقبل إتمام إجراءات التبني علمت «شيبل» أن كلا الأبوين لم يحصل على شهادة جامعية، فأحجمت عن القبول، ولكنها وافقت على إتمام إجراءات التبني بعد ذلك ببضعة أشهر، «حينما قطع والداي وعدًا بأن أذهب إلى الجامعة» وفقًا لجوبز.

متشبثين بأمل المستقبل المشرق لطفلهما، استقر الأبوان جوبز، وتبنيا ابنتهما «باتي» بعد ذلك بعامين. تبين أن ستيف الصغير طفل غريب، وأن تربيته تمثل تحديًا. في إحدى المرات وضع دبوس شعر في مقبس الكهرباء! مما أدى إلى نقله إلى غرفة الطوارئ لاحتراق يده. وفي مرة أخرى تناول سم النمل، وتطلب الأمر نقله إلى المستشفى لغسيل معدته. وحتى يشغلاه في حال استيقظ قبل بقية أهل البيت، اشترى له والداه حصانًا خشبيًّا

ستيف جوبز (أقصى اليسار) مع صديقين من المدرسة في الصف السابع.

هزازًا، ومسجلًا، وبعض تسجيلات المغني «ليتل ريتشارد». كان طفلًا صعب المراس للدرجة التي دعت أمه أن تتساءل إن كانت قد أخطأت بتبنيه.

عندما كان ستيف في الخامسة، نُقل والده بول إلى مدينة بالو ألتو، التي تقع على بُعد حوالي خمسٍ وأربعين دقيقة إلى الجنوب من سان فرانسيسكو. بعد أن خدم في خفر السواحل في الحرب العالمية الثانية، عمل بول ميكانيكيًّا وبائعًا للسيارات المستعملة. أما في ذاك الوقت فقد كان يعمل في شركة أموال لجمع الديون المعدومة، وفي وقت فراغه كان يصلح السيارات المستعملة ويبيعها لتوفير بعض المال اللازم ليلتحق ستيف بالجامعة فيما بعد.

«باتي جوبز». صورة من الكتاب السنوي، ١٩٧٢م.

كانت المنطقة الواقعة جنوب سان فرانسيسكو غير متطورة حينذاك، تنتشر فيها أشجار المشمش والخوخ. اشترت الأسرة منزلًا في «ماونتين فيو». بينما عمل بول على إقامة ورشته في الجراج، ترك جزءًا منها ونادى ابنه: «ستيف! هذه هي طاولتك لتعمل عليها الآن.» علم الأب ستيف كيف يستخدم المطرقة، وأعطاه مجموعة أدوات صغيرة. على مر السنوات، تذكر جوبز والده قائلًا: «كان يقضي وقتًا طويلًا معي ... يعلمني كيف أركِّب بعض الأشياء وأفكها، لأركبها مرة أخرى.»

تركت دقة حرفية والده واهتمامه بأدق التفاصيل أثرًا عميقًا في نفس ستيف. قال عنه جوبز لصحفي في ١٩٨٥م: «كان عبقريًّا في استخدام يديه. يستطيع إصلاح أي شيء ويجعله يعمل، كما يستطيع فك أي آلة وتركيبها مرة أخرى.» وأكد والده أيضًا على أهمية إنجاز الأمور بشكل صحيح. على سبيل المثال، علَّم ابنه: «حين تكون نجارًا يصنع أدراجًا جميلة، لا تستخدم في ظهر الدرج رقائق من الخشب، حتى لو كان هذا الظهر مواجهًا للجدار ولن يراه أحد، سوف تعرف أنه موجود، ولذا عليك أن تستخدم قطعة جميلة من الخشب في الظهر.»

وكان هذا هو الدرس الذي طبقه جوبز كثيرًا على منتجات أبل الجديدة. قال: «حتى تنام مستريحًا في الليل، يجب أن تأخذ الجماليات والجودة مَداها.»

دعمت «كلارا» أيضًا ابنها الصغير، فعملت جليسة لأطفال الأصدقاء في المساء لتوفر له تكاليف دروس السباحة. ولأن ستيف كان مبكر النضج ومهتمًّا، علمته القراءة، مما أعطاه دفعة كبيرة في المدرسة.

لسوء حظ ستيف، صارت معرفته بالقراءة مشكلة. بمجرد التحاقه بالمدرسة، كما يتذكر ستيف: «كنت أود القيام بشيئين فقط: قراءة الكتب؛ لأنني أحب قراءتها، والخروج لمطاردة الفراشات.»

أما ما كان لا يريد فعله، فهو اتباع التعليمات. رفض نظام اليوم الدراسي، وسرعان ما أصابه الوجود في الفصل بالملل. كان يشعر بأنه مختلف عن زملائه.

عندما كان في السادسة أو السابعة، قال لفتاةٍ تسكن في شارعه إنه ابن بالتبني، فسألته: «وهل يعني هذا أن أبويك الحقيقيين لا يريدانك؟»

صدمه السؤال البريء كلكمة في بطنه، وغرس في ذهنه فكرة مرعبة لم يفكر فيها من قبل. جرى إلى المنزل وأخذ ينتحب. قام أبواه بسرعة لتهدئته وإبعاد هذه الفكرة عن ذهنه. وقال ستيف: «كانا جادَّين جدًّا ونظرا في عيني مباشرة، وقالا: اخترناك أنت بالتحديد دونًا عن غيرك.»

في واقع الأمر، كان والداه مؤمنين بأنه متميز جدًّا، متألق بشكل استثنائي، وقوي الإرادة أيضًا بشكل استثنائي. فيما بعدُ، قال أصدقاؤه وزملاؤه إن دافعه وحاجته إلى السيطرة نبعا من إحساسه العميق بالهجر، لكنه لم يرَ الأمر على هذا النحو. قال لكاتب سيرته: «ربما أشعرَتني معرفتي بأنني متبنًّى بالمزيد من الاستقلالية، لكنني لم أشعر قط بالهجر. شعرتُ دائمًا بالتميز. جعلني والداي أشعر بالتميز.»

وعلى النقيض، رأى بعض مدرِّسيه أنه طفل مثير للمشاكل وليس متميزًا. شعر جوبز أن المدرسة مملة وكريهة جدًّا، حتى إن أكبر متعه هو وأحد أصدقائه وقتها كانت تأتي من إحداث الشغب. كان الكثير من الأطفال يذهبون إلى المدرسة بالدراجات، ويربطونها بالأقفال إلى حواجز خارج مدرسة «مونتا لوما» الابتدائية، وفي الصف الثالث تبادل هو ورفيقه أرقام أقفال دراجتيهما مع كثير من الزملاء. وذات يوم، خرجا وبدَّلا أرقام الأقفال كلها. يقول متذكرًا: «استغرقهم الأمر حتى الساعة العاشرة ليلًا لفرز الدراجات كلها.»

وكانت التصرفات الأسوأ على الإطلاق من نصيب مدرِّسته. أطلق جوبز وصديقه ثعبانًا في الفصل وأحدثا انفجارًا تحت مقعدها. وقال فيما بعد: «تسببنا لها في أزمة عصبية.»

طُرد ستيف من المدرسة مرتين أو ثلاثًا لسوء سلوكه، لكنه لا يتذكر أنه عوقب بسبب ذلك، بل على العكس كان والده يدافع عنه، قائلًا للمدرسين: «إذا لم تستطيعوا أن تثيروا اهتمامه فهذا خطؤكم.»

في الصف الرابع أنقذته مدرسة مميزة اسمها «إيموجين» أو «تيدي هيل»، التي أمطرته بعطفها واهتمامها في أثناء إحدى الفترات الصعبة التي مرت بها أسرته. أُعجب «بول جوبز» بنجاح أحد جيرانه في بيع العقارات، فالتحق بمدرسة ليلية ليحصل على رخصة لبيع عقارات، لكن التوقيت كان سيئًا، حيث هبط الطلب على المساكن، بينما كان بول يحاول اقتحام المجال.

وذات يوم سألت السيدة تيدي تلاميذها: ما الذي لا تفهمونه في الكون؟

فرد جوبز الصغير: لا أفهم لم أفلس والدي فجأة!

شغلت «كلارا» وظيفة بدوام نصفي في قسم الرواتب في شركة محلية، وحصلت الأسرة على قرض ثانٍ بضمان المنزل. ولسنة تقريبًا، مرت عائلة جوبز بظروف مادية صعبة جدًّا.

استطاعت السيدة تيدي أن تحجم تلميذها غير العادي خلال بضعة أسابيع من ضمه إلى فصلها. عرضت عليه صفقة ظريفة: إذا استطاع أن يحل تدريبات كتاب الرياضيات بنفسه وأن تكون ٨٠٪ على الأقل من إجاباته صحيحة، فسوف تعطيه خمسة دولارات ومصاصة كبيرة.

يقول جوبز: «نظرت إليها وكأنني أقول: هل أنت مجنونة يا سيدتي؟»

لكنه قبل التحدي، وبعد وقت قصير كان إعجابه واحترامه للسيدة تيدي عظيمًا جدًّا، ولم يعد في حاجة إلى رشاوى.

كان الإعجاب متبادلًا، فزودت تيدي تلميذها الناضج قبل أوانه بعدة لصنع كاميرا، لكن لم يعنِ هذا أن جوبز قد صار طفلًا لين العريكة. بعد ذلك بسنوات طويلة، سلَّت السيدة تيدي بعض زملاء جوبز بعرض صورة لفصلها يوم كان الدرس عن هاواي. كان جوبز وسط الصورة مرتديًا قميصًا ملونًا كالذي يرتدونه في هاواي، لكن الصورة لم تحكِ القصة كلها: في ذلك اليوم لم يأتِ جوبز إلى المدرسة مرتديًا قميص هاواي، لكنه كان قد أقنع أحد زملائه بإعطائه القميص الذي كان يرتديه.

وصف جوبز مُدرسته بأنها: «إحدى الملائكة الذين قابلتهم في حياتي. تعلمت في تلك السنة أكثر مما تعلمت في أي سنة أخرى في المدرسة.»

ويعترف بأن الفضل يعود إليها في انتقاله إلى المسار الصحيح. قال بعد ذلك: «إنني متأكد مائة في المائة أنه لولا السيدة تيدي التي عرفتها في الصف الرابع وبعض الأشخاص الآخرين، لانتهى بي الأمر في السجن بكل تأكيد.»

مع تجدد اهتمام جوبز بالمدرسة وسير أدائه على الطريق الصحيح، تحسَّن مستواه في الاختبارات وارتفعت درجاته بصورة جعلت المسئولين في المدرسة يوصون بأن يتخطى صفين. ووافق والداه على أن يتخطى صفًّا واحدًا فقط.

كانت المدرسة الإعدادية أصعب، وكان ستيف لا يزال راغبًا في مطاردة الفراشات. وُصف في تقرير الصف السادس بأنه «قارئ ممتاز»، لكن أضيفت ملحوظة «أنه يعاني من صعوبة شديدة في تحفيز نفسه أو معرفة الهدف من دراسة القراءة.» وكان أيضًا «غير منضبطٍ أحيانًا.»

كان زملاؤه في الصف السابع أكثر قساوة، وكانت المشاجرات شائعة. ابتز بعض التلاميذ الطفل الضعيف الذي يصغرهم بعام. ابتأس جوبز، وفي منتصف تلك السنة، أنذر والدَيه. ويتذكر والده أن جوبز قال: «إنه إن أُجبر على الذهاب إلى هذه المدرسة فإنه بكل بساطة لن يذهب.»

تعامل والداه مع الأمر بجدية. قال والده: «وهكذا فضلنا الانتقال من هذا المكان.»

جمع والداه القليل الذي كان لديهما واشتريا منزلًا به ثلاث غرف نوم في لوس ألتوس، حيث المدارس ممتازة وآمنة، وافترضا أن ابنهما الموهوب ربما يركز هناك في دراسته. لكن في منتصف ستينيات القرن العشرين، كان الزمن يتغير، وسرعان ما شغلت ذهن جوبز أمور أخرى.

الفصل الثاني

وز

«الزمن ... يتغير.»

«بوب ديلان»

كانت المدرسة الجديدة أفضل حقًّا، وعثر جوبز على أولاد آخرين يشاركونه اهتماماته. وهناك كوَّن صداقات غيرت حياته.

وكان أيضًا محظوظًا لأنه تربى وكبر في وادي سانتا كلارا، وهو مكان مكتظ بالمهندسين والحرفيين الذين أشبعوا رغبته المتنامية للتوسع في مجال الإلكترونيات.

منذ أدرك «بول جوبز» أن ابنه لا يشاركه اهتمامه بالسيارات والأنواع الأخرى من الميكانيكا، أحضر له أدوات إلكترونية ليفكها ويدرسها وهو لا يزال في المدرسة الابتدائية. وعثر ستيف جوبز أيضًا على معلم في حيهم القديم؛ مهندس في شركة «هيوليت باكارد»، اسمه «لاري لانج»، أثار فضول جوبز بميكروفون قديم من الكربون كان قد وضعه في مدخل السيارات في بيته، وكان لا يحتاج إلى مكبر صوت إلكتروني. عرَّف «لانج» الولد على معدات «هيث»، وهي خليط من قطع إلكترونية وتعليمات مفصلة تساعد الهواة في صناعة الراديو وأجهزة أخرى.

تذكر جوبز: «كان ثمنها فعليًّا أغلى من ثمن شراء المنتج النهائي.» لكن ما أثار فضوله هو أن كيفية وضع المعدات معًا جعلته يفهم كيفية عملها، ومنحته الثقة فيما يمكن أن يصنعه. قال جوبز: «لم تعد هذه الأمور غامضة. أقصد حين تنظر إلى جهاز تلفزيون تفكر «لم أصنع جهازًا مثله لكنني أستطيع. هناك واحد منها في كتالوج معدات «هيث»، وقد صنعت جهازين من معدات «هيث»، وبالتالي يمكنني أن أصنع هذا»، كانت توفر مستوًى هائلًا من الثقة بالنفس. ومن خلال الاستكشاف والتعلم، كان بإمكان المرء فهم أشياء تبدو شديدة التعقيد في محيطه.»

حتى بعد انتقال الأسرة، ظل جوبز على اتصال بـ «لانج»، الذي ساعده على الانضمام إلى نادي «هيوليت باكارد» للمستكشفين. وكان جوبز وطلاب آخرون يجتمعون ليلة الثلاثاء في كافتيريا الشركة للاستماع إلى أحاديث المهندسين عن عملهم. وفي إحدى هذه الزيارات رأى جوبز الكمبيوتر المكتبي لأول مرة. وكان حجم الكمبيوتر في ستينيات القرن العشرين يتراوح بين حجم ثلاجة وحجم غرفة، ويحتاج عادة إلى مكيف إضافي لكيلا ترتفع حرارته. وقد طورت شركة «هيوليت باكارد» جهاز (9100A) أول آلة حاسبة مكتبية علمية، في ١٩٦٨م، وتمت الدعاية لها بوصفها «كمبيوترًا شخصيًّا عشرة أضعاف معظم الآلات التي تقوم بحل مسائل العلوم والهندسة.»

قال جوبز: «كان ضخمًا، ربما كان وزنه يبلغ أربعين رطلًا، لكنه كان جميلًا، وقد وقعت في غرامه.»

وجد جوبز، وهو يحاول صناعة عداد التردد المستخدم لقياس نبضات الإشارة الإلكترونية، نقصًا في قطع الغيار التي يحتاج إليها، ومن دون تردد، بحث عن مؤسس «هيوليت باكارد»، «بيل هيوليت»، في دليل التلفون، واتصل به في البيت. تلقى «هيوليت» المكالمة بلطف، وتحدث مع جوبز لعشرين دقيقة. وبنهاية المحادثة كان جوبز قد حصل على قطع الغيار التي يحتاج إليها، بالإضافة إلى عقد للعمل في الصيف. وقضى الصيف على خط الإنتاج، يضع المسامير في عدادات التردد، التي كانت تستخدم في المختبرات والمصانع. وقال متذكرًا: «كنت أشعر كأنني في الجنة.»

وساهم أناس مثل «بيل هيوليت» في جعل وادي سانتا كلارا مكانًا يجذب المهندسين والفنيين المتخصصين. بالإضافة إلى العمليات المتنامية لشركة «هيوليت باكارد» في بالو ألتو، قدم كل من قسم القذائف في شركة «لوكهيد» في سانيفيل، ومركز أبحاث قريب لوكالة «ناسا»، و«فيرتشايلد» لأشباه الموصلات في سان خوسيه، عددًا متزايدًا من الوظائف لذوي الميول التقنية. بالإضافة إلى ذلك، كانت جامعة ستانفورد بالقرب من بالو ألتو وجامعة «كاليفورنيا-بيركلي»، إلى الشمال قليلًا، مركزين نشطين للعلوم والتكنولوجيا.

شهدت سنوات طفولة جوبز حركة سريعة للابتكارات في عالم الإلكترونيات، وهو العلم والتكنولوجيا اللذان يسيطران على التدفق غير المرئي للكهرباء لتشغيل الآلات. وفي أواخر أربعينيات القرن العشرين، ابتكر ثلاثة علماء يعملون في مختبرات «إيه تي آند تي بل» — «جون باردين» و«ولتر براتين» و«وليام شوكلي» — «الترانزستور»؛ وهو أداة صغيرة تستطيع توجيه الإلكترونات وتضخيمها. وكان «الترانزستور» يثبت حول مادة من «أشباه الموصلات»؛ مادة ليست عازلة تمامًا وليست موصلة تمامًا، ترسل التيارات

الكهربية في اتجاه واحد فقط. في ذلك الوقت، أصبح السيليكون المادة شبه الموصلة المفضلة، وعُرفت الأدوات الصغيرة المصنعة منها بأشباه الموصلات أو «الرقائق».

بإحلال «الترانزستور» محل الأنابيب المفرغة الأضخم والأقل موثوقية، صار «الترانزستور» أساس كل الأدوات الإلكترونية، مما سمح للعلماء والمهندسين بصناعة أدوات أصغر باستمرار، مثل راديو «الترانزستور» الذي يوضع في الجيب، والتلفزيون الذي يوضع على الرف، وآلات حاسبة في حجم اليد، وفي النهاية الكمبيوتر الذي يوضع على المكتب.

بينما كانت «هيوليت باكارد» والشركات الأخرى تكبر وتنتقل إلى صناعة أنواع جديدة من الأجهزة، وأشباه الموصلات ومعدات ذات قدرات متنامية، تركها الرجال الطموحون لينشئوا شركاتهم ويتوصلوا إلى مزيد من الابتكارات. كان الأمر، كما قال جوبز بعد ذلك: «يشبه تلك الزهور، أو الأعشاب التي تتناثر بذورها في مئات الجهات حين تنفخ فيها.»

مع هذا النشاط كله والتركيز على الرقائق والدوائر الكهربية، انتقل كثيرون إلى هذه المنطقة. جُرفت البساتين لإفساح المكان للتنمية السكنية، وتضاعف عدد سكان سان خوسيه بين عام ١٩٦٠م وعام ١٩٧٠م، وتضاعف سكان مدينة كوبرتينو القريبة منها أربع مرات. وسرعان ما عُرفت المنطقة بوادي السيليكون.

عند وصول جوبز إلى المرحلة الإعدادية، كان والده يعمل في شركة تصنع أجهزة الليزر للإلكترونيات والمنتجات الطبية. وبدأ جوبز في الاهتمام بهذا أيضًا، وبدأ يصنع أدوات خاصة به بقطع الغيار التي يعثر عليها أو التي يحضرها والده إلى البيت، وكان أحيانًا يشارك بمشاريعه في المدرسة.

أصبح «بيل فرناندز»، زميلُ جوبز في الفصل، صديقه المقرب، حيث عمل معه في مشروع لمسابقة العلوم، كما شاركه اهتماماته الأخرى. على مر السنوات كانا يسيران مسافات طويلة في المساء، متحدثين في مختلف الأمور الجادة؛ من حرب فيتنام إلى النساء، ومن المخدرات إلى الدين (في الواقع، كان جوبز طوال حياته يصارع الأفكار الكبيرة والأمور الصعبة بالحديث عنها في أثناء النزهات الطويلة سيرًا على الأقدام).

ومع ذلك ظل جوبز وفرناندز يقضيان ساعات في مناقشة الأمور الروحانية. يقول فرناندز: «كنا مهتمين بالجانب الروحاني للأمور، والأسئلة الكبيرة: من نحن؟ ما سبب وجودنا؟ ما معنى هذا؟ وكان ستيف هو المتحدث غالبًا ... قد تكون فكرة طرأت على ذهنه وشغفته تفكيرًا، أو كان هناك ما يشغل ذهنه، وكان يتكلم لساعات ونحن نتمشى.»

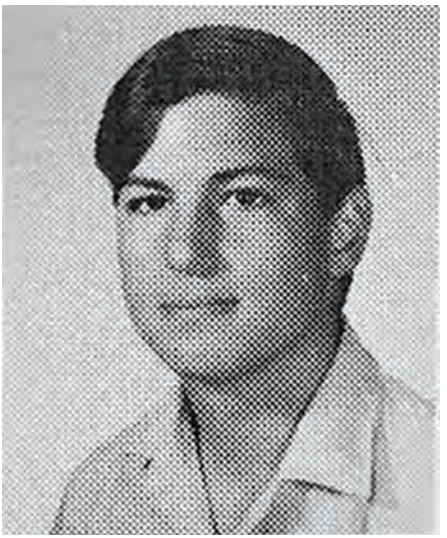

ستيف جوبز. صورة من الكتاب السنوي وهو في الصف الثاني الثانوي، ١٩٧١م.

كانت السنة التي التحق فيها جوبز بالمدرسة الثانوية من أكثر السنوات اضطرابًا في التاريخ الأمريكي الحديث. في أبريل اغتيل القس «مارتن لوثر كنج الابن»، الذي كافح ضد التمييز العنصري بالوسائل السلمية. وبعد ذلك بشهرين، أُطلقت النار على مرشح الرئاسة «روبرت كينيدي» وسقط قتيلًا بعد إلقائه خطابًا في حملته الانتخابية. وتأججت المعارضة ضد الحرب الفيتنامية، وأثار المتظاهرون المعادون للحرب الشغب في المؤتمر القومي للحزب الديمقراطي في شيكاغو.

وفي أثناء ذلك كانت هناك ظاهرة اجتماعية جديدة مثيرة للفضول. في سنة ١٩٦٧م وصفت مجلة «تايم»، في قصتها الرئيسية وعنوانها «الهيبيز»، شبابًا معظمهم من البيض المنتمين إلى الطبقة الوسطى المتعلمة، والذين كانوا «يتركون التعليم»، رافضين الجامعة والمسارات الوظيفية التقليدية للبحث عن الحب والسلام والتنوير — جزئيًّا — من خلال تجريب المخدرات مثل الماريوانا وعقار الهلوسة «إل. إس. دي». حصل «الهيبيز» على لقبهم من كلمة «هيب»، أو «هيبستر» في خمسينيات القرن العشرين، في الفترة التي سميت بفترة «الجيل المهمش». وكان هؤلاء «الهيبيز» يرتدون ملابس بألوان فاقعة، ويستمعون

إلى موسيقى «الأَسِد روك» (Acid Rock) مثل فرقة «جيفرسون إيربلين» (Jefferson Airplane)، وفرقة «جريتفل ديد» (Grateful Dead)، ويطولون شعورهم. وكان مركز الحركة «هايت أشبوري» في سان فرانسيسكو القريبة.

في المقابل، كانت مدرسة «هومستيد» الثانوية، التي التحق بها جوبز في ذلك العام، لا تزال منطقةً كلاسيكية محمية، بدت مباني المدرسة، المشيدة من طابق أو اثنين والمحاطة بأسلاك شائكة، مثل السجن. كان في صف العام الدراسي ١٩٧٢م خمسمائة طالب كلهم من البيض تقريبًا، ولم يكن هناك إلا تلميذان من السود وحفنة من التلاميذ الآسيويين، وكانت القواعد الصارمة لزي المدرسة تتطلب أن يكون شعر الأولاد مقصوصًا فوق الأذن، وكان الجينز الأزرق ممنوعًا، وكان على الأولاد أن يرتدوا بنطلونات قماشية عادية وترتدي البنات تنورات تحت الركبة بحوالي ثلاث بوصات.

وبدا جوبز لزملائه باردًا وجافًّا، وظهر بمظهر الواثق من نفسه، ربما بشكل مبالغ فيه، ولكنه اعتبر أيضًا ذكيًّا وتلميذًا جيدًا جدًّا. يتذكر «كارلتون هو» الذي كان عازف الطبلة في فرقة موسيقية، والذي يشغل الآن وظيفة أستاذ في الهندسة المدنية؛ أنه هو وجوبز أحبطا أحد مدرسي الرياضيات لأنهما كانا يقضيان وقت الحصة وهما يتصفحان قائمة «إدموند ساينتفك» (Edmund Scientific) لهواة الإلكترونيات والعلوم ويناقشان ما يريدان شراءه.

في الصف الثاني الثانوي، بدأ صديق جوبز «بيل فرناندز» يقضي الأمسيات ونهاية الأسبوع في مساعدة جاره ستيف وزنياك في صناعة كمبيوتر صغير في جراج الأخير. كان وزنياك، الأكبر من جوبز بخمس سنوات تقريبًا، والمتقدم عليه في الدراسة بأربع سنوات، تلميذًا نابغة في الرياضيات والعلوم والإلكترونيات في «هومستيد». وعلى الرغم من أن أسرته لم تكن تستطيع تحمُّل نفقات تعليمه، فقد سمح له والداه بقضاء سنة في جامعة كولورادو في بولدير. لكن وزنياك، أو «وز» كما كان يناديه زملاؤه، كان أكثر اهتمامًا بتجريب الكمبيوترات الآلية الكبيرة في الحرم الجامعي، ولعب البريدج في وقت متأخر من الليل. وبنهاية العام، تأثر مستواه في المواد الأخرى، فعاد إلى أسرته والتحق بكلية محلية لمدة سنة لدراسة علوم الكمبيوتر.

ابتعد وزنياك سنة عن الدراسة عندما كان غير متأكد من تجنيده في الخدمة العسكرية في أثناء حرب فيتنام، ومع حاجته إلى مزيد من الأموال للكلية، التحق بشركة للكمبيوتر في وظيفة مبرمج كمبيوتر. (وحينذاك، كان الشباب يُجنَّدون في العشرين طبقًا

لرقمٍ يُعطى لكل منهم وفقًا لتاريخ ميلاده في سحبٍ سنوي. في النهاية، كان الرقم الموافق لتاريخ ميلاد وزنياك مطابقًا للكثيرين غيره وبالتالي تضاءلت احتمالات تجنيده تمامًا.)

بينما كان جوبز وفرناندز شديدَي الاهتمام بالإلكترونيات، كان وزنياك مهووسًا بها. ظل لسنوات يجمع كتيبات تشرح كيفية صناعة الكمبيوترات الصغيرة، النسخة الأصغر من الكمبيوترات الكبيرة، (mainframes) ودرس مكوناتها ووصلاتها. وللتسلية، حاول رسم تصميمات لصناعتها بعدد أقل من قطع الغيار.

كان الكمبيوتر الذي يصنعه وزنياك وفرناندز عاديًّا؛ يتكون من قطع غيار جمعاها من هنا وهناك، ولا تخزن ذاكرته أكثر من ٢٥٦ حرفًا مكتوبًا، أي جملة تقريبًا. كان وزنياك يكتب برامج صغيرة على بطاقات مثقبة تجعل الكمبيوتر يصدر صوتًا كل ثلاث ثوان، أو يقوم بوظيفته بومضات متصلة بواجهته. كان الكمبيوتر بلا لوحة مفاتيح أو شاشة، وكانت ذاكرته أقل من أن تقوم حتى بحسابات بسيطة، لكنه، على الرغم من ذلك، كان يستطيع تشغيل برنامج. وسمَّياه «كمبيوتر كِريم الصودا»، لأنهما شربا الكثير من كريم الصودا وهما يصنعانه (مات الكمبيوتر ميتة مبكرة حين أحدث اندفاع في التيار الكهربي انفجارًا في الدوائر واحترقت).

أدرك فرناندز أن صديقيه يحبان الإلكترونيات والمقالب الفكاهية، وأنهما ينبغي أن يلتقيا. وهكذا قاد جوبز دراجته إليهما ذات يوم. كان وزنياك يغسل سيارته في الشارع حين صاح فرناندز: «يا وز، تعال، لأعرفك على ستيف.»

على الرغم من الفارق السنِّي بينهما، اتفق الاثنان منذ البداية. أثار وزنياك إعجاب جوبز بمعرفته بالإلكترونيات التي فاقت معرفته هو شخصيًّا، وشعر أن نضجه هو وعدم نضج وز جعلا علاقتهما متوازنة. وقدر وزنياك أن: «ستيف فهم الأمر على الفور. أحببته. كان نحيلًا، صلبًا ومفعمًا بالطاقة.»

بدآ يقضيان معًا وقتًا طويلًا، وعرف وزنياك جوبز على موسيقى «بوب ديلان» وكلمات أغانيه القوية، وبدأ الاثنان يتعقبان الأشرطة المهربة لحفلات «ديلان»، وسرعان ما أصبحا شريكين في أحد الأعمال غير المألوفة وغير القانونية أيضًا.

الفصل الثالث

عفاريت التلفون

كان الانتقال من السنة الأولى إلى السنة الثانية انتقالًا حافلًا لجوبز.

واصل جوبز في الصيف التالي للصف العاشر وظيفته التي كان يشغلها في أثناء السنة الدراسية كقائمٍ على البضائع في محل به مجموعة هائلة من قطع الغيار الإلكترونية، يشبه إلى حد كبير منافذ بيع قطع غيار السيارات التي كان يصحبه إليها والده وهو صغير. هناك اكتسب معرفة واسعة بقطع الغيار الإلكترونية وأسعارها، بالإضافة إلى معرفة القواعد العامة للتجارة أيضًا. وبشكل شبه تلقائي، فهم الأرباح، والفرق بين ما يدفعه المحل مقابل البضائع وما يبيعها به. وكان جوبز أحيانًا ما يشتري قطع غيار من سوق محلية رخيصة ويبيعها لصاحب المحل محققًا بعض الربح، ثم يعيد صاحب المحل بيعها أعلى.

استطاع جوبز بهذه المكاسب المتنوعة شراء سيارة فيات حمراء صغيرة في حالة سيئة، سهلت له البحث عن أصدقائه القدامى في ستانفورد وبيركلي وزيارتهم.

في بداية سبعينيات القرن العشرين كانت حرب فيتنام توشك على الانتهاء تدريجيًّا، وبدأت ثقافة «الهيبيز» في الوصول إلى الوادي. وبدأ جوبز، المعروف بمحاولاته في اختبار الحدود، يجرب. أطال شعره، وبدأ يدخن الماريوانا. وقد استشاط والده غضبًا حين اكتشف المخدرات في سيارة ابنه، وحاول أن ينتزع منه وعدًا بعدم العودة إليها ثانيةً. ولكن رفض «جوبز الابن»، يقول: «كان هذا هو الشجار الحقيقي الوحيد الذي نشب بيني وبين أبي.»

في الوقت ذاته بدأت اهتماماته تتخطى العلوم والرياضيات والإلكترونيات. قال: «اكتشفت شكسبير وديلان توماس، وكل تلك الأشياء الكلاسيكية. قرأت رواية موبي ديك، وعلى الرغم من أنني كنت طالبًا في السنة قبل النهائية، حضرت دروسًا في الكتابة الإبداعية.»

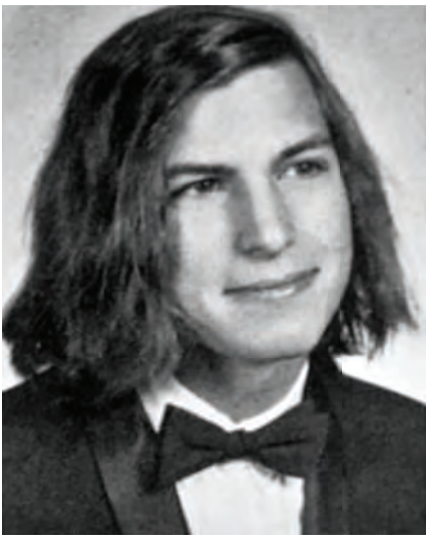

ستيف جوبز، صورة الكتاب السنوي وهو في الصف الثالث الثانوي، ١٩٧٢م.

خففت مدرسة «هومستيد» الثانوية من قيودها على الزي المدرسي، وسمحت بالجينز الأزرق. وشكل جوبز مع صديقه نادي «بَك فراي» (Buck Fry)، وهو تحريف غير لائق لاسم عائلة مدير المدرسة، ولكن على الرغم من ذلك استطاعا العثور على راعٍ للنادي من مدرِّسي المدرسة. نظمت الجماعة الصغيرة حفلات موسيقية مع فرق طلابيةً تعزف موسيقى الجاز والبلوز والروك التقدمي. اعتمد أعضاء النادي على معرفة جوبز بأجهزة الليزر في إبداع عروضٍ متقنة بالليزر، تنبض فيها نقاط ملونة مع الموسيقى وتغطي المسرح بألوان الطيف.

وكان نادي «بك فراي» معروفًا أيضًا بالمقالب الصغيرة، مثل تلوين قاعدة مرحاض باللون الذهبي وتثبيتها بالأسمنت في حوض الزهور! ذات مرة دعوا مدير المدرسة إلى الانضمام إليهم لتناول الفطور. وتبين أن المكان مميز، على سطح الكافتيريا، حيث وضعوا طاولة ومقاعد، وسيارة فولكس فاجن بيتل كانوا قد تمكنوا من رفعها إلى السطح.

بعد المدرسة، قدم وزنياك لجوبز «جهاز تشويش على التلفزيون» في حجم الجيب صنعه في سنته الأولى في الجامعة، وكان ذلك الجهاز يشوش على صورة التلفزيون عن طريق تداخُله مع الإرسال. كان وز يشغل الجهاز بينما زملاؤه في سكن الكلية يشاهدون

ستيف وزنياك. صورة الكتاب السنوي وهو في الصف الثالث الثانوي، ١٩٦٨م.

التلفزيون، فيقوم شخص ممن يشاهدون التلفزيون محاولًا ضبط صورة الجهاز بلف أزراره، فيعبث وز بالمشاهد، فيشغل الجهاز ويطفئه، بينما يحاول المشاهد ضبط الصورة بحيث يبدو وكأن محاولاته هي ما تصنع الفارق. أحيانًا كان بإمكان وزنياك أن يحول مشاهدًا غير مدرك لما يحدث إلى بهلوان بمجرد تشغيل الجهاز وإطفائه. (أبهر هذا المقلب جوبز إلى درجة أنه بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عامًا، حين توقف مؤشر العرض عن العمل في أثناء تقديمه لـ «الآيفون»، توقف جوبز دقيقة ليحكي قصة جهاز التشويش الذي صنعه وز، وليشرح كيف كان الأمر ينتهي أحيانًا بأحد المشاهدين معلقًا ساقه في الهواء وذراعاه متشابكتان حوله في محاولة يائسة لضبط الصورة.)

في نهاية عامه في الصف الثاني الثانوي اتفق جوبز ووزنياك وأحد أصدقاء الأخير سرًّا على أن يهنئوا دفعة التخرج بلافتة خاصة؛ باستخدام ملاءة مصبوغة، رسموا يدًا واقعية جدًّا ترفع الإصبع المعروفة عالميًّا بتعبيرها عن الاستنكار والاستهجان، وأضافوا «مع أطيب التمنيات» بشكل مبهج، ووقعوها بكلمة جمعت الحروف الأولى من أسمائهم واسم عائلة جوبز.

خطط الثلاثة لنصب اللافتة على سطح أحد المباني ونشرها، بينما يمر الخريجون من تحتها، لكن واجهتهم مشكلة في نشر الملاءة بشكل صحيح، وقضوا عدة ليال يحاولون إصلاحها. لكن في يوم التخرج، تلقى وزنياك مكالمة من جوبز؛ كان أحد قد أزال اللافتة، وضبط جوبز متلبسًا.

ولم يعرف وزنياك إلا بعد ذلك أن جوبز تفاخر بشأن المقلب أمام بعض الأصدقاء، فأفسده أحدهم.

في خريف ١٩٧١م، عاد وزنياك إلى الكلية، إلى بيركلي هذه المرة، على بعد ساعة تقريبًا إلى الشمال من لوس ألتوس. وقبل أن يبدأ الدراسة نبهته أمه إلى مقال استثنائي في مجلة «إسكوايرز»: صنعت مجموعة من قراصنة ما قبل الكمبيوتر أجهزة صغيرة سموها «الصناديق الزرقاء»، تنبعث منها الأصوات التي تستخدمها شركة التلفونات لنقل المكالمات. كان نسخ النغمات بالتردد نفسه يسمح للمستخدمين بالتقاط خطوط التلفون وإجراء المكالمات مجانًا إلى أي مكان في العالم، وأطلقوا على أنفسهم «عفاريت التلفون» (phone phreaks).

انبهر وزنياك بفكرة التغلب على شركة التلفونات بالدهاء والحيلة. كانت إمكانية الاتصال هاتفيًّا عبر البحار للأفراد من دون المرور بعامل السنترال لا تزال حديثة. قبل عقود من اختراع التلفون المحمول، لم يكن أمام الزبائن إلا شركة تلفونات واحدة، وكانت المكالمات بعيدة المدى مكلفة؛ كانت مكالمة لثلاث دقائق من الساحل الشرقي للساحل الغربي من أمريكا تكلف في نهاية الأسبوع ٧٠ سنتًا، بما يعادل أربعة دولارات تقريبًا الآن، وكانت التكلفة في أثناء الأسبوع أعلى حتى من ذلك. كانت فكرة قرصنة المكالمات مذهلةً بحق.

اتصل وزنياك، مفتونًا، بصديقه ستيف جوبز، وبدأ قراءة المقال له. في اليوم نفسه اتجه الاثنان إلى المكتبة لبحث الموضوع، مكتشفين الترددات نفسها في الوثائق التقنية. على مدار عدة شهور، عمل وزنياك على تصميم صندوقه الأزرق الخاص وصناعته. استخدم آخرون تسجيلات على شرائط كاسيت، أو صفيرهم لسرقة الخطوط، ولكنه كان يريد استخدام الشرائح الرقمية من الشركات من حوله ليشغل صندوقه.

وبدآ يبحثان أيضًا عن إحدى الشخصيات المذكورة في مقالة مجلة «إسكوايرز». كان «كابتن كرانش»، أحد الرواد في تكنولوجيا قرصنة المكالمات، قد اكتسب اسم شهرته بعد اكتشافه أنه إذا نُفِخَت الصافرة البلاستيكية الموجودة في علبة حبوب الإفطار المسماة

«كابتن كرانش» بشكل صحيح، يمكن أن تصدر التردد الصحيح لسرقة مكالمة بعيدة. ومن خلال أحد معارفهما، عثر جوبز ووزنياك عليه وطلبا مقابلته.

لم يكن الرجل الذي ظهر عند باب مسكن وزنياك بالكلية يمت للقب كابتن بصلة. كان شعره مائلًا على جانب واحد، وبعض أسنانه مفقودة، ولأنه كان مقيمًا في سيارته الفولكس فاجن، كان قد مضى عليه بعض الوقت من دون استحمام. على مدار عدة ساعات، تعلَّما تفاصيل أكثر عن طريقة استخدام الصندوق، وتبادلوا شفرات المكالمات وتقنياتها.

في وقت متأخر من تلك الليلة، تعطلت السيارة الفيات الحمراء الصغيرة، بينما كان وزنياك وجوبز عائدَين في طريقهما إلى منزل جوبز في لوس ألتوس. وجدا هاتفًا عموميًّا وطلبا من عامل شركة الهاتف أن يتصل بالرقم المجاني بأمريكا الذي يبدأ بـ ٨٠٠، وقد عقدا العزم على استخدام الصندوق لطلب المساعدة، لكن العامل استشعر القلق وأخذ يقاطع المكالمة. وفي اللحظة التي وضعا نقودًا حقيقية في التلفون العمومي لإجراء مكالمة قانونية وصلت سيارة الشرطة.

قامت الشرطة بتفتيش الاثنين. أخرج الشرطي الصندوق من جيب وزنياك وسأله عنه، فقال له وزنياك إنه صندوقٌ لتشغيل الموسيقى، ابتكار جديد نسبيًّا. بينما استجوبَتهما الشرطة، كان الاثنان يزدادان عصبيةً، ولكن على ما يبدو كانت إجاباتهما مقنعةً، واصطحبتهما الشرطة إلى محطة للوقود حيث أعادوا لهما الصندوق.

في البداية، استخدم وزنياك وجوبز الصندوق للتسلية. استخدمه جوبز في إجراء مكالمات من التلفون العمومي في المدرسة للاتصال بخط للنكات في بريطانيا العظمى. وترك ملاحظة على التلفون لزملائه تقول: «اسمعوا لكن لا تغلقوا الخط». في مرة من المرات وفي وقت متأخر جدًّا من الليل، اتصل وزنياك بالفاتيكان، مدعيًا أنه «هنري كيسنجر»، مستشار الأمن القومي للرئيس «ريتشارد نيكسون» في ذلك الوقت، وطلب التحدث إلى البابا. في البداية، قال الشخص الذي يستقبل المكالمة على الناحية الأخرى من الخط إنه سيرسل أحدًا لإيقاظه، لكنه تنبه للخدعة حين لم يستطع وزنياك السيطرة على ضحكه.

وعلى الرغم من احتكاكهما السابق بالشرطة، راودت جوبز فكرة مفاجئة، فقال لوزنياك: «علينا أن نبيع هذه الصناديق.» ومع توالي الطلبات، اكتشف وزنياك طريقةً لخفض تكلفة قطع الغيار من ٨٠ دولارًا إلى ٤٠ دولارًا، وأخذا يبيعان الصندوق مقابل ١٥٠ دولارًا للطلاب، و٣٠٠ دولار للآخرين. وتحت الاسمين المستعارين: «بيركلي بلو» لوزنياك، و«أوف توبارك» لجوبز، حقق الاثنان ربحًا جيدًا.

وفي إحدى أمسيات الصيف، ذهب الاثنان لمقابلة زبون محتمل. وبينما هما يحاولان عرض الصندوق وإقناعه به أخرج الزبون مسدسًا ووجهه إلى جوبز. أدرك جوبز بسرعةٍ عدم جدوى الجدل، فسلمه الصندوق.

قرر جوبز التخلي عن هذا العمل بعد ذلك بوقت قصير. كان قد بدأ يشعر بالملل، كما كان الخطر المضاعف لتعرضه إما لإطلاق الرصاص وإما للقبض عليه في أثناء بيعه شيئًا غير قانوني هائلًا جدًّا. لكن وزنياك استمر في المجال وباع في نهاية الأمر مائتي صندوق تقريبًا. حتى بعد انسحاب جوبز، كان وزنياك يقسم الربح بالتساوي مع صديقه، كما كانا يفعلان في البداية.

وربما أدت هذه التجربة إلى نتيجةٍ غير متوقعة. قال «رون روزنبوم» كاتب مقال «إسكواير» المذكور سنة ١٩٧١م لاحقًا، إنه ربما كانت صلة جوبز ووزنياك المبكرة بـ «كابتن كرانش» الخارج على القانون الشهير — واسمه الحقيقي «جون دريبر» — من ضمن الأسباب التي جعلت قراصنة الكمبيوتر بعد ذلك بسنوات يركزون على أجهزة الكمبيوتر التي تصنعها الشركات الأخرى ويتركون «الأبل ماكنتوش» لحاله.

وكما بدأ الوقت الذي يقضيه جوبز في مدرسته الثانوية يقل، بدأ أيضًا في التمرد على التوقعات التقليدية. أجاد التحديق من دون أن يطرف له رمش، بطريقةٍ يمكن أن تثير أعصاب الناس. بدأ يجرب الصوم والنظُم الغذائية الصارمة، من قبيل تناول الفاكهة والخضراوات فقط. وجرب جوبز عقار الهلوسة «إل. إس. دي» مع رفيقته الأولى «كريسان برينان». والـ «إل. إس. دي»، المعروف أيضًا بالحمض، هو عقار غير قانوني يعتبر بالغ الخطورة اليوم؛ ولكن منذ أربعين عامًا، كان من الشائع أن تلتقي بأناس جربوه في محاولة للوصول إلى شكل من أشكال الوعي الأكثر عمقًا.

في السابعة عشرة من عمره كان جوبز نحيلًا بشعر طويل ولحية شعثاء وشعلة متقدة من القلق الداخلي. قالت برينان: «كان متململًا على الدوام ويبدو شبه مجنون.» لكن عندما كانا معًا كان يتحول إلى فتًى هادئ وخجول ومرح ورومانسي؛ يحب الشعر، و«بوب ديلان»، ومداعبة أوتار جيتاره. قالت: «قال لي في لقائنا الأول أو الثاني إنه سيكون مليونيرًا ذات يوم، وصدَّقتُه. كان بإمكان ستيف رؤية المستقبل.»

في نهاية السنة الدراسية قرر جوبز أن يقضي الصيف مع برينان في كابينة تطل على الوادي، مما ضايق أباه. ومع رفض المالك لطلبه في البداية، إلا أن إصرار جوبز دفع المالك للرضوخ في النهاية، حيث أجر لهما غرفة. قضى جوبز وبرينان معظم الصيف هناك. كان والده قد طلب منه ألا يذهب، ولكن على الرغم من ذلك، وكما فعل في مراتٍ كثيرة، نفَّذ

جوبز ما كان يريده، من دون أي عواقب. بل إن والده هب لإنقاذه حين شبت النيران في السيارة الفيات الحمراء.

ولكسب بعض المال لإصلاح السيارة وتغطية النفقات، حصل جوبز وبرينان ووزنياك وصديق آخر على وظائف بأجور جيدة كشخصيات «أَلِيس في بلاد العجائب» في مركز تجاري محلي. كانت برينان هي «أليس»، وتبادل الفتيان الثلاثة تمثيل دور «صانع القبعات المجنون» و«الأرنب الأبيض»، مرتدين رءوسًا ضخمة تصل إلى ركبهم. كان الجو حارًّا، والمكيف في المركز التجاري معطلًا، وملابس التمثيل ثقيلة. وكان الفتيان يهرعون بانتظام إلى غرفة الملابس لشرب المياه وتبديل الرءوس.

كان وزنياك يعتبر الأمر مسليًا، ولكن كان لجوبز رأي مختلف. قال جوبز: «كانت الملابس تزِن طنًّا. بعد حوالي أربع ساعات من ارتدائها، لا بد أن تنتابك الرغبة في قتل بعض الأطفال!»

لم تطل حالة البؤس كثيرًا. انتهى الصيف وتوجه جوبز إلى الكلية بسرعة، بالضبط كما وعد والدَيه قبل ذلك بسنوات طويلة. لكن الشاب قوي الإرادة سرعان ما سيبدأ في ممارسة الأمور بطريقته الخاصة مرة أخرى.

الفصل الرابع

الكلية

تعامل «بول وكلارا جوبز» مع وعدهما بإرسال ابنهما إلى الكلية بجدية. وعلى مدار السنين ادَّخرا بعض الأموال. لكنهما لم يكسبا قط ما يكفي أساسًا، ولم يكن بمقدورهما سوى ادخار القليل. لكن ابنهما لم يرَ الموقف بهذه الطريقة. وحين حان موعد تقديم طلبات التقدم للكليات، لم يكن جوبز مهتمًّا بكليات جامعة «كاليفورنيا» الكثيرة، على الرغم من أن جامعةً حكومية مثل بيركلي كانت ستكون أرخص بكثير. اتجه العديد من زملائه إلى ستانفورد، وكان بإمكانه الحصول على منحة دراسية هناك. لكنه رفض هذه الفكرة أيضًا، متعللًا بأنها جادة بدرجة لا تناسبه، وتناسب أكثر الشبان الذين يعرفون وجهتهم.

وبعد زيارة لصديق في كلية «رييد»؛ وهي مدرسة صغيرة وخاصة للفنون الحرة في بورتلاند بولاية أوريجون، رأى أنها مناسبة. وكانت كلية «رييد» تضم حوالي ١٢٠٠ طالب — أقل بكثير مما كان في مدرسة «هومستيد» الثانوية — وكانت سمعتها طيبةً في جذب ذوي التفكير الحر والباحثين الجادين. عقد جوبز النية على الالتحاق بها، وتم قبوله بالفعل، لكن مصاريف «رييد» للسنة الدراسية ١٩٧٢-١٩٧٣م كانت ٣٩٥٠ دولارًا (ما يعادل حوالي ٢١٤٠٠ دولار اليوم)، وكان هذا المبلغ ببساطة أكثر مما يتحمل والداه.

ذُهل الأب من التكلفة، وحاول أن يغير رأي ابنه، وحاولت أمه أيضًا. لكنهما في النهاية خسِرا هذه المعركة كما خسرا الكثير من المعارك قبلها. قالت «كلارا جوبز»: «قال ستيف إنها الكلية الوحيدة التي يريد الذهاب إليها، ولن يذهب إلى أي مكان آخر إذا لم يذهب إليها.»

وهكذا، مرة أخرى، استسلم الوالدان ووفرا بالكاد مصاريف الفصل الدراسي الأول.

في ذلك الخريف، استقلوا سيارة العائلة، واصطحب بول و«كلارا» ابنهما إلى الكلية. وفي خضم استعداده لبدء حياة جديدة لم يمنحهما ستيف حتى لحظة الوداع المنتظرة.

كلية «ريد».

قال: «قلتُ شيئًا من قبيل «حسنًا، شكرًا، إلى اللقاء» لم أرغب حتى في أن تعرف المباني أن والدَي هنا. كنت أريد فقط أن أكون مثل يتيم من «كنتاكي» كان يتسكع في البلاد متنقلًا في قطارات الشحن لسنوات!»

قال لاحقًا إنه ندم حقًّا على سلوكه في ذلك اليوم. قال لأحد كُتاب السيرة: «إنه أحد المواقف التي أخجل منها حقًّا في حياتي، لقد آذيت شعورهما، وما كان ينبغي عليَّ أن أفعل ذلك. كانا قد فعلا الكثير ليضمنا التحاقي بهذه الكلية.»

بدأ جوبز على الفور في خوض تجربة جامعية غير معتادة تمامًا، لكنها لم تكن تشمل المحاضرات بالضرورة. كانت كلية «ريد» تُلزم طلابها الجدد بمعايير أكاديمية صارمة تتطلب منهم شق طريقهم عبر قائمة من القراءات الجادة في الفصل الدراسي الأول. كان جوبز يتوقع جوًّا أكثر تسيُّبًا. وحين أتى صديقه وزنياك لزيارته، اشتكى مُر الشكوى: إنهم يجعلونني آخذ كل هذه المواد.

ولم يكن وزنياك نفسه طالبًا جامعيًّا ممتازًا، لكنه كان على الأقل يفهم ما يتطلبه الأمر. قال له وزنياك: أجل، هذا ما يفعلونه عادةً في الجامعة.

ولم يكن جوبز ليقبل بأيٍّ من ذلك. اشترك في صف للرقص، غالبًا ليقابل فتيات. وكان معروفًا في الحرم الجامعي لذهابه لكل مكان حافيًا. وحين يتساقط الجليد لم يكن ينتعل إلا صندلًا. تابع هو وصديقه الجديد «دانيل كوتكي» القراءة في قائمة الكتب الخاصة بهما عن «بوذية الزن»، والروحانية، والتنوير، ورفع الوعي. وقد مارسا التأمل وقرأ كتاب «حمية من أجل كوكب صغير» (Diet for a Small Planet) من تأليف «فرانسيس مور لابيه»، والذي حقق أعلى المبيعات سنة ١٩٧١م. ومن ثم صار الاثنان نباتيَّين ملتزمَين.

وانبهر جوبز أيضًا بزعيمٍ جامعي اسمه «روبرت فريدلاند»، كان قد قضى سنتين في السجن بتهمة حيازة عقار «إل. إس. دي». كان فريدلاند بائعًا يتمتع بالكاريزما. وبالإضافة إلى نظام جوبز الغذائي وقراءته المكثفة، وفر لجوبز عقار «إل. إس. دي» في إطار جهوده المتواصلة نحو الوصول إلى المزيد من التنوير الشخصي، وبعد سنوات طويلة، قال جوبز لصحفيٍّ إن تناول هذا العقار المخدر يعد واحدًا من أهم شيئين أو ثلاثة أشياء فعلها في حياته، والتي غيرته بطرق لن يفهمها حتى من يعرفونه جيدًا.

كما غيرت جوبز علاقته مع فريدلاند. يتذكر «كوتكي» أن جوبز عند وصوله إلى الجامعة كان خجولًا وهادئًا جدًّا. وكان فريدلاند سريع الكلام وطلْق اللسان ومركز الاهتمام دائمًا، بعكسه تمامًا. بدأ جوبز، مستلهمًا كاريزما فريدلاند وموهبته في البيع، ينفتح على الآخرين ويأخذ بدفَّة المواقف. وقال «كوتكي»: «بعد أن قضى بعض الوقت مع «روبرت»، بدأت خصال الأخير تجد طريقها إليه.»

أعجب فريدلاند من جانبه بحدة جوبز وعزمه وعادته في التحديق في الناس ومهاجمتهم بالأسئلة، بينما عيناه تقتحمان الشخص. وقد وصف جوبز بأنه «من غرائب الجامعة».

وأعجب جوبز أيضًا بزوار «ريد»، ومنهم «ريتشارد ألبرت»، والذي عرف لاحقًا باسم «رام داس»، مؤلف أحد كتب جوبز المفضلة، كتاب «كن هنا الآن» (Be Here Now)، و«تيموثي ليري»، أستاذ سابق في «هارفارد»، ومن أنصار العقارات المخدرة، واشتهر أكثر بشعار تلك الفترة: «ابدأ وانسجم وانفصل» (Turn on, tune in, drop out).

قال جوبز: «كان هناك تدفق مستمر للتساؤل الفكري حول حقيقة الحياة.»

مع قرب انتهاء حرب فيتنام، انتهى تجنيد الرجال الذين يبلغون العشرين في ديسمبر ١٩٧٢م، مما سمح لذلك الجيل بالتحول إلى التركيز على أنفسهم، بعيدًا عن المعارك الطويلة من أجل الحقوق المدنية ومن أجل مناهضة الحرب التي استهلكت إخوتهم وأخواتهم الأكبر سنًّا.

لم يكن والدا جوبز سعيدَين به نظرًا لاختياراته. لم تكن درجاته جيدة، ولم يدفعا كل تلك الرسوم التعليمية ليعيش ابنهما بأسلوب «الهيبيز».

فكر جوبز في الموقف وقدره، ومن ثم قرر الانقطاع عن «رييد» في نهاية الفصل الدراسي الأول.

كانت تلك هي قطعة أخرى في أحجية حياته؛ الأحجية التي بدأت منذ مولده وامتدت قِطعها لتشمل مستقبله. بر والداه بالوعد مع أن مصاريف «رييد» كانت تستنزف مدخراتهما. ولكن بما أن جوبز لم تكن لديه أدنى فكرة عما يريد فعله، بدأ يتساءل إن كان الأمر يستحق كل هذا الثمن.

وبينما كان الانقطاع عن الدراسة مفزعًا في البداية، قال جوبز لخريجي ستانفورد متذكرًا: «كان واحدًا من أفضل القرارات التي اتخذتها.»

فبعد تخلصه من كل المناهج المطلوبة، صار حرًّا في اتخاذ أي الطرق التي يريدها.

ولأنه لم يكن يدفع إيجار غرفته في المسكن، كان ينام على أرضية غرف أصدقائه، أو يشغل الغرف الخالية التي كان يشغلها طلاب آخرون فقدوا إلهامهم. وقد أبهر وكيل شئون الطلبة «بعقله كثير التساؤلات»، وقد سمح له بالبقاء وحضور المحاضرات.

كان جوبز يجمع زجاجات المشروبات الغازية في مقابل الحصول على خمسة سنتات، وساعده ذلك على توفير الطعام. وقال لخريجي ستانفورد: «كنت أسير سبعة أميال عبر البلدة كل ليلة أحد للحصول على وجبة جيدة في الأسبوع في معبد «هاري كريشنا».» وكثيرًا ما استقل سيارات الغرباء هو وفريدلاند معًا، وأحيانًا ما كان «كوتكي» ورفيقته يصاحبانهما، حيث يرقصون ويغنون ثم يستمتعون بوجبات عشاء الكاري النباتية المجانية.

وبدأ جوبز أيضًا يتبنى نظمًا غذائية أكثر غرابة. لبضعة أسابيع لم يتناول إلا وجبة من حبوب الإفطار كاملة الحبة من «رومان ميل» مع الحليب من كافتيريا الجامعة، ثم صار مهووسًا بأعمال كاتب بروسي من القرن التاسع عشر زعم أن بعض الأطعمة تنتج مخاطًا ونفايات أخرى تدمر وظائف الجسم. «بغرابة أطواره المعهودة» وبَّخ جوبز أصدقاءه لتناولهم الكعك، وتخلى عن تناول حبوب الإفطار، وبدأ يعيش على الفواكه أو الخضراوات فقط. وجرب الصيام لفترات امتدت من أيام إلى أسبوعين، يكسرها بالمياه والخضراوات الورقية. قال صديقه إنه في فترة معينة أكثر من تناول الجزر حتى تحول جلده إلى «لون الشفق».

كان يقضي نهاية الأسبوع في مزرعة تمتلكها عائلة فريدلاند، والتي صارت ملجأً. كان جوبز مسئولًا عن الحفاظ على بساتين التفاح في حالة جيدة، بحيث تنتج المزرعة وتبيع عصير تفاح عضوي، يتخمر إذا عُولج بشكل مناسب، ويتحول إلى خمر به نسبة عالية من الكحول. وكان الآخرون يقيمون ولائم من الخضراوات المطبوخة. وتتذكر إحدى صديقاته أن جوبز كان يلتهمها، ثم يرغم نفسه على التخلص منها. وقالت: «اعتقدتُ لسنوات أنه مصاب بالبوليميا.»

حين انتهى العام الدراسي الأول، وأُغلقت مساكن الطلبة، استأجر جوبز غرفة من دون تدفئة قرب الجامعة بخمسة وعشرين دولارًا شهريًّا. في وقت من الأوقات، استعار نقودًا من أحد الصناديق الدراسية، ثم حصل على وظيفة في صيانة أجهزة يستخدمها قسم علم النفس في التجارب على الحيوانات. حين زاره وزنياك، باعا بعض الصناديق الزرقاء. (تم القبض على مستخدميها وعقابهم، لكن جوبز لم يُقبض عليه)، وكانت «كريسان برينان» تأتي أيضًا لزيارته أحيانًا.

كانت غرفته باردة والنقود شحيحة، لكن جوبز قال لخريجي ستانفورد إنه «عشق» الفترة التي قضاها في الكلية بحريته؛ كان حرًّا في استكشاف كل ما يجده مثيرًا للفضول. ولدهشته عادت عليه بعض هذه الأمور بالفائدة بعد ذلك بسنوات طويلة.

والتحق أيضًا بدروس الخط. في أنحاء الجامعة كانت توجد كتابات دقيقة رائعة بخط اليد على الملصقات، والنشرات الإعلانية، وحتى على الأدراج والوريقات الملصوقة عليها. فُتن جوبز بتلك الكتابات وأراد تعلم المزيد. عرف في هذه الدروس خطوطًا متنوعة: «السريف» و«السان سريف»، والمسافات بين الحروف. كان الأمر يبدو تافهًا حينذاك لكنه كان ممتعًا.

بالنسبة إلى «كوتكي»، كان جوبز شابًّا ذا دافع، على الرغم من أن هدفه كان أبعد ما يكون عن الوضوح. ربما كان الأمر عائدًا إلى شعور متغلغل في أعماق نفسه بعدم الأمان، أو ربما يرجع إلى كونه طفلًا متبنًّى. وأيًّا كان السبب، كان جوبز كما يقول «كوتكي»: «يحتاج إلى أن يثبت نفسه للعالم. كان في انتظار الفرصة المناسبة.»

في أوائل عام ١٩٧٤م، بعد سنة ونصف تقريبًا من وصوله إلى «ريد»، لم تظهر الفرصة المناسبة بعد، وكان جوبز يستعد للرحيل. كان يريد السفر إلى الهند، ولكن لم يكن لديه نقود. وهكذا عاد إلى البيت لمستقبل مظلم يكتنفه الشك.

قائمة القراءة في الكلية

في سبعينيات القرن العشرين، جذبت كلية «رید» في بورتلاند، أوريجون، خليطًا من الأرواح الحرة والفنانين وصانعي الأفلام والشعراء، والمفكرين غير التقليديين، مثل الشاعر «ألن جينسبرج» والمؤلف «كين كيزي».

وعلى الرغم من المقاربة الليبرالية التي تبنَّاها أساتذة «رید»، كانوا يتوقعون من الطلاب القراءة والتفكير بعمق، وكانت قائمة القراءة للفصل الدراسي الأول تشمل كتبًا مثل «الإلياذة» و«الحروب البيلوبونسية».

لكن جوبز كان أكثر اهتمامًا بالبحث عن نوع مختلف من الفهم من خلال بوذية الزن، والتصوف الشرقي ونظم التغذية. والكتب التالية من قائمة الكتب التي شكلت قائمة قراءاته الخاصة خلال الوقت القصير الذي قضاه في «رید».

«كن هنا الآن» (Be Here Now): تأليف «ريتشارد ألبرت» (اشتهر بعد ذلك باسم «رام داس»).

«سيرة ذاتية ليوجي» (Autobiography of a Yogi): تأليف «باراماهانسا يوجاناندا».

«الوعي الكوني» (Cosmic Consciousness): تأليف «ريتشارد موريس بوك».

«الإيغال في المادية الروحية» (Cutting Through Spiritual Materialism): تأليف «شوجيام ترونجبا».

«حمية من أجل كوكب صغير» (Diet for a Small Planet): تأليف «فرانسيس مور لابيه».

«التأمل الفاعل» (Meditation in Action): تأليف «شوجيام ترونجبا».

«نظام الشفاء الغذائي الخالي من المخاط» (The Mucusless Diet Healing System): تأليف «أرنولد إريت».

«الصيام العقلاني» (Rational Fasting): تأليف «أرنولد إريت».

«عقل الزن، عقل المبتدئ» (Zen Mind, Beginner's Mind): تأليف «شونريو سوزوكي».

الفصل الخامس

البحث

عاد جوبز إلى بيت والدَيه، وبدأ يفتش في الصحف، فوجد إعلانًا مثيرًا لطلب وظائف: «استمتع واكسب نقودًا». كانت شركة «أتاري»، وهي من أحد أوائل صناع ألعاب الفيديو، تبحث عن فنيين.

كان المؤهل الرئيسي لجوبز هو أنه قد أنفق الكثير من أرباع الدولارات على لعب «البونج»، وهي لعبة بسيطة، كان اللاعبون فيها يحركون خطوطًا أفقية، تمثل المجاديف، لتدفع كرة إلكترونية إلى الأمام والخلف؛ بينج بونج إلكترونية بدائية للغاية. كانت أول منتج لـ «أتاري» وأول لعبة «أركيد» فيديو. وقد حققت نجاحًا هائلًا حين ظهرت في سنة ١٩٧٢م. ورسخ نجاح اللعبة الشركة باعتبارها رائدة خلاقة في ألعاب الفيديو التي تُلعب في الحانات وقاعات البولينج والبلياردو. كما بدأت «أتاري» أيضًا في تصنيع ألعاب يمكن لعبها على تلفزيون البيت.

مصممًا على كسب ما يكفي للسفر، وغير قلق من افتقاره إلى الخبرة، ظهر جوبز في ردهة الشركة بشعره الطويل وملابسه المهلهلة، وأعلن أنه لن يغادر المكان حتى يتم التعاقد معه. تحدث كبير المهندسين «آل ألكورن» معه، ورأى «وميضًا ما، طاقةً داخلية من نوعٍ ما» أقنعته أن يمنح الطالب ذا التسعة عشر عامًا والمنقطع عن الجامعة وظيفةً.

كان الكثير من موظفي «أتاري» الآخرين يطيلون شعورهم، أو كانوا منقطعين عن الدراسة، أو من هواة ركوب الدراجات البخارية على الطرق الوعرة. لكن حتى بين هذه التشكيلة المتنوعة من البشر، بدا جوبز غريب الأطوار. لطالما أزعج زملاءه بآرائه القوية ونقده لأعمالهم. وكان الأسوأ من ذلك أنه اعتقد أن غذاءه المكون من الزبادي والفاكهة كان يغنيه عن الاستحمام بانتظام، مما جعل وجوده غير مرغوب فيه. كانت رائحته سيئة.

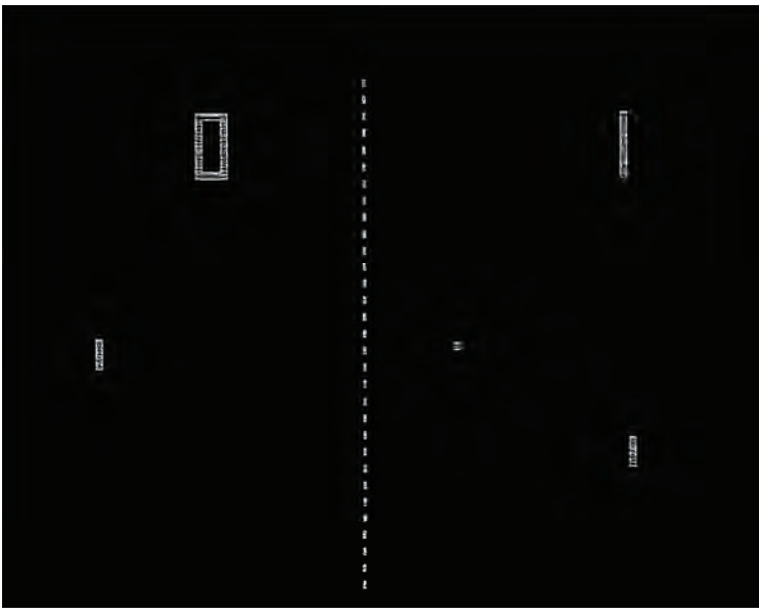

لقطة من «بونج» (Pong)، أول لعبة «أركيد» على الكمبيوتر، قدمتها «أتاري» في ١٩٧٢م.

نقل «ألكورن» جوبز إلى الوردية الليلية، حيث يستطيع أن يقوم بعمله في تعديل الألعاب وتحسينها من دون أن يزعج زملاءه.

بعد أشهر قليلة، أخبر جوبز رؤساءه في شركة «أتاري» بأنه يخطط للاستقالة للذهاب إلى الهند في مهمة روحانية. على الرغم من جهود جوبز، لم تهتم الشركة بدفع تكاليف رحلته، لكن «ألكورن» عرض عليه بكرمٍ أن يساعده في الحصول على جزءٍ منها. كانت «أتاري» تعاني من مشكلة تقنية في ألمانيا لم يستطع الموزع الألماني إصلاحها. أرسلت الشركة جوبز لعلاجها، واستطاع أن يسافر إلى الهند من هناك.

أضاف «ألكورن»: «أبلغ المرشد الهندوسي تحيتي».

في ألمانيا، عالج جوبز المشكلة، لكن مكتب ألمانيا اشتكى من طبيعته المزعجة ورائحته الغريبة. من جانبه، لم يكن جوبز سعيدًا باللحوم والبطاطس التي كانوا يقدمونها له ليتناولها.

بعد التوقف في زيورخ بسويسرًا، طار إلى نيودلهي، حيث أُصيب على الفور بـ «دوسنتاريا»، وحمى شديدة، وهزال. وحين تحسنت حالته، انطلق إلى الشمال حيث حضر مهرجانًا دينيًّا. قال متذكرًا: «شممتُ رائحة طعام جيدة. لم أكن محظوظًا بدرجة كافية لأشم رائحة طعام جيدة لفترة طويلة، فطفت لأحييهم ولأتناول الغداء.»

ويبدو أنه كان مميزًا بين الجموع. بينما كان يتناول الطعام، لمحه رجل المهرجان المقدس وجلس بجواره يضحك. جذبه الرجل المقدس، لأنه كان غير قادر على التواصل معه بالكلام، من ذراعيه وقاده في طريق جبلي صاعد إلى منطقة بها بئر وبِركة صغيرة. وهناك، غمر الرجل المقدس رأس جوبز في المياه وأخرج موسى وحلق له شعره، وقال إن ذلك من أجل صحة الشاب.

وبحلول الوقت الذي التحق فيه «كوتكي» بجوبز في رحلته، كان جوبز قد أضحى نحيلًا، وشبه أصلع، ويرتدي ملابس خفيفة من القطن. استقل الاثنان حافلات متهالكة، وساوما في الأسواق، وتسكعا بطول مجاري الأنهار الجافة. وذُهل جوبز من تجاور الفقر المدقع والقداسة الدينية، مع أنه كان يبحث عن إدراك روحي أكثر عمقا، بحث الاثنان عن المرشد الهندوسي الذي حدثهما فريدلاند عنه بعد رحلةٍ قام بها قبل ذلك بعام. لكن المرشد الهندوسي كان قد مات، وتفرق الجميع تاركين خلفهم ما لا يزيد على بعض الحلي الدينية من البلاستيك الرخيص.

واصَلا الرحلة، وأُصيبا بالجرب في بلدة معروفة بينابيع المياه المعدنية. وبعد معاركه مع القمل والبراغيث، حلق «كوتكي» شعره أيضًا، واستنتج جوبز في النهاية: «لم نكن لنعثر على مكان يمكن أن نقصده لنحصل على التنوير في شهر واحد».

وبما أنه كان قد أتى للتو من عمل في مجال التكنولوجيا، بدأ يفكر «ربما كان ما فعله توماس إديسون لتحسين العالم أكبر بكثير مما فعل أي منظر أو مرشد ديني». بعد عدة أشهر عاد جوبز و«كوتكي» إلى شمال «كاليفورنيا»، مدفوعين بتجربتهما الثرية.

بعد ذلك بسنوات، قال جوبز إن خبرته في الهند علمته «قوة الحدس والحكمة التجريبية»، النابعة من الاعتماد على الخبرة والبديهة، في مقابل العقل الغربي والتفكير المنطقي، وهي مقاربة مختلفة أثرت على أعمال حياته. ومع ذلك، كان جوبز وهو يتجاوز العقد الثاني ليدخل في العقد الثالث من حياته، لا يزال يبحث عن شيء أكبر.

لعامٍ تقريبًا بعد ذلك، تنقل بين حياته التقليدية إلى حد ما في وادي السيليكون — العمل في «أتاري»، وحضور دروس الفيزياء في ستانفورد، والدراسة ف مركز الزن المحلي

— وحياته الغريبة في أوريجون. كان يقيم ويعمل بشكل دوري مع زملائه في الكلية في مزرعة فريدلاند، التي كانت قد صارت ملجأ مزرعة «أول ون» (All One). بدأ البحث عن معلومات عن والدَيه الحقيقيين، وعرف أنهما كانا طالبين في الدراسات العليا غير متزوجين. كما دفع ١٠٠٠ دولار لحضور فصل مدته ١٢ أسبوعًا في مركز الإحساس في أوريجون. كان من المفترض أن يعالج مشاكل عميقة من الطفولة من خلال علاج الصراخ البدائي (primal-scream therapy)، وأخيرًا قرر أن هذه أيضًا ليست هي الإجابة التي ينشدها.

في صيف ١٩٧٥م، عاد إلى «أتاري»، للعمل في ورديات الليل كمستشار، حين منحه مؤسس الشركة، «نولان بوشنل»، مهمة خاصة. لفت جوبز انتباه بوشنل، الذي كان رائدًا للأعمال في الثالثة والثلاثين من عمره، فطلب منه تصميم لعبة تسمى «بريك آوت» (Break Out)؛ يحطم فيها اللاعبون حائطًا من الطوب بكُرة مرتدة. ولأن الألعاب في تلك الأيام كانت تبرمج في رقائق، ولا تكتب في صورة برمجيات منفصلة مثلما هو الحال الآن، طلب بوشنل أقل عدد ممكن من الرقائق في التصميم، وكان يريده بسرعة، بسرعة فائقة جدًّا؛ كان يريده في أربعة أيام.

كان جوبز يقضي أيضًا وقتًا مع صديقه القديم من المدرسة الثانوية، ستيف وزنياك، الذي انقطع عن الكلية مرة أخرى ليكسب بعض النقود، وكان يعمل في وظيفة مرموقة في شركة «هيوليت باكارد» في مجال الآلات الحاسبة.

لم يكن وزنياك مدمنًا على المخدرات، لكنه كان في مرحلة متطورة من إدمان لعبة «أركيد أتاري» اسمها «جران تراك ١٠» (Gran Trak 10)، وكان جوبز يدعو صديقه بانتظام إلى مكتب «أتاري» في الليل، حيث كان وز يلعب أول لعبة فيديو بمقودٍ كما يحلو له، وكانت هناك فائدة أخرى من وجود وزنياك؛ كان يمكنه أن يساعد جوبز إذا ما وقفت مشكلة في طريقه.

عندما أدرك جوبز أن تنفيذ التصميم يتخطى مهاراته، استخدم وزنياك لوضع الرقائق والتصميم، ووعده باقتسام السبعمائة دولار التي كان سيتقاضاها مقابل المشروع. كان وزنياك يعمل على التصميم في أثناء الليل بعد أن يُنهي عمله في «هيوليت باكارد»، وقد نجح في وضع التصميم باستخدام أقل عدد من الرقائق، ومن ثم دمجها جوبز في لوحة نموذجية. سعد بوشنل، الذي أسس بعد ذلك سلسلة مطاعم «تشاك إي تشيز» للبيتزا (Chuck E. Cheese)، بالتصميم، حتى إنه دفع لجوبز مكافأة يقال إنها كانت خمسة آلاف دولار، كما عرض على وزنياك وظيفة.

دفع جوبز لوز النقود — لكنه دفع فقط ٣٥٠ دولارًا كما كان الاتفاق في البداية — وعاد إلى أوريجون. ودفع الاثنان ثمن عملهما المكثف؛ أُصيب الاثنان بفيروس كثرة الوحيدات العدوائية الذي يستنزف الطاقة.

حين تم الكشف عن المكافأة التي أعطاها بوشنل لجوبز بعد عشر سنوات في كتاب عن «أتاري»، بعد فترة من تأسيس الاثنين لشركة أبل، جُرح وزنياك حقًّا، حيث شعر بأن صديقه الحميم لم يكن أمينًا معه وبأنه قد خانه.

حين سمع جوبز عن الكتاب، أخبر صديقه القديم بأنه لا يتذكر أنه حصل على مكافأة، حيث إنه من المؤكد أن يتذكرها في حال حصوله عليها بالفعل، «فإنه على الأغلب لم يحصل عليها».

قال الكاتب «والتر آيزاكسون» حين استفسر بعد سنوات طويلة من جوبز عن المبلغ: «أصبح هادئًا وتردد بشكل غير معتاد. وقال: لا أعرف من أين يأتي هذا الادعاء. أعطيته نصف النقود التي حصلت عليها.»

ولكن على الرغم من ذلك، فإن بوشنل و«ألكورن» يتذكران دفع مكافأة، ووز متأكد أنه لم يستلم إلا ٣٥٠ دولارًا. كان ذلك هو الجانب الكريه من ستيف جوبز، الساحر الذي كان أحيانًا لا يهتم إلا بنفسه.

بطرق كثيرة، كان من حُسن الحظ أن وزنياك لم يعرف القصة كاملة وقت حدوثها. كان يحضر اجتماعات ناد جديد للكمبيوتر، وكان متحمسًا جدًّا، حتى إنه سرعان ما كان يحاول تصميم كمبيوتره. ولم يملك إلا أن يشارك صديقه القديم وشريكه الجديد، ستيف جوبز، في أفكاره.

ما حدث بعد ذلك غير حياة الاثنين، وغيَّر العالم أيضًا.

الفصل السادس

أبل

قول إن ستيف وزنياك كان مبهورًا بفكرة كمبيوتر في صندوق صغير، تبسيط مخلٌّ للحقيقة.

ولكن أقل ما يقال هو أن الفكرة قد ألهمته بما يفوق الوصف، ولم يكن يطيق الانتظار حتى يجربها.

في يناير ١٩٧٥م، نشرت مجلة «بوبيولر إلكترونيكس» (Popular Electronics) قصتها الرئيسية عن أول كمبيوتر «صغير» اسمه «ألتير» (Altair)، الذي صنعته شركة في مدينة آلبوكيركي في ولاية نيو مكسيكو. كان في واقع الأمر عبارة عن عدة، تستغرق ساعات لتجميعها، ولم يكن يعمل بشكل جيد بمجرد تجميعه. لم يكن معه أي إكسسوارات، لم تكن هناك شاشة أو لوحة مفاتيح، أو حتى طريقة للتحدث إليه. لاستخدامه، كان على الهاوي أن يكتب برنامجًا، وحتى بعد ذلك كان كل ما يمكن أن يفعله «ألتير» هو أن يومض على واجهة الصندوق. بطرق عديدة، كان مماثلًا بشكل مدهش لكمبيوتر كريم صودا الذي عرضه وزنياك على ستيف جوبز قبل ذلك بخمس سنوات تقريبًا، لكن كان بداخله اختلافٌ هائل.

بينما كان وزنياك يركز على الآلات الحاسبة في «هيوليت»، ويدير خدمة خط هاتفي للنكات من بيته، ويواعد صديقته الأولى، كانت قوة أشباه الموصلات وقدراتها قد تعدت جميع الحدود. بداية من خمسينيات القرن العشرين، اكتشف المهندسون كيفية تجميع ترانزستورات كثيرة على رقيقة صغيرة من السيليكون، مع وصلات بينها. ويمكن لهذه الدوائر المتكاملة الجديدة — أو الرقائق المصغرة — حفظ قدر وافر من الذاكرة أو القيام بوظائف أخرى، مسيطرة على قطاعات كاملة من الكمبيوتر. لكن الدوائر كانت مثبتة في الرقائق، مما يعني أن الرقائق لا يمكن أن تقوم إلا بما برمجت للقيام به؛ مثل نسخة جوبز ووزنياك من «بريك أوت».

ستيف وزنياك (إلى اليسار) وستيف جوبز، يعملان على أبل ١ في ١٩٧٦م.

لكن في أوائل سبعينيات القرن العشرين طورت شركة ناهضة في وادي السيليكون اسمها «إنتل كوربرايشون» رقيقة واحدة في حجم طرف الإصبع يمكن برمجتها للقيام بكل أنواع الوظائف الجديدة والمختلفة، عُرفت باسم «المعالج الصغير». جمع المعالج الصغير وظائف عديدة في واحدة، ومن ثم أصبح وحدة المعالجة المركزية (CPU) في الكمبيوتر أو العقل المدبر وراء الصندوق. وأمكن توجيهه ببرمجيات: برامج خاصة كتبت لتعلمه القيام بمهام كثيرة. وبينما كانت «إنتل» تطور معالجها الصغير، بما يسمح له بالعمل بصورة أسرع وبمعالجة معلومات أكثر في الوقت نفسه، صارت فكرة الكمبيوتر الصغير، الكمبيوتر «الشخصي»، حقيقةً.

حصل وزنياك على أول نفحة من هذه التطورات الهائلة في أول اجتماع لنادي كمبيوتر «هومبرو» في أحد جراجات مدينة مينلو بارك، ي كاليفورنيا، في مارس. كانت أمسية باردة وممطرة، لكن عددًا كبيرًا من الثلاثين شخصًا الذين حضروا كانوا يتحدثون عن «ألتير» واحتمالات ظهور كمبيوتر صغير، ثم وزع أحدهم على الحضور ورقة بيانات حول معالج صغير منافس.

أخذ وزنياك ورقة البيانات معه إلى البيت ودرس هذا النوع الجديد من الرقائق. فجأة، تكشف له أمر ما. قال فيما بعد: «بدا وكأن حياتي الماضية كلها كانت تقودني إلى هذه النقطة.» كانت كل تلك الأوقات التي رسم فيها مخططات لإعادة تصميم كمبيوترات صغيرة، وكمبيوتر كريم الصودا البدائي، والعمل في ألعاب الفيديو، تقوده إلى هذه الفرصة الحقيقية. «تلك الليلة، ليلة ذلك الاجتماع الأول، انبثقت هذه الرؤية الكاملة لنوع من الكمبيوترات الشخصية في رأسي، فجأة.»

بدأ مباشرةً يرسم تصميمًا.

تبين له أن تصوره لكمبيوتره الجديد أسهل بكثير من بنائه. تبين أن رقاقة «إنتل» الخرافية تكلف ٤٠٠ دولار، «أكثر من إيجاري الشهري»، كما قال. وكان يحتاج، إضافةً إلى ذلك، إلى رقائق للذاكرة، ولغة للتواصل مع الرقائق، وقطع غيار أخرى. وكان الأمر يحتاج إلى وقت ونقود لإنجاح الأمر برمته.

بسرعة، اكتشف وزنياك أن العاملين في «هيوليت باكارد» يمكنهم الحصول على خصم على معالج «موتورولا» صغير يتمتع بنفس إمكانية معالج «إنتل». ووجد بعد ذلك بديلًا أرخص، نسخة مقلدة تبيعها شركة صغيرة بعشرين دولارًا يمكن أن تشغل تصميمه كما تصوره بالضبط. اتخذ القرار على أساس اقتصادي، وليس على أساس هندسي، وتبين فيما بعد أنه كان قرارًا مهمًّا؛ وإن انطوى على حماقة، فقد كانت كل الكمبيوترات الأخرى تقريبًا تُصمَّم على رقيقة «إنتل»، وكانت مختلفة بدرجة تجعل كل جزء من البرمجيات التي تستخدمها مختلفة أيضًا.

حضر ستيف جوبز صديق وزنياك بعضًا من اجتماعات «هومبرو»، حاملًا تلفزيون وز بحيث يعرض أحدث التطورات التي توصل إليها على شاشة التلفزيون. لكن جوبز وجد محادثات مهاوييس الإلكترونيات التي تدور في الاجتماعات التي تعقد كل أسبوعين مملة. لكن في كل مرة كان الاثنان يتحدثان في التلفون أو يتقابلان، كانا يتكلمان عن الكمبيوتر والتقدم الذي حققه وزنياك.

بحلول أواخر يونيو، أحرز وزنياك تقدمًا مفاجئًا؛ كان قد جمع الرقائق ومصدرًا للكهرباء وشاشة ولوحة مفاتيح معًا. في أول مرة كتب فيها باستخدام لوحة المفاتيح، ظهرت الحروف على الشاشة، بالضبط كما يفترض بها أن تفعل. كانت لحظة «اكتشافية عظيمة».

ولو كان الأمر قد تُرك كله لوزنياك، لأفصح عن كل تصميماته وتفاصيلها لأعضاء النادي، الذين كان شعارهم: «قدم المساعدة للآخرين». لكن جوبز، الذي كان معجبًا بالعمل الماهر الذي أنجزه صديقه، رأى في الأمر فرصةً أكبر، وشجعه على أن يتوقف عن مشاركة التفاصيل مع أعضاء النادي، الذين كانوا قد وصل عددهم إلى عدة مئات.

في أواخر تلك السنة، قدم جوبز عرضًا؛ كان لدى الكثيرين ممن يترددون على النادي أفكار، ولم يكن لديهم وقت كافٍ لإكمالها بنجاح. وهكذا اقترح أن يقوم هو ووزنياك ببيع لوحات الدوائر المطبوعة للأعضاء الذين يمكنهم بعد ذلك أن يضعوا فيها رقائقهم، وهي عملية أبسط بكثير من أن يقوموا بأنفسهم بتصميم لوحات.

شك وزنياك في وجود اهتمام كافٍ بهذا، أو في إمكانية استرداده وجوبز للألف دولار التي سينفقانها على الأمر. لكن أصر جوبز، الذي لم يتبين بعد ما يريد حقًّا أن يفعله بحياته، قائلًا له: «حتى لو خسرنا نقودنا، ستكون لدينا شركة.»

استسلم وزنياك، وبدأ الاثنان البحث عن مصادر لاستثمارهما المبدئي. باع وزنياك آلته الحاسبة من «هيوليت باكارد» بمبلغ ٥٠٠ دولار، لكن المشتري لم يدفع له في النهاية إلا نصف المبلغ، وباع جوبز حافلته «الفولكس فاجن» الحمراء والبيضاء، لكن كان عليه أن ينفق جزءًا من الربح على إصلاحها بعد أن تعطلت بعد بيعها بوقتٍ قصير. تمكن الاثنان معًا من توفير ١٣٠٠ دولار تقريبًا، تساوي خمسة آلاف دولار اليوم تقريبًا.

بعد ذلك، كانا في حاجة لاسمٍ لشركتهما. بينما كان وزنياك يوصل جوبز من المطار بعد عودته من رحلة أخرى إلى مزرعة «أول ون»، اقترح جوبز اسم كمبيوتر أبل (التفاحة).

كان عائدًا للتو من بستان التفاح، وكان وقتها يعيش على الفاكهة، ويأكل الكثير من التفاح. والأفضل من ذلك هو أن الاسم يضعهم تقريبًا في مقدمة أي قائمة مرتبة أبجديا، وقبل «أتاري» في دليل التلفون. حاولا العثور على اسمٍ أفضل: مثل «ماتركس»، أو «الإلكترونيات»، أو «إكسيكوتك». لكن بدا اسم أبل الأنسب.

ولكن القلق انتاب الاثنين من أنهما قد يدخلان في مشاكل مع فرقة «البيتلز»، وهي الفرقة الرباعية الشهيرة والمعروفة بشعار التفاحة على تسجيلاتها (وتبين فيما بعد أن

ذلك القلق كان في محله). كما تخوف جوبز من أن يكون أبل اسمًا يتسم بشيء من الطفولية بما يتعارض مع رغبتهما في أن تؤخذ شركتهما على محمل الجد. لكن عجزهما عن التوصل إلى اسم أفضل جعلهما يوافقان عليه.

أقنع جوبز «رون وين»، وهو مدير سابق تعرَّف عليه في أثناء عمله في ورديات الليل في «أتاري»، بابتكار شعار ورسم مخططات للوحة الدوائر. أنتج «وين» لوحة ذات نقوش دقيقة لنيوتن تحت الشجرة، وتفاحة براقة فوق رأسه.

وبينما كانا يحرزان تقدمًا فيما يخص أمر الشركة، بدأ وزنياك يتخوف من العواقب: ماذا لو اضطر إلى استخدام بعض أفكاره لأبل في عمله في «هيوليت باكارد»؟ ماذا لو أراد أن يشارك بأفكاره بطريقة أخرى؟ وليريح ضميره، أخبر وزنياك رؤساءه في «هيوليت باكارد» أنه توصل إلى تصميم كمبيوتر صغير ورخيص.

عقد اجتماع مع بعض مديري «هيوليت باكارد»، وعرض وزنياك كمبيوتره. اهتم الرؤساء، لكنهم لم يستطيعوا تصور أن يكون الكمبيوتر من منتجات «هيوليت باكارد»، وأخبروا وزنياك أن الشركة ليست مهتمة بالأمر.

أُحبط وزنياك، لكنه كان يمكنه الآن مواصلة العمل على الكمبيوتر بنفسه، واتفق هو وجوبز على اقتسام حصتهما بالنصف. لكنهما شعرا بأنهما في حاجة إلى شخص آخر للتأكد من صحة القسمة: جعلا «وين» شريكًا أيضًا، بنسبة ١٠ في المائة، مما جعل حصة كل منهما ٤٥ في المائة.

أعد «وين» اتفاقًا، وفي أول أبريل ١٩٧٦م، وقعه الثلاثة، وأسسوا شركة أبل رسميًّا.

لكن هذا الاتفاق لم يعمر طويلًا. كان «وين» في الأربعينيات، وكان محافظًا جدًّا، بالمقارنة بشريكَيه اللذين كانا في العشرينيات. وكان قد سبق أن تعرض بالفعل لخسائر كبيرة حين حاول أن يبدأ شركة آلات تعمل بوضع النقود فيها، وفشل. لذا، فإذا حدث وتعرضت أبل لمشاكل، سيصبح في منطقة الخطر مرة أخرى. وعندما فكر في ذلك، تلبسه القلق والتردد. قال: «كنت قد عرفت ما الذي يصيبني بعسر الهضم. لو كانت أبل قد فشلت، لأضاف ذلك جرحًا جديدًا إلى جراحي الموجودة. كان ستيف جوبز شعلة متوقدة وكنت أنا قد فقدتُ الطاقة المطلوبة للتعامل مع مثل هذه الشعلة.»

بعد التوقيع بوقت قصير، خرج «وين» من الشراكة واستلم ٨٠٠ دولار عن حصته. بعد ذلك، لمجرد التأكد من أن كل شيء يسير بشكل عادل وصحيح، دفعت له أبل ١٧٠٠ دولار أخرى. وكان ذلك كافيًا بالنسبة إليه (لكنه لو كان قد استمر في الشركة وظل محتفظًا بحصته فيها حتى اليوم، لأصبح ملياردیرًا).

سرعان ما انشغل ذهن جوبز ووزنياك بالتفكير في أشياء أخرى غير ذلك العائق المفاجئ، ولما كان جوبز يحاول زيادة المبيعات للوحات الدوائر المائة التي كان قد طلبها، دخل حافي القدمين إلى محل جديد للكمبيوتر يسمى «بايت شوب» (Byte Shop)، وبدأ يتحدث إلى «بول تيريل»، صاحب المحل وأحد المترددين بانتظام على نادي كمبيوتر «هومبرو» مروجًا لبضاعته. كان «تيريل» يحاول إقامة سلسلة محلات ينافس بها «راديوشاك»، وسرعان ما اختصر الطريق على البائع الشاب اللحوح؛ لم يكن يحتاج إلى لوحات دوائر وكذلك زبائنه؛ فمحل الكمبيوتر يحتاج إلى كمبيوترات. وإذا كانت شركة أبل الصغيرة تريد أن تزوده بكمبيوترات، فسيشتري خمسين جهازًا مقابل ٥٠٠ دولار تقريبًا للجهاز، نقدًا.

صُعق جوبز. كان يتطلع إلى بيع لوحات دوائر بمبلغ ٥٠ دولار تقريبًا، والآن صار في يده طلب بمبلغ ٢٥ ألف دولار، والتمعت عيناه لمجرد تخيل منظر الدولارات المنتظرة.

اتصل بوزنياك مباشرة وسأله: «هل أنت جالس؟»

ذهل وزنياك وأصابته نفس الصاعقة؛ فقد كان الطلب يساوي راتبه السنوي تقريبًا، أكثر بكثير مما كان يمكن أن يحلم به.

لكن لم تكن هناك قطع غيار الشركة الصغيرة، أو نقود لشرائها، أو مكان لتجميع الكمبيوترات. فكيف يمكنها تلبية الطلب؟

أبل ضد أبل

كان ستيف جوبز وستيف وزنياك على حق فيما يتعلق بقلقهما من أن تسبب تسمية شركتهما أبل مشاكل مع شركة «البيتلز» صاحبة الاسم نفسه: «أبل كوربس».

كانا عديمَي الخبرة وساذجين بدرجة حالت دون أن يكلِّفا محاميًا بفحص المسألة رسميًّا. لكن قرارهما، في الحقيقة، أثار عداءً استمر طويلًا بين أكبر شركتين باسم أبل في العالم.

بمجرد أن بدأت شركة أبل للكمبيوتر تلفت الأنظار، قاضتها شركة «أبل كوربس». وفي تسوية تم التوصل إليها في ١٩٨١م، وافقت أبل للكمبيوتر على أن يقتصر عملها على الكمبيوترات تاركة الموسيقى لشركة «أبل كوربس».

في أواخر ثمانينيات القرن العشرين، رأى عضو «البيتلز» السابق، «جورج هاريسون»، أن كمبيوتر «ماكنتوش» يمكن استخدامه في تأليف الموسيقى، ويمكن أن يحتوي على أداة تسمح للموسيقيين ببرمجة الآلات. ورفعت شركة «أبل كوربس» قضيةً أخرى.

وبعد قضية استمر تداولها في المحكمة شهورًا، توصل الطرفان إلى تسوية جديدة، تدفع بمقتضاها أبل للكمبيوتر ٢٦,٥ مليون دولار تقريبًا لحل القضية.

ولكن تأسيس متجر «الآيتونز» في ٢٠٠٣م فتح الجرح القديم مرة أخرى، وأدى إلى دعوى قضائية أخرى. ولكن الطرفان توصلا إلى اتفاق نهائي في ٢٠٠٧م، يعطي أبل التحكم في كل العلامات التجارية، التي يعود ترخيص بعضها إلى شركة «أبل كوربس».

ومع ذلك لم تتوفر موسيقى «البيتلز» على متجر «الآيتونز» حتى سنة ٢٠١٠م.

كان هذا الطريق، كما وصفته الكثير من القصص على مر السنوات، طويلًا ووعرًا.

الفصل السابع

الجراح

لتأسيس شركة، وإن كانت صغيرة، لا بد من المال. وهكذا بحث جوبز في البداية عن نقود، أو على الأقل عن شخص يوافق على أن يبيع له قطع الغيار بالأجل.

ذهب إلى بنك يطلب قرضًا. حاول أن يحصل على خط ائتمان في محله لقطع الغيار القديمة. سأل رؤساءه القدامى في «أتاري» عن إمكانية شراء قطع الغيار منهم.

رفضوا جميعًا.

أخيرًا، حصل وزنياك على قرض صغير من بعض الأصدقاء، وأقنع جوبز موزع رقائق بأن يبيع لهما قطع الغيار بالأجل. كان أمام أبل ثلاثون يومًا لتسديد الثمن وإما يبدأ احتساب فوائد عليه. كان اتفاقًا تجاريًّا معتادًا، لكن جوبز لم يكن يعرف ذلك.

كانت المشكلة التالية العثور على مكان لتجميع الكمبيوتر الجديد. كان وزنياك في الخامسة والعشرين ومتزوجًا حديثًا، وكان يعمل من شقته الضيقة، وكان إحباط زوجته «أليس» يتفاقم. كان زوجها يعمل دائمًا، إما في «هيوليت باكارد» وإما على الكمبيوتر الجديد، وكانت مائدة الطعام مليئة بأشياء لا يمكن تحريكها.

وكان جوبز في الحادية والعشرين من عمره وقتها وعاد ليعيش في بيت أهله من جديد. استولى على غرفة النوم القديمة لأخته «باتي»، ونظم قطع الغيار في خزانة بأدراج. كما استغل أيضًا «باتي»، التي كانت قد تزوجت وفي انتظار طفلها الأول، لتجميع كل قطع الغيار في لوحات الدوائر المطبوعة الجديدة، مقابل دولار لكل لوحة. بين العمل في غرفته وغرفتها القديمة، تم تجميع الأجهزة الأولى.

حين أوصل جوبز بزهوٍ الدستة الأولى من الكمبيوترات إلى «بايت شوب»، لم يبدُ على «تيريل» الانبهار. لم تكن هناك لوحة مفاتيح أو مصدر للكهرباء أو شاشة، ولم يكن هناك صندوق يحوي أجزاءه، ولم تكن هناك لغة للكمبيوتر تجعله يعمل. لكن «تيريل» كان عند كلمته، ودفع الثمن لجوبز وجمع الأجزاء المتبقية بنفسه.

منزل طفولة ستيف جوبز في لوس ألتوس، كاليفورنيا، والجراج الذي انطلقت منه شركة أبل في بداياتها.

مع أول أرباح حقيقية، استأجر جوبز صندوق بريد وأنشأ خطًّا لخدمة الرد، وكان الاثنان بهدف أن تبدو أبل شركة حقيقية. بانتهاء تجميع أول خمسين حاسبًا بدائيًّا وبيعها لـ «تيريل»، حققت أبل ربحًا كافيًا — الأموال المتبقية بعد دفع النفقات — لدفع ثمن قطع غيار لخمسين حاسبًا جديدًا. ولما كان جوبز قد استشعر أن الحظ بدأ يبتسم له، أضحى متأكدًا من قدرته على بيع المزيد من الكمبيوترات للأصدقاء والمحلات الأخرى.

للمساعدة، عين جوبز صديقه القديم من المدرسة الثانوية «بيل فرناندز» الذي كان يعمل في «هيوليت باكارد»، كما عين صديقًا من الكلية لمتابعة السجلات. وحين انضم «دانيل كوتكي» للعمل في الصيف، استولى على أريكة أسرة جوبز.

أصبح المنزل مزدحمًا، فقرر بول، والد جوبز، أن الشركة تحتاج إلى الانتقال إلى مكان جديد، وهكذا نقل الأب المشروع الناشئ إلى جراجه الأثير. جدد الحوائط وأضاف أنوارًا وخط تلفون. أخرج منه قطع غيار السيارات، ووضع أدواته الخاصة جانبًا، وسلم المكان لابنه.

حتى «كلارا»، والدة جوبز، انهمكت في العمل بالرد على التلفون، والترحيب بمندوبي المبيعات والزبائن المحتملين، وتحمل جنون ابنها فيما يتعلق بأنظمته الغذائية القائمة

على الفاكهة والجزر، بالإضافة إلى مخلفات وزنياك بعد تناوله الوجبات السريعة. كتب الصحفي «مايكل موريتز»، أنه في مرحلة ما قال «بول» و«كلارا» مازحين لأصدقائهما إنهما «كانا يدفعان الرهن العقاري مقابل الانتفاع بالمطبخ والحمام وغرفة النوم».

مع مبيعاتها الأولى، نشر أول مقال صحفي عن أبل. في يوليو ١٩٧٦م، ذكرت مجلة «إنترفيس» (Interface) أن جوبز، الذي كان «مستشارًا خاصًّا لأتاري»، أصبح مدير التسويق، وأن وزنياك «المبدع والمبتكر الموهوب»، أصبح مدير الهندسة. وقالت ببعض المبالغة إن «جوهر» الشركة هو: «مجموعة منضبطة وذات نظام مالي سليم تفتح آفاقًا جديدة فيما يتعلق بأجهزة الكمبيوتر وبرامجها، وخدمة عملائها.»

كانت الجلبة المنبعثة من جراج جوبز تبدو وقد تحولت إلى شركة حقيقية.

على الرغم من مبيعات الكمبيوتر الجديد، كان جوبز في حيرة من أمره؛ كان لم يزل يبحث عن معنًى أعمق في حياته، وكان يفكر بجدية في حزم أمتعته والذهاب إلى دير «زن» في اليابان.

كان جوبز يزور رفيقته القديمة «كريسان بريناں» في مركز «الزن» وانتظم هو نفسه في الذهاب إليه. وأفصح عما يموج في فكره لـ «كوبون تشينو»، وهو مرشد روحي ظل جوبز فيما بعد قريبًا منه، وكان «تشينو» يستمع إليه. في النهاية، قال لجوبز إن عليه أن يبقى في عمله، وإن بقاءه في ذلك العمل سيحمل له نفس المعنى العميق الذي قد تحمله رحلته للدير. وبعد تردد وافق جوبز.

وبينما كان جوبز يقيم مستقبله ويشرف على صناعة الكمبيوتر الأول ومبيعاته وتسويقه، كان وزنياك قد بدأ بالفعل في كمبيوتر آخر، مصمَّم خصيصًا لأشيائه المفضلة. توصل إلى طريقة تجعل الكمبيوتر يولد ألوانًا بحيث يمكن أن يشغله على تلفزيون ملون. ولأنه كان يريد أن يلعب لعبة «أتاري» «بريك أوت» على ابتكاره الجديد، أضاف الصوت والرسوم، وإمكانية إضافة أداة يمكن أن تمسك بها في يدك وتحرك بها الأشكال على الشاشة. وحيث إن الكثير من الرقائق التي تدعم المعالج الصغير كانت تزداد سرعة وقوة، استطاع أن يجعل الكمبيوتر أسرع وأقوى أيضًا. وبما أن وزنياك كان يحب التوصل إلى تصميمات تمتاز بالأناقة والكفاءة في آنٍ، فقد استطاع خفض عدد الرقائق إلى النصف بالمقارنة بالنسخة الأولى.

استطاع حتى أن يبني لغة «البيسيك» (BASIC–Beginners All purpose Symbolic Instruction Code) في النظام، وهي لغة كمبيوتر طورت في الستينيات لتساعد

الطلاب في تعلم كتابة برامج الكمبيوتر، والتي يمكن استخدامها الآن لبرامج أكثر تطورًا، بحيث يمكن للمشتري أن يأخذه إلى البيت، ويوصله بجهاز تلفزيون أو شاشة، ويشغله، ويكتب بالفعل برامج له في الحال.

وبينما كان وزنياك ينهي تصميمه، اختلف مع جوبز بشأن إحدى التفاصيل؛ كان وز يريد ثماني فتحات إضافية يمكن للمشتري استخدامها لإضافة جهاز أو لوحة دوائر إضافية، بينما أراد جوبز أن يقتصر الأمر على اثنتين، مفترضًا أن الناس لن يحتاجوا إلا إلى إضافة طابعة وربما «مودم»؛ وهو أداة تسمح للكمبيوتر بالحديث من خلال خط تلفون. كان يريد أن يبقى الكمبيوتر بسيطًا.

طال النقاش، لكن وزنياك الذي كان يعرف أن المشترين المحتملين للكمبيوتر سيرغبون في تحسين مشترياتهم والتعديل عليها، أصر على موقفه، وأقنع جوبز في النهاية.

كان أبل ١ للهواة ومهاويس الكمبيوتر، لكن هذا الكمبيوتر صُنع لأناس يريدون استخدام الكمبيوتر لفعل شيء ما.

وفي سبيل الاطلاع على الابتكارات الأخرى في مجال الكمبيوتر، سافر جوبز ووزنياك إلى أتلانتيك سيتي في نهاية أغسطس ١٩٧٦م لحضور معرض للكمبيوتر. احتفظا بكمبيوترهما الأحدث في غرفة الفندق، وحاولا بيع بعض أجهزة أبل ١. وبينما كان وزنياك يعمل في الكمبيوتر الجديد في غرفة الفندق، تفحَّص جوبز المنافسين؛ شركات بأسماء سهلة النسيان مثل: «إمساي»، و«كروميمكو»، و«بروسيسور تكنولوجي». وسمع أن «راديوشاك» تفكر في صناعة كمبيوتر، و«كومودور» أيضًا، وهي شركة لصناعة الحاسبات. وتوصل إلى نتيجتين: لدى أبل آلة أفضل منها جميعًا، لكن يحتاج شكلها إلى تحسينٍ كبير.

لصناعة ما بدأ جوبز ووزنياك يسميانه أبل ٢، كانا في حاجة إلى مبلغ كبير؛ أكثر من ١٠٠ ألف دولار. ومن خلال «آل ألكورن»، مديره السابق، حصل جوبز على فرصة للقاء رئيس «أتاري». لكن صغر سن جوبز وعدم خبرته ظهرا بوضوح في أثناء المقابلة. في أثناء محاولة جوبز اجتذاب المدير والفوز بدعمه، مد جوبز قدميه الحافيتين على مكتب الرجل الذي تمكن من الاطلاع بوضوح على ما يتراكم على الأقدام حين لا ينتعل المرء حذاءً.

وكانت تلك هي الضربة القاضية.

صاح في رائد الأعمال الشاب: أبعد قدميك عن مكتبي!

ثم أضاف بحدة: لن نشتري منتجك!

وفي محطة أخرى، حاول جوبز أن يتفاوض مع أحد الموزعين على سعر جيد لرقائق الذاكرة. حين لم ينفع الأمر في البداية، حذر جوبز بأنه سيوقف جميع تعاملاته مع الشركة، على الرغم من أنه لم يكن قد اشترى منها أي شيء من قبل.

قام وزنياك، الذي يدرك مدى حاجتهما إلى الرقائق، في مقاطعته. حاول جوبز أن يسكت صديقه بركلة خاطفة. لكنه بدلًا من استكمال الحوار، انزلق من فوق الكرسي إلى تحت الطاولة.

وتقديرًا منه للمسة الكوميدية، منح مندوب المبيعات أبل خط ائتمان. كما جلب البحث عن دعم مالي قطعانًا من رجال المال إلى جراج أسرة جوبز. جاء أحد كبار مديري «كومودور» التنفيذيين مرتديًا بدلة وقبعة من قبعات رعاة البقر، وقال إنه مهتم بشراء الشركة.

أراد جوبز الحصول على مبلغ كبير، وأبلغ ممثلي «كومودور» أنه يعتقد أن الشركة تساوي ١٠٠ ألف دولار (ما يساوي ٤٠٠ ألف دولار اليوم) على الأقل. بالإضافة إلى أنه ينبغي أن يتم تعيينه هو ووزنياك مقابل راتب سنوي مقداره ٣٦ ألف دولار، وهو أكثر بكثير مما كان وزنياك يتقاضاه من «هيوليت باكارد». في النهاية قررت «كومودور» صناعة حاسبها الخاص، مما جعل جوبز يشعر بارتياح، حيث كان قد اقتنع بأن الشركتين لا تناسبان بعضهما بعضًا.

لكن عرض «كومودور» قاد إلى توتر جديد بين جوبز وشريكه القديم. كان الشك يراود عائلة وزنياك في جوبز ونواياه لبعض الوقت. نفروا من مظهره المهلهل، وخشوا من استغلاله لابنهم الذي كان نابغةً في التكنولوجيا لكن غير ناضجٍ اجتماعيًّا. في أثناء التفكير في عرض «كومودور»، أخذت المناقشة بشأن أحقية كل من الشريكين في الشركة وكذلك النقود منحًى كريها. أبكى «جيري وزنياك» والد وز جوبز ذات يوم، قائلًا له: «أنت لم تنتج شيئًا، ولم تفعل أي شيء!»

جرح جوبز وقال لوزنياك إنه إذا لم يكن يعتقد أنهما شريكان متساويان، فيمكن لوزنياك أن يحتفظ بكل شيء لنفسه.

لكن صديقه وشريكه القديم كان مدركًا لحقيقة الأمر. كان وزنياك يستطيع تصميم لوحة دوائر بينما جوبز لا يستطيع، ولكن في الوقت ذاته كان جوبز يستطيع طباعة مائة لوحة دوائر، وهو شيء لا يستطيع وزنياك عمله. كان باستطاعة وز رسم إلكترونيات معقدة وكتابة برمجيات، لكن كان جوبز هو من يستطيع تحويلها إلى منتج واحد وبيعه.

بالفعل كان وزنياك هو من ابتكر كمبيوتر أبل، لكنه كان سيضيعه. قال وزنياك: «لم يخطر ببالي قط أن أبيع الكمبيوترات. كانت فكرة ستيف أن نعرضها ونبيع بعضها.»

كان كل منهما في حاجة إلى الآخر، وكان كل منهما يعرف ذلك.

وكانا أيضًا لا يزالان في حاجة إلى تمويل. ذهب جوبز إلى «نولان بوشنل»، مؤسس «أتاري»، الذي كان قد باع شركته إلى «وارنر للاتصالات» في تلك السنة مقابل ١٤ مليون دولار. لم يكن بوشنل يريد أن يستثمر، لكنه عرَّف جوبز على رأسمالي مغامر؛ مستثمر يضع الأموال في شركات ناشئة مقابل الملكية.

وصل «دون فالنتين» إلى جراج جوبز في سيارته المرسيدس بنز. كان قد استثمر في «أتاري» ولديه علم بالشركات الناشئة في وادي السيليكون، لكنَّ هذين الولدين أذهلاه بسذاجتهما، خصوصًا حين أخبراه بأنهما ربما يبيعان «ألفي» كمبيوتر في السنة. بالنسبة إليهما كان ذلك كثيرًا، حيث إنهما كانا قد باعا أقل من مائتين حتى ذلك الوقت.

استنتج «فالنتين» بشكل صحيح أنهما لا يعرفان شيئًا عن التسويق أو عن تحقيق مبيعات كبيرة، وقال: «إنهما لم يكونا يفكران بطموح كافٍ.»

بالنسبة إليه، كانت هذه علامة سيئة. كان يحب قول: «عادة ما يفعل المفكرون الكبار أشياء كبيرة، ولا يفعل المفكرون الصغار شيئًا كبيرًا أبدا.» رفض «فالنتين» التعامل معهما، لكنه أعطى جوبز اسم مستثمر آخر: «إيه سي مايك ماركولا».

كان «ماركولا» في أوائل الثلاثينيات من عمره، وكان من أوائل الموظفين في «إنتل»، وقد أصبح مليونيرًا حين طرحت شركة الرقائق، لأول مرة، سنداتها للاكتتاب العام، كان قد تقاعد تقريبًا، وأخذ يستمتع بحياته ويعيش من عائد استثماراته.

وصل «ماركولا» إلى جراج جوبز في سيارة رياضية ذهبية ماركة شيفروليه كورفيت. لاحظ أولًا أن الشريكين يحتاجان إلى حلاقة شعرهما، ثم رأى الكمبيوتر وانبهر تمامًا قائلًا: هذا ما كنت أريده منذ تركت المدرسة الثانوية.

عند هذه النقطة، نسي المظاهر، وقال: يمكنكما أن تحلقا متى شئتما.

بعد سلسلة مناقشات، عرض أن يضمن شخصيًّا خط ائتمان بمبلغ ٢٥٠ ألف دولار لإعطاء أبل ٢ دفعةً إلى الأمام. كان له شرط واحد؛ أن يستقيل وزنياك من «هيوليت باكارد» ويلتحق بالشركة بدوامٍ كامل.

ولكن كانت هناك مشكلة مفاجئة؛ لم يكن وزنياك ينوي ذلك.

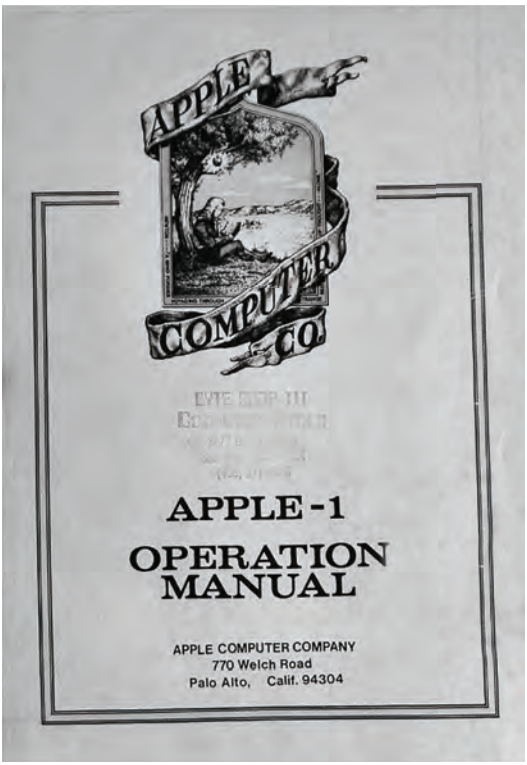

غلاف دليل تشغيل أبل ١، عليه أول شعار لأبل، من رسم «رون وين» في ١٩٧٦م.

لم تنضج بعد

بطريقةٍ تشبه إلى حد بعيد السيارات الأولى، لم يحمل أبل ١ شبهًا بما آلت إليه الكمبيوترات بعد ذلك بعقد من الزمن.

ذكر دليل عمليات أبل أن الجهاز قد جمع واختبر بشكل كامل. كل ما كان يحتاج مالك الكمبيوتر أن يفعله هو أن يوصل به لوحة مفاتيح وشاشة عرض ومصدرًا كهربيًّا. بعد توصيلها يوصي الجهاز بتشغيل برنامج اختبار بسيط للتأكد من أن كل شيء يعمل بالشكل المناسب. ولم تكن التعليمات سهلة الفهم أو التنفيذ.

أولًا: اضغط زر إعادة التشغيل للدخول إلى شاشة النظام، ينبغي أن تظهر علامة «/»، وينبغي أن ينزل المؤشر إلى السطر التالي.

ثانيًا: اكتب:

Ø: A9 b Ø b AA b 2Ø b EF b FF b E8 b 8A b 4C b 2 b Ø (RET)

(Ø صفر، وليس حرف (O)؛ b تعني فراغًا أو مسافة، و(RET) تعني اضغط زر (return) على لوحة المفاتيح.)

ثالثًا: اكتب:

Ø. A (RET)

(ينبغي أن يظهر البرنامج الذي أدخلته على الشاشة.)

رابعًا: اكتب:

R (RET)

(R تعني تشغيل البرنامج.)

بمجرد تشغيل البرنامج، يجب أن تظهر مجموعة من الحروف والأرقام، توضح أن لوحة المفاتيح والشاشة والكمبيوتر تتحدث معًا، لإيقاف البرنامج، تحتاج إلى ضغط (reset).

ولا أسهل، أليس كذلك؟

الفصل الثامن

أبل ٢

إن لم يكن ستيف جوبز يفكر تفكيرًا طموحًا بما يكفي، فمن المؤكد أن «مايك ماركولا» كان يفعل.

لما كان «ماركولا» سابقًا مديرًا للتسويق في شركة «إنتل»، لم يكن قد سبق له إدارة شركة بنفسه قط. لكن هذا الرجل الذي كان ذات يوم لاعب جمباز في المدرسة الثانوية كان مهندسًا حقيقيًّا يقدر طاقات الكمبيوترات المكتبية كأي شخص. أدرك مباشرة أن أبل ٢ يمكن أن يكون أكثر من مجرد لعبة للهواة وممارسي الألعاب، يمكن أن يكون أداةً مفيدة حقًّا، خصوصًا لمن يريدون متابعة وصفات الطعام أو الحسابات البنكية.

قال مخاطبًا جوبز ووزنياك: إنها بداية صناعة.

متوقعًا أن الشركة ستكون في خلال سنوات ضمن قائمة «فورتشن ٥٠٠»، القائمة المرموقة لأكبر الشركات الأمريكية، فأكمل قائلًا: وهذا لا يحدث إلا مرة كل عقد من الزمن.

ليحدث هذا، كان يحتاج إلى فريق مناسب، يشمل ستيف وزنياك، وستيف جوبز أيضًا. لكن وزنياك كان سعيدًا بعمله في «هيوليت باكارد»، وكانت زوجته الشابة تطمئن إلى الأمان الذي يوفره الراتب المنتظم، إضافة إلى أنه كان قد قرر قبل ذلك بوقتٍ طويل أنه لا يريد أبدًا أن يأمر الناس بما يجب أن يفعلوه. كان يفضل تصميم الحواسب وكتابة البرمجيات. قال: «لستُ شخصيةً إدارية.»

فكر في القرار لبضعة أيام وأخبر «ماركولا» بأنه سيبقى حيث هو.

لم يكن من عادة ستيف جوبز أن يتقبل رفض طلباته، ومن ثم بدأ حملة شعواء ليثني صديقه عن رأيه. جمع جوبز أصدقاء وزنياك ليتصلوا به ويضغطوا عليه، واتصل بشقيق وز، وذهب حتى إلى والدَي وزنياك يتوسل إليهما باكيًا ليساعداه. لمدة يومين، كان تلفون وز يرن بلا انقطاع.

ستيف جوبز (إلى اليسار)، وستيف وزنياك، يتعاونان في أبل ٢.

أخيرًا نجحت حملة جوبز. أقنع صديقٌ قديم وزنياك بأنه يمكن أن يبني مستقبله بصفته مهندسًا في الشركة الجديدة من دون أن يصبح رئيسًا أو مديرًا.

في يناير ١٩٧٧م، تأسست رسميًّا شركة أبل للكمبيوتر، بمشاركة جوبز ووزنياك و«ماركولا» في الملكية بالتساوي، وحفظ جزء صغير من الملكية لآخرين. لإكمال فريقه أحضر «ماركولا» «مايك سكوت»، وهو صديق قديم وزميل سابق، ليتولى رئاسة الشركة، وحيث إن اسمه كان «مايك» أيضًا مثل «ماركولا»، فقد عرف باسم «سكوتي».

كانت مهمة سكوت تنظيم العمل غير المنظم، والسيطرة على شطحات جوبز. لكن منذ البداية، اصطدم سكوت، الحاد والمزاجي أحيانًا، بجوبز الانفعالي والفظ غالبًا.

بوصول سكوت، انتقلت أبل من الجراج إلى أول مكتب لها، وكان من مهامه الأولى وضع جدول رواتب مناسب. يتذكر «كريس إسبينوزا» — الذي كان لا يزال طالبًا في مدرسة «هومستيد» الثانوية في ذلك الوقت، وكان قد بدأ العمل في الجراج في عطلات الشتاء — «أن جوبز كان يدفع للناس من دفتر شيكات الشركة، ولم يكن ذلك بشكل منتظم.»

وهكذا في عيد القديس «باتريك»، حدد سكوت لكل شخص رقمًا وظيفيًّا لإعداد جدول الرواتب، واحتفظ لنفسه برقم ٧. وكان إسبينوزا، الذي لا يزال يعمل لأبل حتى يومنا هذا، رقم ٨، لأن الأرقام الأخرى وزعت في الوقت الذي كان يُنهي فيه دراسته في المدرسة.

أعطي وزنياك رقم ١ وجوبز رقم ٢، وهو قرار جعل جوبز يستشيط غضبًا. واجه سكوت وطالب برقم ١. اهتاج، لكن على عكس كثير ممن قابلهم جوبز عبر السنوات، لم يتراجع سكوت أمامه، ولكنه رضي بتسوية صغيرة؛ حيث وضع جوبز رقم صفر على شارته الوظيفية، ولكنه بقي رقم ٢ في جدول الرواتب.

وبينما انشغل وزنياك بالعمل في لوحة الدوائر الجديدة، ركز سكوت على التصنيع، واهتم «ماركولا» بالتسويق والمال، وتولى جوبز كل شيء آخر له علاقة بالمكتب وأبل ٢، واشتهر بالاهتمام الشديد بأدق التفاصيل؛ حين وصلت الآلة الكاتبة للمكتب، غضب لأنها زرقاء وليست بلون آخر يبدو محايدًا أكثر. حين أحضرت شركة التلفونات تلفونات بلونٍ غير مناسب، اهتاج حتى تم تغييرها. كما كان يريد مكاتب بيضاء، لا رمادية.

تعلقت أعظم متطلبات جوبز بالكمبيوتر نفسه. رفض أول تصميم للوحة دوائر مطبوعة لأن الخطوط لم تكن مستقيمة بشكل كافٍ، على الرغم من أن اللوحة لن تكون ظاهرة لمالكي الكمبيوتر. وُظف أخصائي لتصميم وصلات الكهرباء بحيث لا تحتاج إلى مروحة مزعجة للتبريد. وبينما كان كل صناع الكمبيوترات الآخرين يستخدمون هياكل خارجية من المعدن، قرر جوبز أن الهيكل الخارجي البلاستيك سيكون أكثر أناقة وجاذبية.

وبينما كان جوبز يعمل على تصوره للهيكل الخارجي، درس تصميم الأدوات المنزلية والأنظمة الصوتية في متجر «مايسيز». كان لديه العشرات من درجات البيج للاختيار من بينها، لكنه لم يستحسن شيئًا منها، وأراد ابتكار لون يخصه. قضى أسابيع يجادل في مدى استدارة حواف الهيكل الخارجي، دافعًا سكوت إلى حافة الجنون بتردده.

قالت مجلة «تايم» ذات يوم إن وزنياك كان: «رجلًا يمكنه رؤية قصيدة شعرية في دوائره الإلكترونية». وكان جوبز، في المقابل، يمكنه التطلع إلى صندوق بيج ويرى جمالًا فيه. تخيل كمبيوترًا جميلًا وأنيقًا بقدر ما هو مفيد، يمثل تلاقيًا بين التكنولوجيا والفن بما يؤدي إلى شيء مميز حقًّا. شكلت هذه الرؤية، بدرجات متفاوتة من النجاح، دافعًا له طوال بقية مساره العملي.

ولكن ظل إصراره على الكمال — كما كان يعرفه — صعبًا على من حوله. كان يريد أسعارًا أقل من كل الموردين، قائلًا لهم: «يستحسن أن تقدموا عرضًا جيدًا.»

وكان يقلل من شأن أعمال المبرمجين الشباب، من دون أن يفهم تمامًا ما يفعلونه في بعض الأحيان، وكان يدلي برأيه فيما يخص كل شيء. وكان هو وسكوت يصرخ بعضهما في وجه بعض كثيرًا جدًّا وعلى الملأ. ولم يكن جوبز يهدأ إلا بالسير كثيرًا حول موقف السيارات.

قال سكوت: «لا يستطيع جوبز أن يدير أي شيء. بعد أن تبدأ شيئًا، يسبب الكثير من العقبات. وهو يحب أن يحلق مثل الطائر الطنان بسرعة تسعين ميلًا في الساعة.»

وعلى الرغم من إصرار جوبز على الوصول بشكل الكمبيوتر إلى درجة الكمال، لم يكن يطبق المعيار ذاته على نفسه، وكان من بين عاداته الشاذة الحصول على تدليك مرتجل للقدمين؛ كان يجلس على خزان المرحاض واضعًا قدميه بداخل المرحاض نفسه، ثم يهيل ماءه ليتخلص من التوتر. ولم يكن جوبز يستحم بانتظام كما كان يعتقد أنه ليس في حاجة إلى ذلك بسبب أسلوبه الغذائي، مما جعل وجوده كريهًا بالنسبة إلى من حوله. حاول سكوت و«ماركولا» أن يجعلاه يعيد التفكير في الأمر. قال «ماركولا»: «كان علينا أن نخرجه من الباب حرفيًّا وأن نطلب منه أن يذهب ليستحم.» ومع ذلك استغرق الأمر بعض الوقت لتتحسن عاداته الشخصية السيئة.

أقام «الساحل الغربي» معرضه الأول للكمبيوتر في ربيع ١٩٧٧م، وانهمك موظفو أبل الأوائل في تجهيز الكمبيوتر الجديد. حين عادت الهياكل الخارجية الأولى بفقاعات صغيرة في البلاستيك، أمر جوبز بأن تصنفر ثم تدهن لتبدو جيدة.

هذه المرة، استأجرت أبل مكانًا في واجهة المعرض، وكانت تريد أن يبدو كل شيء في أفخم صورة. جهزت لافتة كبيرة بالشعار الملون الجديد لأبل: تفاحة مقضومة؛ إشارة جزئية إلى «بايت» (لعب على كلمة قضمة باللغة الإنجليزية) الكمبيوتر، وهي مقدار مخزون الكمبيوتر اللازم للاحتفاظ بحرف. عرضت أجهزة أبل ٢ الثلاثة، وهي أجهزة أبل الوحيدة التي كانت جاهزةً تمامًا. زار المعرض أكثر من ١٣ ألف شخص. ومن الصعب معرفة ما كان أكثر إثارة للإعجاب: شراء ستيف جوبز بدلة وارتداؤه لها لأول مرة في حياته، أم عودة أبل بطلبات بثلاثمائة جهاز بسعر ١٢٩٨ دولارًا للكمبيوتر.

بعد انقضاء الأشهر الأربعة الأولى من سنة ١٩٧٧م من دون أن تبيع الشركة شيئًا تقريبًا، باعت الشركة الصغيرة حواسب بقيمة ٧٧٤ ألف دولار بحلول نهاية سبتمبر، وحققت أرباحًا في السنة الأولى لها كشركة بقيمة ٤٢ ألف دولار تقريبًا.

لكنها لم تكن شركة بالمعنى المفهوم بعد. كانت لها نشرة دعائية لطيفة، عليها صورة تفاحة حمراء وشعار: «البساطة هي قمة الأناقة». كانت المكاتب مفتوحة بعضها على بعض، من دون موظف استقبال أو غرف اجتماعات، وكان الناس يهرعون من مكان إلى آخر. كانت نصف المساحة مفروشة بالسجاد، وكانت لعمال المبيعات والتسويق والمديرين. أما النصف الآخر فكان مفروشًا بالمشمع، وبه ستة مقاعد مختبرات طويلة، لعمال الهندسة والتصنيع.

لأنه لم يكن هناك شخص آخر للتحدث مع من يأتون لمعرفة المزيد عن الشركة ومنتجاتها، كان «كريس إسبينوزا» يأتي إلى المكتب يومي الثلاثاء والخميس بعد المدرسة ليعرض الكمبيوتر لكل من يريد أن يراه.

واصلت المبيعات النمو، خصوصًا وقد بدأ الناس خارج أبل يكتبون ويبيعون الألعاب والبرامج الأخرى على شرائط كاسيت، مما جعل الكمبيوتر أكثر فائدة. كان «ماركولا» قد أعد برنامجًا لضبط الحسابات المصرفية، وشجع وزنياك على التوصل لطريقة لتوصيل مشغل أقراص صغير يسمح بتحميل البرنامج على الكمبيوتر ليعمل أسرع. بحلول ربيع ١٩٧٨م، كان وزنياك قد اكتشف كيف يجعل أبل ٢ يستخدم مشغل أقراص جديدًا يستطيع قراءة البيانات من أقراص مرنة منبسطة رقيقة، يبلغ حجمها خمس بوصات وربعًا.

وصار من السهل المساهمة في برمجيات جديدة وبيعها واستخدامها. وتصاعدت مبيعات أبل لتصل إلى ٧,٩ ملايين دولار بحلول نهاية سبتمبر ١٩٧٨م.

منذ البداية، اعتقد جوبز وشريكاه في أبل أنهم يصنعون آلات للهواة وممارسي الألعاب، والمستخدمين في المنازل. لكن في ١٩٧٩م، توصل رجُلا أعمال إلى طريقة لتبسيط الحسابات المالية. قبل ذلك، كلما تغيرت فرضية واحدة بشأن المبيعات أو التكاليف، كان على القائم على الحسابات إعادة حساب عشرات الأرقام يدويًّا لمعرفة التأثير. أطلق المبتكران على البرنامج اسم «فيزي-كالك» (Visi-Calc) اختصار «آلة حاسبة مرئية» (visibile calculator)، وصمماه على أبل ٢، وباعاه فقط على كمبيوترات أبل. وأصبح لدى رجال الأعمال سبب قوي لشراء كمبيوتر أبل، بعدما كانوا يتجاهلون هذه الكمبيوترات المكتبية الجديدة في بداية الأمر.

طلب «بنجامين روزن»، محلل البورصة في مؤسسة «مورجان ستانلي» المصرفية في نيويورك، من قسم التكنولوجيا أن يشتري له كمبيوتر أبل، لكنهم لم يصدقوا أنه قد يكون مفيدًا. يقول متذكرًا: «لم يستغرق الأمر إلا عرضًا واحدًا.» فتح «فيزي-كالك» وعرض على الفنيين صفوفًا وأعمدة من الأرقام المالية. غير أحدها وضغط على «إعادة الحساب»، فتغيرت كل الأرقام الأخرى في الورقة وتم تحديثها.

قال: «امتلأت الغرفة بعبارات الإعجاب.» وحصل على الكمبيوتر، ليصبح أحد أبرز الداعمين والمتحدثين عن الشركة الناشئة.

بينما كان جوبز يعمل ساعات طويلة للمحافظة على نمو أبل، واجه تحديًا من نوع مختلف في حياته الشخصية. استأجر هو وزميله القديم في الكلية «دانيل كوتكي» منزلًا

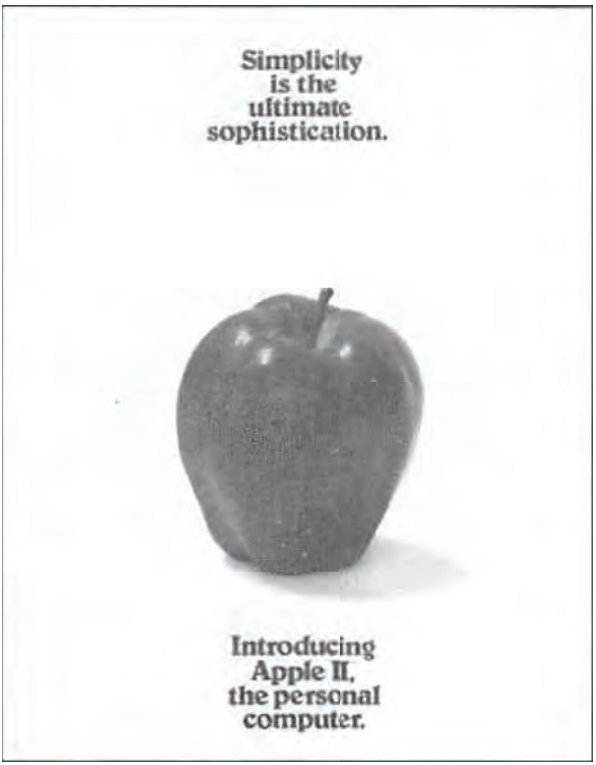

نشرة دعائية لأبل ٢ عليها أحد شعارات أبل الأولى: «البساطة هي قمة الأناقة». وهذا الشعار وما يمثله لا يزال واضحًا في منتجات أبل وتصميماتها وحملاتها الدعائية حتى اليوم.

أطلقا عليه اسم «ضواحي رانشو»، وانتقلت رفيقة جوبز «كريسان برينان» لتشغل غرفةً من المنزل، ووظيفةً في أبل. عادت العلاقة بينها وبين جوبز لبعض الوقت؛ حتى حملت برينان.

كانت برينان متأكدة أن جوبز هو الأب. أنكر ذلك، ولم تكن لديه رغبة في الزواج. أثناها عن عرض الطفل للتبني، لكنه لم يبالِ بالتحدث إليها عن أيٍّ من أوجه المسألة، بل وتجاهلها تمامًا. ولما كانت محبطة وغاضبة وغير مستقرة عاطفيًّا، تركت برينان وظيفتها وانتقلت إلى مزرعة «أول ون» في أوريجون التي كانت قد زارتها من قبل.

ولدت الطفلة هناك في ١٧ مايو١٩٧٨م. ذهب جوبز لزيارتها بعد ثلاثة أيام، واتفق مع أمها على تسمية الطفلة «ليزا نيكول بريينان»، لكنه بعد ذلك لم يرغب في أن تكون له أي صلة ببرينان أو الطفلة.

مع أن نصيب جوبز من أبل بلغ ملايين الدولارات حينذاك، لم يكن يقدم مساعدةً مالية إلا على فترات متباعدة، وواصل إنكار أبوته للطفلة. وفي لحظةٍ ما، وقع وثيقة في المحكمة على أنه غير قادر جسديًّا على الإنجاب ,وفي أثناء ذلك شغلت برينان وظائف عديدة وعاشت على إعانة الرعاية الاجتماعية.

في سنة ١٩٧٩م، عند بدء ظهور اختبارات الحمض النووي «دي إن إيه» فاجأ جوبز برينان بالموافقة على حسم الأمر تمامًا. وجاءت نتيجة اختبار الأبوة لتؤكد احتمال أن يكون جوبز هو الأب بنسبة ٩٤٫٤١ في المائة، لكنه أصر أمام أصدقائه وزملائه في أبل — وحتى الصحفيين — على أن الأب، إحصائيًّا، يمكن أن يكون شخصًا آخر.

أخيرًا، رفعت مقاطعة سان ماتيو قضية على جوبز، وألزمته بدفع ٣٨٥ دولارًا شهريًّا للطفلة، وتسديد مبلغ ٥٨٥٦ دولارًا للمقاطعة نظير الرعاية الاجتماعية التي كانت قد دفعتها لـ «كريسان».

قال لاحقًا: «لم أستطع أن أتخيل نفسي أبًا وقتها، لذا لم أتقبل الأمر.» وفيما بعدُ ندم على سلوكه، قائلًا: «أتمنى لو كنت قد تعاملت مع الأمر بشكل مختلف.» بمرور الوقت، اشترى منزلًا لـ «كريسان»، ودفع مصاريف مدرسة «ليزا»، ودعمها ماليًّا. لكن الأمر استغرق وقتًا طويلًا ليتصرف فعليًّا كأب لـ «ليزا».

في لفتة غريبة للقدر، كان جوبز في الثالثة والعشرين حين وُلدت «ليزا»، وهو نفس سِن والدَيه الحقيقيين حين وُلد من دون زواج وعُرض للتبني، لكنه لم يعرف ذلك لسنوات. كان تركيزه منصبًّا وقتها على وليده الآخر: أبل، التي كانت على وشك أن تجعله أبًا فخورًا جدًّا.

حديث الكمبيوتر

لبناء كمبيوتره الجديد احتاج وزنياك إلى أكثر من معالج صغير. هذه بعض المكونات الأخرى الموجودة في أبل ٢، وحواسب أخرى كثيرة:

«روم» (ROM: Read-only memory)، أي: ذاكرة القراءة. تحمل هذه الرقيقة معلومات متخصصة وثابتة تُكتب عند صناعة الجهاز، لا يمكن محوها أو تغييرها، كما

تحافظ على المعلومات سواء كان الجهاز يعمل أو كان مغلقًا. بمجرد أن يكتب وزنياك لغة للعمل بها على أبل، كانت تخزن في ذاكرة القراءة بحيث تظهر عند تشغيل الكمبيوتر.

«رام» (RAM: Random access memory)، أي: الذاكرة العشوائية. ذاكرة مؤقتة سهل الوصول إليها، ويمكن إزالتها أو تعديلها. حين تفتح برامج جديدة على شاشتك، تساعدك الذاكرة العشوائية على ذلك (ولهذا قد تخسر أيضًا أعمالك إذا لم تحفظها بانتظام على قرص صلب).

مع أبل ٢، صار وزنياك مستخدمًا مبكرًا لـ «الدرام» (DRAM: Dynamic RAM)، أي: الذاكرة العشوائية الديناميكية. وتعتبر ذاكرة الكمبيوتر، وتحتاج إلى تجديد إلكتروني مستمر، لذلك تحتاج إلى طاقة أكبر. ورقائق الذاكرة العشوائية الديناميكية أصغر وأرخص من رقائق الذاكرة العشوائية الاستاتيكية القديمة «سرام» (SRAM: Static RAM) التي لا تحتاج إلى تجديد إلكتروني مستمر، مما يعني إمكانية استخدام المزيد منها.

احتوى أول كمبيوتر أبل ٢ صنعه وزنياك، على ثمانية آلاف بايت من الذاكرة العشوائية الديناميكية. اليوم، يحتاج معظم مستخدمي الكمبيوتر من مليارين إلى أربعة مليارات بايت من الذاكرة لتعمل كمبيوتراتهم بسرعة ويسر.

«البيسيك» (BASIC): لغة بسيطة للكمبيوتر تتيح للناس كتابة برامج وبرمجيات تخبر الكمبيوتر بما عليه أن يفعله. بالضبط كما نحتاج إلى كلمات للتواصل، يحتاج الكمبيوتر أيضًا إلى لغة.

كُتبت إحدى أوائل لغات «البيسيك» لـ «ألتير» على يد بعض طلاب «هارفارد»: «بيل جيتس» و«بول أَلِن» و«مارتي دافيدوف»، بناءً على لغة «بيسيك» تستخدمها شركة «ديجيتال إيكوويبمنت كوربوريشن»، استمر «جيتس» و«أَلِن» فيما بعد ليؤسِّسا شركةً تسمَّى مايكروسوفت.

كتب وزنياك «البيسيك» لأبل بناءً على نسخة «هيوليت باكارد». بالضبط كما يتحدث الناس في مصر بشكلٍ مختلف عن الناس في السعودية، لم تكن نسختا «البيسيك» متماثلتَين. لكي يعمل برنامج مكتوب لأبل على كمبيوتر يشغل «البيسيك» التي كتبها «جيتس» و«ألن»، كان لا بد من حدوث شكل من أشكال الترجمة.

الفصل التاسع

ثراء

كما اكتشف ستيف جوبز مبكرًا، تحتاج أي شركة ناشئة إلى نقود — كثيرة — لدعم توسعها. بينما استمرت أبل في النمو، زادت حاجتها للمزيد من المهندسين لتصميم منتجات جديدة، وللمزيد من الأماكن للمكاتب والتصنيع، وأيضًا للمزيد من قطع الغيار والمعدات، وللمزيد من الدعاية، وما إلى ذلك.

وكان لعملية جمع الأموال اللازمة أن تغير من اتجاه أبل وحياة مؤسسيها.

بدأ الاستثمار الأولي لـ «ماركولا» ينفد تقريبًا في أواخر ١٩٧٧م، وحصلت الشركة على التمويل من الخارج لأول مرة في أوائل السنة التالية. مع ظهور أبل ٢، ارتفعت قيمة الشركة من ٥٣٠٩ دولار عند نشأتها في أوائل ١٩٧٧م لتصل إلى ثلاثة ملايين دولار بعد سنة فقط. اشترى مستثمرون جدد مزيدًا من الأسهم في سنة ١٩٧٩م وسنة ١٩٨٠م، وفي كل مرة كانوا يدفعون أكثر من المرة السابقة. خفضت مشترياتهم نسبة الملكية التي يحتفظ بها جوبز، لكن حيث إن كل مستثمر كان يدفع أكثر ممن سبقه فقد ارتفعت قيمة أسهمه.

ماذا عن النتيجة؟ عندما أصبح جوبز في الثالثة والعشرين من عمره، كان يمتلك ما تزيد قيمته عن مليون دولار، وفي سن الرابعة والعشرين قُدرت ثروته بأكثر من عشرة ملايين دولار. في سنة ١٩٧٩م باع كل من جوبز و«ماركولا» ما تزيد قيمته على مليون دولار من أسهمهما. هذب جوبز من مظهره واستبدل الجينز المقطع بالبدل المفصلة، بل أحيانًا أيضًا كان يضيف ربطة العنق. ترك المنزل المستأجر واشترى بيتًا في لوس جاتوس، وترك سيارته القديمة واشترى سيارة مرسيدس بنز. وكان ذلك يرجع جزئيًّا إلى دقته الشديدة فيما يتعلق بالتصميم والمظاهر، ولكنه في واقع الأمر لم يؤثث منزله قط، وعاش لسنواتٍ بمرتبة وجهاز أبل ٢ على أرضية غرفة النوم ولا شيء سوى طاولة وبعض المقاعد.

كانت شركة زيروكس العملاقة من المستثمرين في سنة ١٩٧٩م. كجزء من عملية الشراء، تسنَّى لأبل الاطلاع على أبحاث سرية كانت زيروكس تجريها في مركز أبحاثها القريب ببالو ألتو. في ذلك الوقت كانت شاشات الكمبيوتر مجرد نوافذ سوداء، تظهر عليها الكتابة بلونٍ أبيض أو أصفر كريه. لتلعب لعبة، كان عليك أن تضع قرصًا في المشغل وتكتب: RUN GAME, D1> وتدوس RETURN. وبعد الكثير من الطنين والتوقف، يتم تحميل اللعبة من مشغل الأقراص.[١]

في مركز أبحاث زيروكس ببالو ألتو، كان العلماء والمهندسون يعملون لسنوات لتبسيط الكمبيوترات وتيسير استخدامها. بينما كان الكمبيوتر المكتبي لا يزال في مراحله المبكرة، كانوا هم يشغلون شبكات من عشرات الكمبيوترات المتصلة بعضها ببعض، بالإضافة إلى البريد الإلكتروني، وذلك قبل أن يصبح شائعًا بين عامة الناس بأكثر من عشر سنوات. كانوا بين يستخدمون صندوقًا مستطيلًا دوارًا يسمى الماوس (الفأرة)، وكان يوضع بجوار الكمبيوتر لمساعدة المستخدم في التنقل على الشاشة. وأخذوا أيضًا فكرة المكتب بأوراقه ومجلداته المتناثرة، وبطريقة ما، نقلوا مظهر المكتب إلى الشاشة، وسموا كل صفحة نافذة، واستخدموا صور المجلدات وكأنها ملفات حقيقية في خزانة الملفات.

ألقى جوبز نظرة واحدة فرأى المستقبل. يتذكر مضيفوه في زيروكس قفزه صائحًا: «إن تحت أيديكم منجم ذهب!»

قال فيما بعد: «كانت لحظة من لحظات الرؤيا.» بعد أن رأى ما تسميه زيروكس واجهة المستخدم الرسومية «جي يو آي» (GUI: graphical user interface)، وهي استخدام الأيقونات والقوائم والماوس كطريقة للتعامل مع أن «جميع الكمبيوترات ستعمل بهذه الطريقة ذات يوم. كان ذلك واضحًا بمجرد أن تراه».

وكان واضحًا أيضًا لجوبز أن أبل تستطيع تحقيق ذلك.

اتهم البعض أبل فيما بعد بسرقة أفكار زيروكس، ولم ينكر جوبز ذلك حينما كان كثيرًا ما يكرر مقولة بيكاسو: «الفنانون الجيدون ينسخون، والفنانون العظماء يسرقون.» في الحقيقة كانت لدى زيروكس الأفكار، لكنها لم تطورها للدرجة التي تمكنها

[١] لفهم ما كانت تبدو عليه هذه الشاشات، اضغط على شريط: الأدوات في الركن أقصى يسار الشاشة، واكتب CMD في الشريط الذي يظهر، ثم اضغط: RETURN، سوف تظهر نافذة شبيهة بما كانت تبدو عليها الحواسب الأولى. (المؤلف)

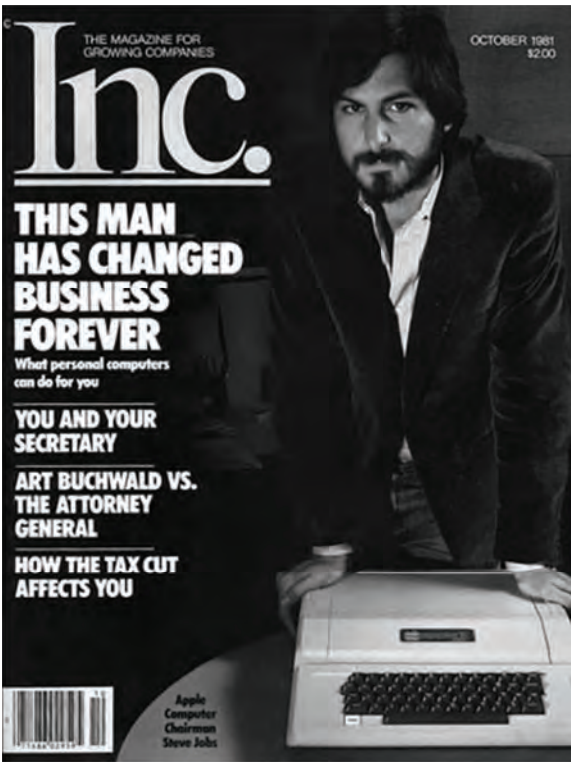

بعد نجاح أبل مع كمبيوتر أبل ٢، حقق ستيف جوبز شهرة بالظهور على أغلفة عدة مجلات، باعتباره واجهة لثورة الكمبيوتر الشخصي الجديد. وكانت مجلة «إنك» أول مجلة يظهر جوبز على غلافها.

من دمجها في كمبيوتر مكتبي بسيط. عزا جوبز قِصر النظر هذا إلى حقيقة أن زيروكس كان يديرها مديرون مقلِّدون مشغولون بالمبيعات؛ «وقع اختيارهم على الهزيمة دونًا عن أعظم انتصارات صناعة الكمبيوتر». حاولت زيروكس فيما بعد أن تجلب أعمالها المدهشة إلى السوق، لكنها فشلت في تحقيق أهدافها بكمبيوتر المكتب الذي أصدرته سنة ١٩٨١م بتكلفة ١٦٥٩٥ دولارًا.

وفي أثناء ذلك، احتاجت أبل التي كانت تصعد في مواجهة الكمبيوترات الشخصية الجديدة التي تنتجها شركات أكبر مثل «تكساس للصناعات» و«راديوشاك»، إلى ما يميزها

لتبقى منتجاتها في المنافسة في ملعبٍ مزدحم. كانت مبيعات أبل ٢ تزداد باستمرار بسرعة متواصلة، نتيجة عمل وز الرائع، وقدرٍ متزايد باستمرار من البرمجيات المكتوبة للجهاز بشكلٍ خاص، لكن ذلك لم يكن ليستمر إلى الأبد في مثل هذا العالم سريع التغير.

في الكواليس، كانت الشركة تعمل في كمبيوتر يسمى أبل ٣، طرح فيما بعدُ في ١٩٨٠م، وكان لديها أيضًا مشروعان آخران قيد التنفيذ: مشروع لكمبيوتر رخيص للمستخدم العادي، وآخر أسرع وأكثر تطورًا يستخدم أحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا. وكان المشروع اسمه «ليزا».

(لفترة، أصرت أبل على أن اسم «ليزا» (Lisa) هو اختصار «بناء النظم المحلية المتكاملة» (local integrated systems architecture)، وهو هراء تكنولوجي بلا معنى، لكنه يبدو رسميًّا، لكن كما يتبين لك، كان على اسم ابنة جوبز.)

على الفور، بدأ جوبز يبحث عن طرقٍ لتجسيد الأفكار الرائعة التي رآها في كمبيوتر «ليزا». اتصل بـ «دين هوفي» من «هوفي كيلي للتصميمات» وطلب «ماوس»، مع أن هوفي لم تكن لديه أدنى فكرة عن ماهية الماوس. شرح له جوبز كيف ينبغي أن تعمل وأنها يجب أن تتحرك في كل الاتجاهات، ليس فقط إلى أعلى وأسفل أو إلى اليسار واليمين. وأوضح أيضًا أنه يريد أن يتمكن من استخدامها بتحريكها على بنطلونه الجينز كما يستخدمها على سطح المكتب.

شعر هوفي بدفقة من الإلهام، لكنه لم يكن متأكدًا من القطع التي يجب استخدامها، وعلى كل حال توجه إلى متجر «وولجرينز»، حيث اشترى عدة أنواع من مزيلات العرق بكُرات متحركة لدراسة آليات حركة الكرات بها، وطبقًا صغيرًا بغطاء ليكون بمنزلة الكتلة المستطيلة العليا، ومن هذه الأشياء، صنع أول نموذج من الماوس الدوار.

بينما كان لماوس زيروكس ثلاثة أزرار، أصر جوبز على أن يكون لماوس «ليزا» زر واحد فقط، حتى لا يضطر المستخدمون إلى النظر إليه وهم يعملون. فضل مصممو «ليزا» أن يكون للماوس زر ثانٍ ليقوم بوظيفة تشبه وظيفة مفتاح التحويل (shift) على لوحة المفاتيح. لكن ليكون زرًّا واحدًا مفيدًا، علَّموه حركتين: النقرة، وما يعرف الآن بالنقرة المزدوجة.

كان جوبز مشحونًا بما رآه في زيروكس، فبدأ يدفع فريق العمل في «ليزا» لتطوير المزيد من الأدوات والرسوم الجديدة، وللتطلع أيضًا إلى هدف أكبر وأكثر امتدادًا. حثهم قائلًا: «لنُحدث فارقًا في الكون، سنجعل ما نقوم به بالغ الأهمية بحيث يحدث فارقًا في

الكون.» هذا ما حكاه «تريب هوكنز»، مدير تسويق أبل الذي استمر فيما بعدُ ليؤسس شركة ألعاب «إلكترونيك آرتس». وحيث إن جوبز لم يكن له دور معين يلعبه في أبل، بدأ يتولى الإشراف على المشروع تدريجيًّا.

انزعج «مايك سكوت». كان «ليزا» منتجًا مبتكرًا للسوق، وتشكك «مايك سكوت» في أن جوبز، المزعج والمستبد، يمكن أن يدير قسمًا. وكان أبل ٣ قد عانى جزئيًّا مؤخرًا بسببه. على عكس أبل ٢، الذي صمم وز معظمه، تم تصميم أبل ٣ على يد لجنة، بحيث وضع كل من أعضائها بصمته عليه.

أصر جوبز، كما فعل مع أبل ٢، على تصميم الهيكل الخارجي، لكن لم يكن الهيكل الخارجي الذي وافق عليه لأبل ٣ كبيرًا بما يكفي لاستيعاب كل الدوائر التي كان يجب وضعها فيه. ارتجل المهندسون وضعية اللوحات، لكن تسبب ذلك في مشاكل لاحقة؛ ببساطة لم تعمل بعض المكونات بشكل جيد، وكان يمكن تطبيق كتالوج برمجيات أبل ٢ الكبير على أبل ٣ فقط إذا ما عطلت بعض الخصائص الجديدة. تطلب الأمر كتابة برمجيات جديدة.

بعد ظهور أبل ٣ في أواخر ١٩٨٠م، كانت بعض الرقائق تتذبذب باستمرار وتتحرك من مكانها. حتى تتم إعادة تصميم الجهاز، أوصت الشركة برفع الطرف الأمامي بضع بوصات وتركه يسقط، بينما بدا أن ذلك يرجع الرقائق إلى موضعها، فقد كان حلًّا محرجًا وبدائيًّا.

مع أن أبل ٣ كان أضحوكة، فقد ارتفعت مبيعات النسخ المحسَّنة من أبل ٢. وبحلول خريف ١٩٨١م كانت الشركة قد باعت أكثر من ثلاثمائة ألف من الكمبيوترات ذات اللون البيج المميز، مسجلة مبيعات سنوية بمبلغ ٣٣٥ مليون دولار. لكن أبل ٣ كان جهازًا معيوبًا لم يحقق مبيعات جيدة قط، مما أثار الشكوك بشأن قدرة أبل على صناعة كمبيوتر جاد للمكتب.

مثَّل «ليزا» فرصة أخرى، وكان جوبز يريد أن يدير مشروع «ليزا» بشدة. لكن سكوت وضع المسئولية على عاتق شخص آخر. في أحد التغييرات الإدارية، أصبح جوبز رئيسًا للشركة؛ ليشغل المنصب الأعلى، لكنه في حقيقة الأمر كان رئيسًا صوريًّا استمر كواجهة عامة وكمتحدث باسم أبل. تأذى جوبز وغضب لإبعاده عن «ليزا»، لكن ذلك أتاح له الحرية للتركيز على المهمة التي فرضت نفسها أمامه وقتها؛ كانت أبل على وشك طرح أسهم للاكتتاب العام للمرة الأولى.

الاكتتاب العام، كما تسمى العملية، طقس عبور للشركات سريعة النمو، طريقة لجلب قطاع أوسع من المستثمرين بالسماح لأي شخص بشراء أسهم — أو المشاركة في ملكية — جزء صغير من أبل. دفعت الأموال الناتجة عن بيع الأسهم للجمهور الشركة نحو مزيد من النمو. بالإضافة إلى ذلك، بمجرد بيع الأسهم، يتم تداولها بين المستثمرين، مما ييسر على الموظفين والمديرين بيع أسهمهم إذا أرادوا.

لكن الاكتتاب العام يأتي بمسئوليات متنوعة، حيث يجب أن تنشر النتائج المالية والأخبار المهمة ليتمكن المستثمرون من اتخاذ قرارات مناسبة. كما يجب أن تعلن مستحقات المديرين. ولمن يتولون مناصب الإدارة العليا، كونهم تحت أعين الجمهور يعني المزيد من العمل.

ولما كان إخلاص مستخدمي أبل والنجاح الذي حققته الشركة معروفًا للجميع أراد الجميع الحصول على أسهم أبل. كوفئ كثير من الموظفين ذوي الرواتب بأسهم كجزء من مستحقاتهم. لكن لم تكن المعاملة بالمثل للموظفين الذين يعملون بالساعة، ومن بينهم بعض أقدم العاملين وأكثرهم إخلاصًا — مثل «بيل فرناندز» و«دانيل كوتكي» و«كريس إسبينوزا».

حزن «كوتكي»، صديق جوبز القديم من الكلية، بشكل خاص، وحاول من دون جدوى أن يناقش جوبز في الأمر. أخيرًا، ألح مدير قديم آخر على جوبز لإعطاء «كوتكي» بعضًا من أسهمه، وعرض أن يعطي «كوتكي» نفس عدد الأسهم التي سيعطيها له جوبز من رصيد أسهمه الخاص.

احتد جوبز فجأة قائلًا: «عظيم، سأعطيه صفرًا».

ولما كان وزنياك مقتنعًا بأن أسهمه تساوي أموالًا أكثر مما يمكن أن يحتاج يومًا، أعطى أسهمًا لوالدَيه وأخيه وأخته، كما منح أسهمًا أيضًا لزملاء قدامى ممن لم يحصلوا على أي أسهم. وباع أيضًا ٨٠ ألفًا من أسهمه لزملائه بسعرٍ تبين أنه خصم جيد من السعر الذي وصلت إليه الأسهم بعد بضعة أشهر.

إضافة إلى ذلك، كانت «أليس»، زوجة وزنياك، قد طلبت الطلاق، وحصلت في النهاية على قسم آخر من ممتلكاته.

في ١٢ديسمبر ١٩٨٠م، بيعت أسهم شركة أبل للكمبيوتر في أكبر طرح عام منذ بيع أسهم شركة فورد للسيارات في ١٩٥٦م. تخاطف المشترون الـ ٤,٦ مليون سهم بسعر ٢٢ دولارًا للسهم الواحد، لكن الطلب كان مرتفعًا للدرجة التي قفز معها السعر في اليوم

ستيف وزنياك، و«جون سكلي»، وستيف جوبز، يكشفون النقاب عن كمبيوتر أبل جديد.

الأول إلى ٢٩ دولارًا. وأصبح ستيف جوبز وهو في الخامسة والعشرين من عمره يمتلك ١٥ في المائة من الشركة، التي اقتربت قيمتها حينذاك من ٢٢٠ مليون دولار، وبلغت قيمة أسهم وزنياك، على الرغم من كل مبيعاته الأخرى، ١١٦ مليون دولار، وصار ما لا يقل عن أربعين موظفًا آخرين في أبل مليونيرات. كان وقتًا حافلًا، كان الثراء المفاجئ مثيرًا، ولكنه كان أيضًا مشتتًا ومقلقًا لكثير من الناس في أبل.

كان وزنياك قد واصل العمل في أبل ٢، لكنه كان يكافح ليعثر لنفسه على مكان في الشركة التي زاد حجمها. كان ذهنه يتشتت بسهولة، وكان ينتقل إلى مشروع آخر حين ينتابه الضجر من المشروع الذي يعمل فيه، حتى لو لم يكن الأخير قد اكتمل. وجد صديقة جديدة وبدأ في ممارسة الطيران.

بعد الطرح العام بوقت قصير، سافر مع صديقته وصديقين آخرين في رحلة قصيرة، وواجهته مشكلة عند إقلاع الطائرة: تحطمت الطائرة وأصيب الركاب، أما وزنياك فقد فقد إحدى أسنانه، وتعرض لفقدان مؤقت في الذاكرة.

بعد شفائه، أخذ إجازة طويلة من الشركة ليعود إلى بيركلي لإنهاء دراسته الجامعية، مسجلًا باسم «روكي راكون كلارك». وكان قد أدرك أنه لم يعد في حاجة إلى الكثير للاستمتاع بحياته، طالما استطاع الضحك، وأن يكون مع أسرته وأصدقائه، وأن يمارس كل ما يجده ممتعًا؛ كان مسرورًا. أما القلق بشأن أهداف المبيعات، والمنافسة والكفاح من أجل تذليل العقبات في طريق الشركة، فلم يكن يمتعه ولم يكن ليمتعه أبدًا. قال فيما بعد: «أرى أن السعادة أهم شيء في الحياة، الضحك هو ما تخرج به من الدنيا. تلك هي شخصيتي، وهي ما أريد أن أكون عليه وما أردت دائمًا أن أصل إليه.»

من جانبه، قدم جوبز لوالدَيه أسهمًا بقيمة ٧٥٠ ألف دولار. استطاعا تسديد الرهن العقاري للمرة الأولى، وأقاما حفلة صغيرة بهذه المناسبة. كانا ينفقان ببذخ على رحلة بحرية كل سنة، لكن باستثناء ذلك، لم تختلف حياتهما في شيء.

حققت النقود ونجاح أبل بعض الشهرة لجوبز. على مدى العامين التاليين، ظهر جوبز على أغلفة عدة مجلات كوجه شاب لجيل من المخترعين ورجال الأعمال، الذين أتوا بالكمبيوترات للجماهير.

لم يبالِ بالنقود، من المؤكد أنه لم يتخلَّ عنها مثل وزنياك، لكنها لم تكن بؤرة اهتمامه، ورفض أن تكون دافعه. قال: «الرحلة هي المكافأة. لا يتعلق الأمر بمجرد تحقيق شيء رائع، ولكنه يتعلق بالممارسة الفعلية لهذا الشيء بلا كلل أو ملل، والحصول على فرصة الاشتراك في شيء رائع حقًّا.»

وسرعان ما وجد جوبز مكانًا لنفسه في أبل في قلب إحدى هذه التجارب الرائعة التي كان يتحدث عنها، وكان ذلك في الوقت المناسب تمامًا.

الفصل العاشر

القراصنة

حين تحدث ستيف جوبز إلى خريجي ستانفورد في عام ٢٠٠٥م، احتوت قصته الأولى على ترابط قطع الأحجية بين وعد أبويه بالتبني لأمه البيولوجية بأن يذهب إلى الكلية، وقراره بالانقطاع عن «رييد» بعد فصلٍ دراسي واحد. في عام ١٩٨١م، وهو في السادسة والعشرين، كانت بقية القصة تكتمل.

بعد استبعاده من مشروع «ليزا» ونجاح الطرح العام، حول جوبز اهتمامه إلى مشروع صغير لبناء كمبيوتر بسيط ورخيص للجميع. وكان المشروع السري، الملقب باسم «ماكنتوش»، قد تعرض للإنهاء مرتين، وكان يقبع في مبنًى منفصل، بعيدًا عن مبنى العمليات الرئيسية.

وبينما كان اهتمام جوبز بفكرة الكمبيوتر البسيط الرخيص يزداد، ومع انتقاله للإشراف على المشروع، بدأ أيضًا يبذل مجهودات نحو تحقيق بعض الابتكارات المبهرة التي كان قد رآها في زيروكس، ومن بينها اختيار مجموعة خطوط رائعة. حتى ذلك الوقت، كانت الكمبيوترات تستخدم خطًّا واحدًا فقط، يبدو مربعًا وحادَّ الزوايا، وكان يسهل عرضه على الشاشات الرخيصة.

وطالب جوبز بأن يكون لدى الماكنتوش القدرة على إتاحة الفرصة للمستخدمين ليختاروا من بين قائمة من خطوط بأحجام مختلفة، بالأسود العريض والمائل، بحيث تكون جميعها ذات فواصل ونسب متساوية. لجعل الخطوط أكثر خصوصية، أصر على تسميتها على أسماء المدن العالمية الكبيرة: نيويورك، لندن، جنيف، شيكاغو.

اعتمد القرار على تجربته في كلية «رييد». وهو هناك، ولأنه لم يكن يحضر الفصول المطلوبة منه، التحق بفصل لخط اليد وأساليب الكتابة الجميلة. في ذلك الوقت، بدت دراسته لهذه المادة عشوائية تمامًا. لكن في أوائل ثمانينيات القرن العشرين، بدا وكأنها ستفيده.

فريق الأحلام الذي يقف وراء الماكنتوش في ١٩٨٤م (جوبز في أقصى اليمين).

يعود الفضل — إلى حد كبير — إلى ذاك الفصل في «ريد»، في أن يكون «ماك» أول كمبيوتر شخصي يقدم للمستخدمين الفرصة لكتابة خطابات جذابة للعمل أو لعمل لافتات أو نشرات إعلانية. كانت سلسلة من الأحداث الغريبة وغير المتوقعة: أدى قرار جوبز بترك الكلية والالتحاق بفصل لخط اليد إلى استخدام جديد للكمبيوتر الشخصي وقلده آخرون فيما بعد.

لم يكن ليستطيع رؤية ذلك كله وهو لم يزل في السابعة عشرة. علمه ذلك الكشف، وتلك الخبرة، درسًا قيمًا، كما قال لخريجي ستانفورد، لأننا لا نستطيع أن نرى المستقبل «ينبغي عليكم أن تثقوا في أن قطع الأحجية ستتجمع بطريقة ما في مستقبلكم.»

بالطريقة نفسها، قاد كل من إعادة هيكلة الشركة واستبعاده من مشروع «ليزا» جوبز إلى ماكنتوش، وهي قطع أخرى من الأحجية. وكان هذا أيضًا قدرًا مرسومًا، يشبه إلى حد بعيد تسلسل الأمور فيما يتعلق بإنشاء أول كمبيوتر أبل في جراج عائلة جوبز.

كان «جيف راسكين»، الذي كان قد سمى المشروع على اسم نوعه المفضل من التفاح، يحلم بصناعة كمبيوتر رخيص سهل الاستخدام ومفيد مثل أدوات المطبخ، وهو تصور داعب رغبة جوبز في صناعة كمبيوتر يكون في متناول الجميع. لكن حين بدأ جوبز التدخل في العمل، وإملاء ما ينبغي أن يكون عليه الكمبيوتر، بدأ الناس يتضايقون منه.

في مذكرة شديدة اللهجة إلى «مايك سكوت»، رئيس أبل في أوائل ١٩٨١م، وصف راسكين جوبز بأنه «مدير شنيع»، مضيفًا أن المواعيد دائمًا ما تفوته، وأنه يتصرف من دون تفكير، ولا ينسب الفضل لأهله كلما دعا الأمر لذلك. وواصل ليفصح عن النقد الذي طالما تكرر طوال حياة جوبز المهنية، كتب راسكين: «غالبًا، حين يتم عرض فكرة جديدة أمامه، يقوم بمهاجمتها على الفور قائلًا إنها تافهة أو حتى غبية، ثم إذا كانت الفكرة جيدة، يسرع جوبز في إعلانها للناس وكأنها فكرته.»

ربما كان كل ما كتبه راسكين صحيحًا تمامًا، لكنه لم يلاقِ استحسانًا. تم استدعاؤه لاجتماعٍ مع جوبز، وحين اتفق الاثنان على أنهما لا يمكن أن يتفقا، طلب من راسكين أن يأخذ إجازة بدون مرتب.

وكان سكوت، أيضًا يواجه مشاكله. جلب سكوت التنظيم لأبل وأعطاها شكلًا مميزًا، واحتفظ بستيف جوبز تحت السيطرة لأربع سنوات. لكن سكوت كان يتميز بشيء من الخشونة على طول الخط، وبينما كانت أبل تنمو، تعرض لمشاكل صحية، وصار أسلوبه في الإدارة غريبًا. في مارس ١٩٨١م، بعد الطرح العام لأبل ببضعة أشهر، قام في عجالة بفصل أربعين موظفًا قرر أنهم ليسوا على المستوى المطلوب. أثارت عمليات الفصل، التي سميت بالأربعاء الأسود، غضب الموظفين وانعكس صداها في كل أرجاء الشركة.

أُزيح سكوت عن منصبه بعد ذلك بوقت قصير، وتولى «ماركولا» رئاسة الشركة، واستمتع جوبز بحرية أكبر مما كان متاحًا له تحت رئاسة سكوت.

بالنسبة إلى مشروع ماكنتوش تولى جوبز بسرعةٍ زمام الأمور، وكان من ضمن أول تحركاته بناء فريق من الموظفين الممتازين. كان «آندي هيرتزفيلد» يعمل في أبل ٢ وكان يتوق للانضمام إلى مشروع ماكنتوش. أجرى مقابلة مع جوبز ذات صباح وعاد إلى عمله. في عصر ذلك اليوم، أطل عليه جوبز في مكتبه الصغير وأخبره بحصوله على وظيفة.

قال هيرتزفيلد: عظيم!

وأضاف أنه في حاجة إلى يوم أو اثنين فحسب لينهي ما يعمل عليه.

وكان لجوبز رأي آخر. سأل: ماذا يمكن أن يكون أهم من العمل في ماكنتوش؟

قال هيرتزفيلد فيما بعدُ متذكرًا: «وعندها، اقترب من مكتبي، وأمسك بكابل الكهرباء الموصل لحاسبي الأبل ٢، وسحبه بحدة، وانتزعه من موضعه.»

وضاع كل ما كان هيرتزفيلد يعمله. جمع جوبز الشاشة والكمبيوتر معًا وقال لهيرتزفيلد: تعال معي. سآخذك إلى مكتبك الجديد.

وتبين أن المكتب الجديد كان مكتب راسكين.

طوال السنوات الثلاث التالية، شهد أفراد المجموعة الصغيرة تقلبات جوبز: سحره ونقده الحاد، حماسه وغطرسته، ورؤيته، قدرته على النظر إلى شيء عادي جدًّا ليرى بحدسه إمكانية أن يصبح استثنائيًّا حقًّا. لم يكن يرغب في منتج جيد، أو حتى في منتج عظيم. كرر باستمرار أن ماكنتوش ينبغي أن يكون «عظيمًا بما يفوق حدود العقل.»

بينما كان أعضاء الفريق «يكتسبون الحافز» للعمل بشكل أفضل، على حد قول جوبز، حاولوا التكيف مع أساليبه المزعجة. قال هيرتزفيلد: «قد يلقي جوبز نظرة على عمل شخص ما ويعلن أنه كوم من القمامة، مستخدمًا ألفاظًا أسوأ بكثير، وأعنف غالبًا. وربما يقول: «هذا أعظم ما رأيت في حياتي»، وكان الشيء المروع هو أنه قد يقول ذلك على الشيء نفسه.»

شرح «بد تريبل»، وكان عضوًا آخر في الفريق، صفةً مميزة لجوبز لم يستطع فريق «ماك» — أو أي فريق آخر عمل معه جوبز — أن يتبين قط كيف يتجنبها. سماها «تريبل» «مجال تشويش الرؤية» لجوبز، وهو تعبير مأخوذ عن المسلسل التلفزيوني «ستار تريك». ويشرح: «في وجوده تصبح الحقيقة مرنة. يستطيع أن يقنع أي شخص بأي شيء تقريبًا. ويتلاشى هذا التأثير في غيابه.»

في مسائل متنوعة، قد يقود مجال تشويش الرؤية جوبز إلى التصرف وكأن قواعد الحياة لا تنطبق عليه. كان يقود سيارته من دون لوحة أرقام ويوقفها بانتظام في المكان المخصص لسيارات الموظفين المعاقين في أبل. كان يستشهد بكلام مختلَق تمامًا باعتباره حقيقةً واقعة، أو يتوقع نتائج على أساس جداول زمنية غير واقعية، أو يضع أهدافًا يستحيل تنفيذها. كان الناس يصدقونه في وجوده ليعودوا إلى رشدهم بعد أن ينصرف، لكن كانوا أحيانًا ما يحققون المستحيل لأنه كان يضغط عليهم بقوة.

بذل جوبز جهودًا شاقة في الاهتمام بكل تفاصيل ماكنتوش. انشغل تمامًا بشرائط العناوين، كما كانت تسمى العناوين الموجودة في مقدمة كل شاشة ووثيقة، مصرًّا على أن يعيد المصممون العمل عليها مرات ومرات، زادت على اثنتي عشرة مرة. وحين اعترض المصممون، رد بعنف: «هل يمكن أن تتخيلوا النظر إلى ذلك يوميًّا؟ إنه ليس بالأمر الهين.»

في إحدى المرات، أراد أن يغير اسم ماكنتوش إلى «دراجة»، لأنه كما تحسن الدراجة من سرعة الإنسان، فإن الكمبيوتر سيعمل بمنزلة «دراجة للعقل». وكان على الفريق أن يقنعه بالعدول عن ذلك.

وجد أحد مصممي البرمجيات، الذي كان يكتب برنامج رسم للماكنتوش، طريقة لرسم أشكال بيضوية ودوائر بسرعة، أعجب به جوبز، ولكنه طلب شيئًا آخر على الفور: «هل يمكن للبرنامج أن يرسم مستطيلات بزوايا مدورة أيضًا؟»

تردد المصمم، وأضاف أن ذلك سيكون شيئًا عسيرًا وغير ضروري حقًّا.

لكن جوبز لم يوافقه على الإطلاق، أصر قائلًا: «توجد مستطيلات بزوايا مدورة في كل مكان!»، وبدأ يشير إلى أمثلة في الغرفة. ثم اصطحب المصمم في جولة في أرجاء المنطقة المحيطة بالشركة، وأشار إلى لافتة «ممنوع الوقوف» وكانت بزوايا مدورة. وعندما رأى المصمم ذلك استسلم وأضاف «مستطيلات بزوايا مدورة» إلى قائمة أعماله.

أحيانًا، كان المصممون يقاومون، لكن ليس بصلابة شديدة. مل «كريس إسبينوزا»، الذي كان قد بدأ في جراج جوبز، من تعديل جوبز المستمر لتصميمه لآلة حاسبة صغيرة

كانت ستصبح جزءًا من الكمبيوتر. كلما رأى جوبز التصميم رفضه: الخطوط سميكة أكثر من اللازم، أو الخلفية قاتمة أكثر مما ينبغي، أو الأزرار ليست بالحجم المناسب.

أخيرًا، ابتكر إسبينوزا برنامجًا صغيرًا سماه «مجموعة ستيف جوبز لبناء الآلة الحاسبة التي تروق لك»، متيحًا لجوبز تعديل كل المتغيرات بنفسه. جلس جوبز أمام البرنامج وأخذ يعبث لبعض الوقت، واستقر في النهاية على اختياراته. وصار هذا هو تصميم آلة ماكنتوش الحاسبة لسنوات عديدة.

وبينما كان العمل يتقدم، انتاب جوبز القلق من أن يستغرق تشغيل الكمبيوتر الصغير وقتًا طويلًا جدًّا. وقد حث الفريق على اختصار الوقت بعمليات رياضية بسيطة للتشويش على الواقع، مخمنًا أنه في خلال بضع سنوات سيكون هناك خمسة ملايين مستخدم لـ «الماك» يوميًّا، وهو تقدير سخيف بالنظر إلى بيع بضع مئات الألوف وحسب من أجهزة أبل ٢ على مدى عدة سنوات. وذكر أن توفير عشر ثوانٍ من وقت التحميل يعني توفير ٥٠ مليون ثانية يوميًّا. قال لهم: على مدى سنة، ربما يوفر ما يعادل حياة عشرات الأفراد.

ثم أخذته الحماسة قائلًا: إذا استطعتم أن تجعلوه يحمل أسرع بعشر ثوانٍ، سوف توفرون ما يعادل أعمار عشرات الأشخاص. إنه أمر يستحق العناء حقًّا، ألا تعتقدون ذلك؟

توصل الفريق لطريقة يمكنه بها أن يختصر زمن التحميل.

في كل شيء، كان يبحث عن الأيسر والأبسط في الاستخدام، لأنه وفقًا للنشرة الأصلية: «البساطة هي قمة الأناقة». قال جوبز: حين تلقي نظرة أولى على أي مشكلة، يبدو لك الأمر سهلًا لأنك لا تعرف الكثير عنها. ثم «عندما تتعمق في المشكلة تكتشف أنها معقدة حقًّا وتتوصل إلى الكثير من الحلول بالغة التعقيد».

يقول: يتوقف معظم الناس عند هذه النقطة. لكن السر يكمن في الاستمرار والمحاولة، حتى تجد «السبب الأساسي الكامن وراء المشكلة، حتى تجد حلًّا جميلًا وأنيقًا». ربما ركز جوبز بشدة على ما يجب أن يزيله من المنتج بقدر تركيزه على ما يضعه فيه، مستلهمًا ذلك من دراسته لـ «الزن».

أولى اهتمامًا خاصًّا بشكل «ماك». مرة أخرى درس جوبز الأدوات المنزلية، خصوصًا منتجات «كويزينارت» (Cuisinart). أخذ الكمبيوتر شكلًا أطول وأرفع، وذلك عوضًا عن شكله الأولي كمجرد صندوق مستطيل، بحيث يشغل مساحة أقل على المكتب. وعلى عكس أبل ٢، كانت لوحة المفاتيح منفصلة.

من وجهة نظر جوبز كانت النسخ الأولى تشبه الصناديق أكثر من اللازم. أصر على مطلبه قائلًا: «لا بد أن يتمتع بالمزيد من الاستدارات.» أخيرًا، حين وافق على التصميم، طلب من الأعضاء الأساسيين في الفريق التوقيع بأسمائهم على القالب. في لمسة خاصة، دمغت توقيعاتهم داخل هيكل الجهاز. وعلى الرغم من أن تلك التوقيعات لم يكن ليراها سوى الفنيين، كان مهمًّا أن يوقع الفنانون على أهم أعمالهم.

وكان في الكمبيوتر الجديد مشغل أقراص مرنة من نوع جديد أيضًا، يشغل أقراصًا حجمها ثلاث بوصات ونصف البوصة مغلفة ببلاستيك صلب — صغيرة بما يكفي لأن توضع في جيب القميص — بدلًا من الأقراص الأكبر الضعيفة. والأقراص المرنة هي أقراص تخزين يستطيع المستخدم حملها إلى أي مكان. النموذج الأول كان عرضه ٨ بوصات، والنسخة الثانية كان طولها ٥,٢٥ بوصة، وكان يخزن معلومات أكثر بثلاث مرات. أما القرص بحجم ٣,٥ فكان يحمل أكثر، لكنه لم يعد مرنًا فقد تم تغليفه بالبلاستيك. مع أنها لم تعد تستخدم إلا نادرًا الآن، إلا أن هذه الأقراص لا تزال تظهر كأيقونة «الحفظ» في معظم برامج الكمبيوتر، وتم استبدالها بأجهزة أخرى مثل اليو إس بي (USB) والأقراص الصلبة الخارجية. لكن في الوقت نفسه، دفع جوبز بقرارات مثيرة للشك على الرغم من اعتراضات الفريق. لإرغام المشترين على استخدام الماوس، أزال مفاتيح الأسهم التي تحرك المؤشر من لوحة المفاتيح. ومع أن مشغلات القرص الصلب الموضوعة داخل الكمبيوتر كانت لها قدرة تخزين أكبر من مشغلات القرص المرن، وكانت قد أصبحت منتشرة، رفض أن يضع أحدها في «الماك» لأنه لم يكن يريد أن يضيف مروحة مزعجة للمحافظة على برودته، ووافق على تصميم بذاكرة ١٢٨ كيلوبايت (أو ١٢٨ ألف بايت) فقط، وهي كمية ضئيلة بالنسبة إلى الجهاز ذي التفاصيل الكثيرة على الشاشة. في المقابل، صمم «ليزا» بذاكرة تبلغ عشرة أضعاف هذه الذاكرة. تجاهل جوبز الدرس الذي حاول وزنياك أن يعلمه له بوضع فتحات لإضافات في أبل ٢، مما أدى لكون الماكنتوش صعب الفتح جدًّا بحيث لم يستطع سوى المهووسين بالتكنولوجيا من ذوي العزم والإصرار أن يتوصلوا إلى كيفية إضافة مزيد من الذاكرة.

وبينما كان جوبز يقود الفريق بلا هوادة، أعطاهم أيضًا انطباعًا بأنهم أكثر العاملين في أبل بذلًا للمجهود. أبقى الثلاجة مليئة بعصائر الفواكه الغالية ودفع مقابل جلسات التدليك للمهندسين المجهدين. وترسخت لدى الفرق الأخرى بأبل فكرة أن مجموعة جوبز متغطرسة ومدللة.

وبينما كان العمل في الماكنتوش يشارف على الاكتمال، أدركت أبل أنها تحتاج إلى تحقيق نجاح غير مسبوق. ومع أن أجهزة أبل ٢ المتنوعة لم تنل ما تستحق داخل أبل، فإن الشركة كانت لا تزال تعتمد عليها بشكل أساسي. وبفضل «ماركولا» وجوبز، كان الكمبيوتر قد أحرز تقدمًا كبيرًا في المدارس وبين طلاب الجامعات، بتعريف شباب أمريكا بالحوسبة، لكن الصناعة كانت تتغير بسرعة.

في ١٩٨١م، دخلت «آي بي إم» العملاقة أخيرًا مجال الكمبيوتر المكتبي بالكمبيوتر الشخصي أو «بي سي» (PC: Personal Computer). أول كمبيوتر شخصي كان جهازًا اسمه «ألتير». «البي سي» هو مصطلح عام للكمبيوترات التي تستخدم نظام تشغيل مايكروسوفت. أجهزة أبل تعتبر كمبيوترات شخصية أيضًا، لكنها تسمى «ماك»، وهو تمييز تم استخدامه في دعايات «الماك» و«البي سي». كانت أبل واثقة إلى درجة الغرور من كونها اللاعب الأقوى إلى الدرجة التي اشترت معها إعلانًا بطول صفحة كاملة في صحيفة «وول ستريت جورنال» كتب فيه: «بكل أمانة: أهلًا «آي بي إم». مرحبًا بك في أكثر الأسواق إثارة وأهمية منذ بدأت ثورة الكمبيوتر منذ ٣٥ عامًا.»

ولأن أبل كانت صاحبة السبق في المجال، ولأنه لم يكن هناك شيء مميز أو حتى ممتع في الكمبيوتر الشخصي الذي أنتجته «آي بي إم»، استهزأ طاقم أبل الشاب به. لكن بنظرهم إلى الجهاز وحسب، تجاهلوا سمعة «آي بي إم» الممتازة، وقوة مبيعاتها الجبارة، والنفوذ الهائل الذي كانت تتمتع به بين الشركات التجارية. لم يفهموا أن أي مدير لقسم التكنولوجيا بأي شركة قد يعرض نفسه للمشاكل بشرائه جهاز من شركة مغمورة، لكن لم يكن من الممكن أبدًا أن يتم فصل أحدهم لشرائه كمبيوتر «آي بي إم».

بالفعل، لم يكن الكمبيوتر عظيمًا، لكنه كان جيدًا بما يكفي، ونمت مبيعات «آي بي إم» بسرعة، بينما اجتذبت المزيد والمزيد من العملاء.

وحتى يضمن تمتع «الماك» بالبرمجيات، سافر جوبز في ١٩٨١م إلى «سياتل» ليقابل «بيل جيتس» و«بول ألن»، المؤسسين الشابين لشركة مايكروسوفت للبرمجيات. قبل ذلك بسنوات، كانت مايكروسوفت قد كتبت أول برنامج «بيسيك» لجهاز «ألتير»، وكانت أيضًا قد كتبت نسخة «البيسيك» التي تعمل على أبل ٢. كما ابتكرت مايكروسوفت نظام تشغيل لكمبيوتر «آي بي إم»، وهو البرنامج الذي يحدد لجهاز الكمبيوتر ما يفعله ويوفر الأساس لكل شيء آخر.

عقد جوبز اللقاء على أمل إقناع مايكروسوفت بعمل شيء مختلف؛ أراد من الشركة أن تبتكر برنامج جدولة لـ «ماك» يجعله مفيدًا في الأعمال، بما يشبه الدفعة القوية التي

منحتها «فيزيكالك» لأبل ٢. في أثناء اجتماعهم، عبر جوبز و«جيتس» عن آراء شديدة الاختلاف بشأن الاتجاه الذي يسير فيه الكمبيوتر الشخصي.

بالنسبة إلى جوبز، كان الكمبيوتر المكتبي من أجل المثقفين وطلاب الجامعات، وللاستخدام المنزلي، وخليط من صغار المديرين والعاملين بالسكرتارية. وكان يجب على كل جهاز أن يكون أداة مميزة ومدهشة لتحسين حياتهم. لكن تصور «جيتس» كان عن شيء أكبر وأقل خصوصية بكثير. كان الكمبيوتر، بالنسبة إليه، أداة للمساعدة في إدارة الأعمال بشكل أفضل. كانت له رؤية تتضمن شبكات الحواسب، وهي تعمل معًا للمساعدة في ربط الأعمال والقيام بحساباتها ومبيعاتها. على مدار السنوات القليلة التالية، أثبتت رؤية «جيتس» كونها الأكثر دقة، لكن رؤية جوبز كانت هي الرؤية التي سادت في أبل.

زاد دخول «آي بي إم» إلى أعمال الكمبيوتر وإضافة المزيد من البرامج والذاكرة الأكبر والمعالجات الأسرع من الاهتمام بمجال الكمبيوتر. وبدلًا من اختيار شخص واحد باعتباره «رجل العام»، اختارت مجلة «تايم» الكمبيوتر الشخصي ليكون «آلة العام» لسنة ١٩٨٢م. لكنها صورت شخصًا واحدًا فقط بوصفه صوتًا ووجهًا للثورة؛ ستيف جوبز. كتبت المجلة: «كان ستيف جوبز، بمعسول كلامه عن منتجه وما يقدمه وإيمانه الأعمى بما يفعل، أكثر من أي شخص آخر. هو من فتح الباب على مصراعيه ليدخل الكمبيوتر الشخصي حياة الناس.»

بالنسبة إلى السنة المالية التي انتهت في سبتمبر ١٩٨٢م، باعت أبل رقمًا قياسيًّا بلغ سبعة آلاف كمبيوتر أبل ٢. وعلى الرغم من مشاكلها مع أبل ٣، بلغت مبيعاته ٥٨٣ مليون دولار، بما يكفي لوضعها على قائمة «فورتشن ٥٠٠» لأكبر الشركات الأمريكية للمرة الأولى؛ كما تنبأ «ماركولا» قبل ذلك بسنوات.

لكن الأوقات الطيبة لا تدوم. في خلال سنتين، كانت «آي بي إم» تبيع حواسب أكثر من أبل، وكانت شركات البرمجيات تنتج برامج للكمبيوتر الشخصي لـ «آي بي إم» أكثر بكثير مما تنتجه لأبل. وسارع صناع آخرون للكمبيوتر بترخيص نظام تشغيل مايكروسوفت بحيث يمكن أن يشغلوا كل البرامج الجديدة لـ «آي بي إم». لم يمر وقت طويل حتى كانت معظم الكمبيوترات المكتبية تتحدث اللغة نفسها؛ أي تشغل البرمجيات نفسها التي يشغلها كمبيوتر «آي بي إم». أما بالنسبة إلى الكمبيوترات التي لم تتحدث تلك اللغة، مثل أبل، فقد كانت تواجه مستقبلًا غامضًا.

قوبل كمبيوتر «ليزا» في ١٩٨٣م باحتفاءٍ كبير، وكان ابتكاره قد تكلف ٥٠ مليون دولار تقريبًا. كان أول كمبيوتر يستخدم الماوس، وأول كمبيوتر يقدم نظام القوائم

والملفات الذي أبهر جوبز عند زيارته لزيروكس. كان محملًا بذاكرة كبيرة ومشغلين للأقراص المرنة، وجاءت معه أيضًا بعض البرامج سهلة الاستخدام. وبينما كانت معظم البرامج في ذلك الوقت يستغرق تعلمها أيامًا، كان من الممكن التمكن من برامج «ليزا» في ساعتين. لكن كل هذه الإضافات جعلت سعره يصل إلى عشرة آلاف دولار، ولم تكن هناك برامج أخرى متوفرة. انبهرت جماهير التكنولوجيا، لكن معظم الزبائن المحتملين لم يتفهموا هذا السعر المبالغ فيه.

وبينما كان جوبز يروج للجهاز الجديد في الصحافة، لم يستطع مقاومة التلميح إلى ماكنتوش. بدأ الاهتمام بـ «ليزا» يقل قبل طرحه في السوق، لأن الناس عرفوا أن هناك كمبيوترًا بقدرات مماثلة على وشك الظهور بسعر أقل بكثير. ومما زاد الطين بلة أن البرمجيات المعدة لـ «ليزا» لم تكن تعمل على ماكنتوش. بالإضافة إلى التنافس مع «آي بي إم»، بدا أن قسمًا من أبل يخوض معركة ضد قسم آخر.

كانوا يخوضون معركة ضد مايكروسوفت أيضًا. في أواخر ١٩٨٣م، قبل طرح «ماك» رسميًّا، أعلنت مايكروسوفت أنها ستبتكر نظام تشغيل لـ «أي بي إم» ومقلديه يسمى «ويندوز» (النوافذ)، بحيث يتضمن أيقونات ونوافذ وماوس؛ مثل «ماك» بالضبط. وكان «جيتس» قد وعد بالانتظار عامًا بعد تاريخ طرح «ماك» قبل أن يبيع ما يسمى بالواجهات الرسومية. لكن حيث إن «ماك» تأخر عامًا تقريبًا عن الموعد المحدد، لحقت به مايكروسوفت.

استشاط جوبز غضبًا واستدعى «جيتس» إلى المقر الرئيسي لأبل في مدينة كوبرتينو، ليصرخ فيه أمام مديري أبل، لكن لم تهتز لـ «جيتس» شعرة. قال لجوبز والآخرين في غرفة الاجتماعات: «ولكن، يا ستيف، أظن أن الأمر يمكن النظر إليه بأكثر من طريقة. أعتقد أن المسألة هي أننا كان لدينا هذا الجار الغني المدعو زيروكس، وقد اقتحمت منزله لأسرق جهاز التلفزيون فوجدت أنك قد سرقته قبلي.»

في الواقع، استغرق الأمر سنوات طويلة لتتمكن مايكروسوفت من منافسة أبل، لكن ذلك لم يهدئ من غضب جوبز. وكان جوبز لا يزال يعتقد أن وليده وحده سوف يقود ثورة الكمبيوتر. في نهاية الشهر الذي انطلق فيه «ليزا»، ناشد فريق «ماك» على العمل بالمزيد من الجد مستخدمًا عبارات قوية. قال لهم: «الفنانون الحقيقيون ينطلقون.» وكان يعني بذلك أنه لم يعد من المقبول التخلف عن المواعيد المحددة، وأنهم يجب أن يخرجوا منتجهم إلى النور. وكتب: «من الأفضل أن تكون قرصانًا على أن تلتحق بالأسطول البحري.» ملمحًا إلى أن تكنولوجيا مجموعته المتمردة أفضل بكثير مما يقدمه الآخرون.

ألهم الفريق؛ ابتكر اثنان منهم راية قرصان، بجمجمة وعظمتين متقاطعتين، وشعار أبل الملون كرقعة للعين، وجعلوه يرفرف على مبنى ماكنتوش. كانوا قد قدموا كل ما لديهم. لكن هل انتهى بهم المطاف حقًّا إلى الفوز بالغنيمة؟

أجهزة أبل للمعلم

مع بداية تأسيس الشركة تقريبًا، ساعدت أبل على وصول الكمبيوترات إلى المدارس.

حين كانت ابنة «ماركولا» في المدرسة الابتدائية في ١٩٧٨م، بدأ يعتقد أن الكمبيوتر يمكن أن يساعدها على تعلم الرياضيات. باستلهام هذه الفكرة، تشكلت مؤسسة أبل التعليمية لتقدم المال والكمبيوترات للمعلمين وآخرين ممن يرغبون في كتابة البرمجيات التعليمية.

كانت حركة ذكية؛ فقد توفر المزيد من البرمجيات التعليمية لحواسب أبل ٢، واشترتها المدارس أكثر مما اشترت الأنواع الأخرى، وتعرف كثير من الشباب على الكمبيوترات للمرة الأولى عن طريق أبل. ولأن الأطفال تعرفوا على الكمبيوترات في المدرسة، فقد طلبوا من آبائهم أن يشتروها لهم.

في أوائل ثمانينيات القرن العشرين، حاول ستيف جوبز أن يقنع الكونجرس بتمرير مشروع قانون يسمح لأبل بالتبرع بمائة ألف كمبيوتر للمدارس في مقابل خصم ضريبي. سماه جوبز بقانون «الأطفال لا يستطيعون الانتظار»، لكن القانون لم يتم الموافقة عليه من قبل مجلس الشيوخ. لكن كاليفورنيا وافقت على العرض، وانتهى الأمر بتبرع أبل بعشرة آلاف كمبيوتر تقريبًا لمدارس الولاية.

حاولت الشركة أن تبني نفس النوع من الارتباط بين ماكنتوش وطلاب الجامعة، مشجعة الجامعات على أن تلتزم بإنفاق ملايين الدولارات لتوفير الكمبيوترات الشخصية في برامجها الدراسية. ومرة أخرى، نتيجة لذلك، كانت كمبيوترات أبل على قمة الاختيارات في الجامعات.

وحتى اليوم، تمنح أبل خصمًا لطلاب الجامعات الذين يشترون كمبيوتراتها. وفي عام ٢٠١١م، رتبت الشركة أن يتسلم تسعة آلاف من خريجي الجامعات جهاز «آيباد» مجددًا لاشتراكهم في برنامج «التدريس لأمريكا».

الفصل الحادي عشر

سكلي

بفضل الشهرة الغامرة لأبل ٢، كانت مبيعات أبل لا تزال ترتفع. لكن شاعت نكتة في وادي السيليكون: ما الفرق بين أبل وأطفال الكشافة؟

الإجابة: يتمتع أطفال الكشافة بإشراف الراشدين عليهم.

بعد رحيل «مايك سكوت»، كانت أبل في حاجة إلى قائد حقيقي، شخص يستطيع توجيه طاقة جوبز وشغفه، ويحسن الاستفادة من كل ما في الشركة من ذكاء وقدرات إبداعية خلاقة شابة. في ١٩٨٢م، قاد هذا البحث جوبز و«مايك ماركولا» إلى «جون سكلي»، القائد النشط لشركة «بيبسيكو». كان سكلي قد حظي باهتمام قومي مع التسويق الماهر والحملة الدعائية القوية التي سميت بـ «تحدي بيبسي»، خصوصًا بعد أن تجاوزت مبيعات بيبسي مبيعات كوكاكولا لفترة. كان رجل تسويق يعرف كيف يبيع لجيلٍ أصغر.

خطب جوبز ود سكلي لأشهر، حيث اجتمع به في نيويورك وأيضًا حين زار سكلي كاليفورنيا. في البداية لم يكن سكلي يعرف الكثير عن أبل، لكن في أثناء رحلة إلى لوس أنجلوس لزيارة ابنه ذي السبعة عشر عامًا وابنته ذات التسعة عشر عامًا، عرف بسرعة أنه يتعامل مع شركة ناجحة. طلب من ولديه أن يصطحباه إلى متجر كمبيوتر، وذكر أنه على وشك أن يقابل ستيف جوبز من أبل. وعلى الرغم من أن ولديه المراهقين كانا يذهبان إلى المدرسة مع أبناء المشاهير، جاء رد فعلهما وكأنه على وشك أن يقابلا نجمًا كبيرًا من نجوم موسيقى «الروك».

قالت ابنته: «ستيف جوبز؟! هل أنت ذاهب للقاء ستيف جوبز؟»

أصر سكلي مرات ومرات في أثناء زياراته على أنه سعيد في وظيفته، وأنه يحب ساحل أمريكا الشرقي حيث مقر شركة «بيبسيكو». لكن بمجرد أن قرر جوبز أن سكلي هو الرجل المناسب، استخدم كل قوة سحره. أخيرًا، بعد زيارة طويلة ذات يوم في نيويورك،

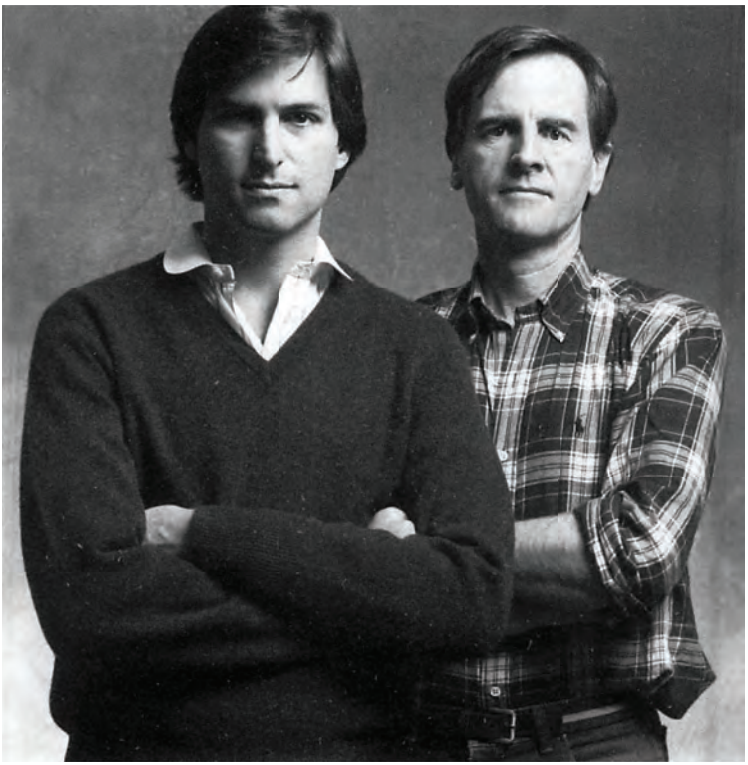

«جون سكلي» (إلى اليمين) مع ستيف جوبز سنة ١٩٨٤م، السنة السابقة على الخلاف بينهما.

استخدم جوبز التحدي الذي غير من رأي سكلي: «هل تريد أن تقضي بقية حياتك تبيع ماءً مسكَّرًا أو تريد فرصةً لتغيير العالم؟»

انضم سكلي وهو في الرابعة والأربعين إلى أبل في ربيع ١٩٨٣م، براتب مليون دولار ووُعد بمليون آخر كعلاوة.

سارت الأمور بينه وبين جوبز بشكل رائع في البداية، وكانا يتحدثان عدة مرات يوميًّا، ويسيران لمسافات طويلة معًا، وأصبحا مقربين للدرجة التي أصبح كل منهما يفكر كالآخر، بل ويعلم ما هو على وشك قوله، حتى إن جوبز، في أثناء تناول الفطور ذات يوم في منزله مع سكلي وزوجته، أخبرهما عن سبب تعجله بهذه الطريقة. قال جوبز: «وقتنا

جميعًا قصير على هذه الأرض. على أغلب الأمر لا تتوافر لنا سوى بضع فرص للقيام بأشياء عظيمة ولتحقيقها بشكل جيد حقًّا ... أشعر بأن عليَّ أن أحقق الكثير من هذه الأشياء وأنا شاب.»

رأى سكلي شبابه في حماس جوبز والتزامه: «انبهرتُ بعقله ورؤيته وموضعي فيها. كان بإمكاني أن أساعد ستيف ليصبح هنري فورد عصر الكمبيوتر.»

كان لجوبز عدة أبطال من بينهم: «إدوين لاند» مؤسس «بولارويد»، والمخترع توماس إديسون، وهنري فورد الذي أخذ منتجًا غاليًا — السيارة — وتبنى طرق تصنيع أكثر كفاءة حتى يتمكن من بيعه للجمهور بسعر مناسب. كان جوبز يريد كمبيوترًا للجمهور بالمثل، بحيث يكون مصممًا للمستخدم، وليس للمتخصصين في أقسام التكنولوجيا في الشركات.

ليحقق حلمه، أراد أن يكون سعر ماكنتوش ٢٠٠٠ دولار، ولكنه كان يريد أيضًا ميزانيةً دعاية ضخمة. أخبره سكلي بأنه لا يستطيع تحقيق الأمرين معًا، فإذا كان سينفق الكثير على التسويق، لا بد أن يؤخذ ذلك بعين الاعتبار عند تحديد السعر. وأقنع جوبز في النهاية بأن عليه أن يبيع الماكنتوش بسعر ٢٤٩٥ دولارًا، وهو سعر رأى جوبز أنه مرتفع جدًّا.

على الرغم من هذا الاختلاف، قام سكلي بحملة دعائية هائلة لإطلاق الكمبيوتر الجديد. تم إعداد إعلان تلفزيوني خاص تميز بالغرابة وبكونه غير تقليدي بالمقارنة بأي إعلان تم إنتاجه. أعجب الرجلان كلاهما به، لكن حين عرضاه على مجلس إدارة أبل، رفضوه جميعًا. كانت الشركة قد دفعت ٧٥٠ ألف دولار للإعلان، وقد أخرجه «ريدلي سكوت» مخرج الفيلم الشهير «بليد رانر» (Blade Runner)، وتم التعهد بإنفاق ٨٠٠ ألف دولار لبثه على الهواء في أثناء مباريات «السوبر بول». ولكن بعد رفض مجلس الإدارة للإعلان، بدا فعل ذلك هو الحمق بعينه.

طلب الاثنان من الوكالة أن تبيع وقت الإعلان لشخص آخر، لكن حين عادت الوكالة لتقول إنها لم تستطع أن تحصل على ثمن مناسب، قررت أبل أن تمضي قدمًا مع الإعلان.

في أثناء الربع الثالث من تفوق فريق «لوس أنجلوس رايدرز» على «واشنطن ردسكينز» في نهائي «السوبر بول»، أظلمت شاشات التلفزيون عبر أمريكا قبل أن تدخل صفوف من رجال حليقي الرءوس يرتدون ملابس فضفاضة ويسيرون بشكل رتيب إلى غرفة ويجلسون على آرائك خشبية. بوجوه خلت من التعبير، يشاهدون شاشة، حيث يُلقي

عليهم محاضرةً شخص دمج بين شخصية الساحر «أوز» والأخ الأكبر (من كتاب جورج أورويل «١٩٨٤»)، في إشارة ماكرة إلى «آي بي إم». تقطع الكاميرا على امرأة شقراء تدخل جريًا إلى الغرفة ومعها مطرقة ثقيلة مرتدية شورتًا أحمر وتيشيرت ماكنتوش. تتوقف فجأة وتطوح المطرقة وتقذفها إلى الشاشة التي تنفجر في ضوء ساطع.

يبدأ الراوي بالكلام: «في ٢٤ يناير، ستطرح أبل كمبيوتر ماكنتوش.» وفي إشارة إلى الرواية الكلاسيكية لـ «جورج أورويل»، يضيف: «وسوف تعرفون لماذا لا تشبه سنة ١٩٨٤م رواية ١٩٨٤.»

كان الإعلان مخيفًا بعض الشيء، وغريبًا، وساحرًا تمامًا. وبالنسبة إلى كثيرين من المائة مليون شخص الذين شاهدوه، كان أفضل ما في المباراة.

بعد بضعة أيام، أعطى جوبز مقدمة رسمية لحاملي أسهم أبل في الاجتماع السنوي. قدم جوبز الجهاز الجديد باعتباره جزءًا من المواجهة الحاسمة بين أبل و«آي بي إم»، ثم أشعل حماس الحشد بعرض الإعلان مرة أخرى. ثم أثبت جوبز نفسه كمخرج استعراضي، فأخرج جهاز ماكنتوش من حقيبة يد، واصفًا خصائصه المميزة، وأخرج قرصًا مرنًا صغيرًا من جيب قميصه. بينما كان «الماك» يشغل القرص، بدأ في عرض مهاراته: الخطوط، والجداول، والألعاب، والرسوم. وأخيرًا، ضغط جوبز زرًّا على الماوس، وبصوت كمبيوتر، بدأ الجهاز يتحدث: «أهلًا، أنا ماكنتوش. إنه لأمر عظيم أن أخرج من تلك الحقيبة.»

تحمس الحشد بشدة.

في الأسابيع القليلة التالية، أوصل جوبز بنفسه أجهزة الماكنتوش إلى المغني «ميك جاجر» (تركه مع ابنته)، وإلى «شون لينون» الابن الأصغر لـ «يوكو أونو»، والراحل «جون لينون»، بالإضافة إلى مشاهير آخرين. منح عشرات الصحفيين إحاطات مبكرة ومفصلة عن الجهاز، وامتلأت المجلات والصحف بالثناء عليه. طارت الأجهزة من على رفوف المتاجر في هوجة شراء جبارة، وبيع حوالي ٧٠ ألف جهاز في مائة يوم، بما يزيد على المبيعات الأولية لكمبيوتر «آي بي إم» الشخصي.

لم تستمر نوبة الجنون بالماكنتوش طويلًا. بعد الارتفاع المبدئي المبكر، بدأت المبيعات تتراجع. في عيد الميلاد «الكريسماس» في ١٩٨٥م، توقعت أبل بيع حوالي ١٥٠ ألف جهاز، لكنها لم تبع إلا ١٠٠ ألف. ثم هبطت المبيعات أكثر.

هبَّطت كل القيود التي فرضها جوبز من عزيمة المشترين الجدد، كالذاكرة الضئيلة، وغياب فتحات التوسع، ومفاتيح المؤشرات، ومشغل القرص الصلب. كانت الذاكرة الضئيلة

إعلان أبل «١٩٨٤م» الذي عرض في أثناء مباراة «السوبر بول»، بالإضافة إلى مشاهيرٍ يصور امرأة ترتدي شعار أبل وتجري بين صفوفٍ من رجال أعمال يرتدون ملابس فضفاضة لتحطم شاشة كبيرة عليها وجه الأخ الكبير. نال الإعلان أربع جوائز مختلفة، ويعتبر من أفضل الإعلانات على مر العصور.

إحدى أكبر المشاكل. قارنها أحد المشتغلين في أبل بمحاولة تشغيل سيارة «هوندا» بخزان وقود لا يسع إلا جالونًا واحدًا. ولأن استمرار الأنشطة على الشاشة كان يتطلب قدرًا كبيرًا من ذاكرة الكمبيوتر، لم يكن لبرنامج معالجة النصوص أن يعالج أكثر من ثماني صفحات في المرة، تكفي بالكاد لكتابة فصل. وبسبب ارتفاع حرارته، سمى بعض النقاد «ماك»: «آلة تحميص الخبز البيج».

والأسوأ من ذلك أنه في بداية ١٩٨٥م، ضربت أبل بإعلان آخر مكلف، أذيع أيضًا في مباراة «السوبر بول»، يصور مستخدمي الكمبيوتر الشخصي وكأنهم قطيع من القوارض يتبع كل منهم الآخر إلى هاوية. واعتبر الإعلان إهانة لمن اشتروا معظم الحواسب الشخصية، وخلف وراءه انطباعًا سيئًا.

في بداية ١٩٨٥م بلغ جوبز الثلاثين، وأقام حفل عشاء راقصًا وفاخرًا لثلاثمائة شخص، وأحيته المطربة «إيلا فيتزجيرالد». أحضر له ضيوفه هدايا خاصة: نبيذًا فاخرًا، كريستالًا، طبعةً أولى من كتاب، وحتى أسهمًا في إطار من أسهم «آي بي إم». لكنه تركها كلها في غرفة الفندق، لم يكن مهتمًّا بتلك الأشياء المادية.

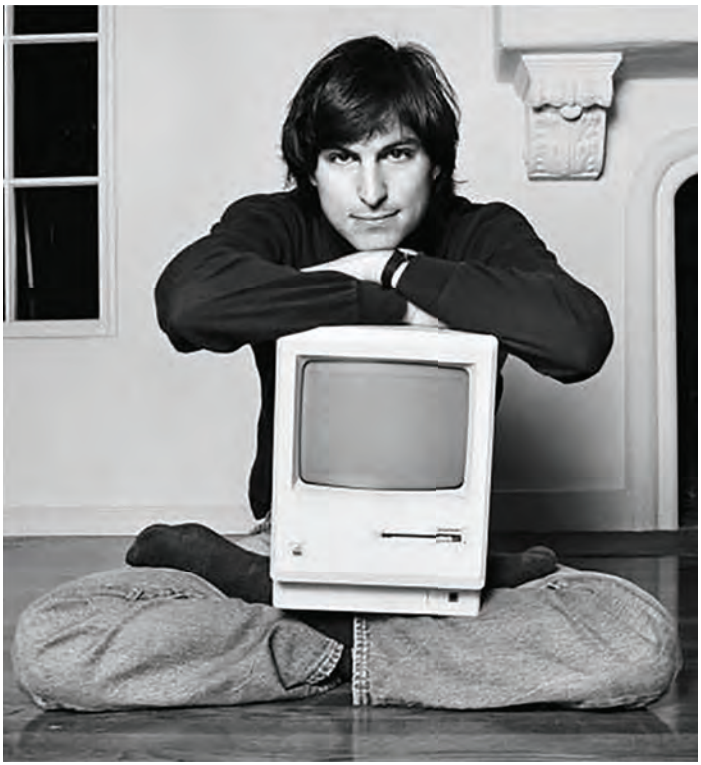

ستيف جوبز مع «ماكنتوشه» المحبوب في بيته في ١٩٨٤م.

في ذلك الوقت، أجرَت معه إحدى المجلات حوارًا طويلًا. كانت أسهم أبل التي كانت قد صعدت إلى ٦٣,٥٠ دولارًا للسهم الواحد في أثناء الضجة التي أثارها «ليزا» في منتصف ١٩٨٣م، قد هبطت، وتهاوت قيمة أسهم جوبز بأكثر من ٢٠٠ مليون دولار، وكانت قد تخطت حاجز الـ ٤٥٠ مليون دولار. سخر من الخسارة الهائلة قائلًا: «لا يعدو ذلك أن يكون حدثًا واحدًا من ضمن ما مر بي في السنوات العشر الأخيرة.»

كان يفكر في قولٍ هندوسي قديم: «في الثلاثين سنة الأولى من عمرك تصنع عاداتك، وفي الثلاثين سنة الأخيرة تصنعك عاداتك.» وكان يتأمل في حال أبل، شبه متنبِّئ بتغيرات هائلة قادمة: «آمل خلال حياتي أن أجعل خيط حياتي وخيط أبل يتداخلان بطريقة ما، كالنسيج. ربما يغيب خيطي لبضع سنوات، لكنني سأعود دائمًا.»

كان صديقه القديم ستيف وزنياك قد فعل ذلك؛ بعد حصوله على الدرجة الجامعية، عاد إلى أبل سنة ١٩٨٣م ليعمل على تطوير أبل ٢. لكن في فبراير ١٩٨٥م، تركها مرة أخرى، قائلًا إنه يريد تطوير نوع جديد من أجهزة التحكم عن بعد. وانزعج أيضًا من أن الشركة التي شارك في تأسيسها كانت تتجاهل أبل ٢ بشكل شبه تام، وتركز بصورة متكررة على أحدث الكمبيوترات في الوقت الذي كانت فيه أجهزة أبل ٢ توفر معظم مبيعاتها. كما كشف وز أنه قد باع معظم أسهمه، واضعًا ٧٠ مليون دولار في استثمارات آمنة.

لكنه لم يغادرها تمامًا؛ بقي مستشارًا بمرتب متواضع، يقال إنه ١٢ ألف دولار، وبقي ممثلًا عامًّا لأبل.

في مارس ١٩٨٥م، كرم الرئيس رونالد ريجان جوبز ووزنياك، مع آخرين، بأول وسام وطني للتكنولوجيا والابتكار. ولأن وزنياك كان قد ترك الشركة للتو، لم ترسل أبل وفدًا ولم تخطط للاحتفال. توقف الاثنان ببساطة عند محل ساندويتشات بعد انتهاء مراسم تسلم الوسام.

كان سكلي أيضًا مشغولًا تمامًا. لم يكن من الممكن أن تتحمل أبل فشل «الماك»؛ فيما يشكل ضربة ثالثة بعد مهزلة أبل ٣ ونتائج «ليزا» الضعيفة، حيث حقق مبيعات أقل من نصف المتوقع.

وسط هذا الجو المضطرب، بدأ جوبز وسكلي يتشاجران، ويتهم كل منهما الآخر. أدرك سكلي أنه، أيضًا، كان قد وقع تحت تأثير مجال تشويش الرؤية عند جوبز. خلص إلى أن جوبز كان يتدخل فيما يتعلق بالعمليات الأخرى، ويصدر أوامر كثيرة جدًّا، ويغير الخطط، ولا يحقق التغيرات التي كان ماكنتوش في أشد الحاجة إليها. شكك جوبز في قدرة سكلي وفي فهمه للتكنولوجيا وتجارة الكمبيوتر.

في اجتماع لمجلس الإدارة في أبريل ١٩٨٥م، وبخ المديرون القدامى سكلي بعنف. كان قد عُيِّن رئيسًا تنفيذيًّا، وكان المطلوب منه أن يمسك بزمام الأمور، لا أن يشارك جوبز فيها. وحين قالوا «إن جوبز يتصرف مثل طفل مزعج وسخيف.» أوضحوا بجلاء أنه سيتم استبدال جوبز كرئيس القسم المشترك الجديد لـ «ماك» و«ليزا» بشخص أكثر خبرة. وأعطى مجلس الإدارة، ومن بينهم «مايك ماركولا»، سكلي حرية إجراء التغييرات حين يكون مستعدًّا.

لم يكن جوبز، خلال طفولته، ومراهقته، ونضجه حتى ذلك الوقت، قادرًا على قبول كلمة «لا». مارس ضغوطه على سكلي لتأجيل التنفيذ. بكى واعترض وشعر بالخيانة،

واصفًا سكلي بأنه «بوزو» — كلمة مفضلة لديه لوصف من يعتقد أنه غبي أو أحمق — حاول حتى أن يشرع في إحداث انقلاب بحشد المديرين الآخرين وأعضاء مجلس الإدارة لطرد سكلي، ولكن ذهب كل ذلك سدى.

حاول سكلي لبعض الوقت أن يقنعه بقيادة جهود أبل في البحث والتطوير، لكن جوبز رفض الفكرة. في بداية الصيف، نقل سكلي جوبز من رئاسة قسم ماكنتوش، قائلًا إن دوره الجديد سيكون «صاحب الرؤية العالمية». ونقل مكتب جوبز إلى مبنى تم إخلاؤه بالكامل تقريبًا، وسماه جوبز: «سيبيريا»، مشيرًا إلى خلاء المكان.

بعد ذلك بشهر، قال سكلي لمحللي «وول ستريت»: «بالنسبة إلى العمليات، ليس هناك دور لستيف جوبز اليوم أو مستقبلًا. لا أعرف ماذا سيفعل، وأظن أنه نفسه لا يعرف. ولن يخبرنا بذلك سوى الزمن وستيف جوبز نفسه.»

تألم جوبز بعمق، وشعر كأنه قد لُكم في بطنه بقوة جعلته لا يستطيع التنفس. كانت أبل هي تقريبًا النقطة الوحيدة التي تمحورت حياته كراشدٍ حولها. كلما حاول التقاط أنفاسه، أصبح الأمر أكثر صعوبة. قال: «كلما حاولت أن أتبين ما عليَّ أن أفعله أو أن أتفهم حياتي وما إلى ذلك، بدا الأمر بالضبط كأنني أحاول أن أتنفس بشكل أكثر صعوبة.»

قضى جوبز معظم الصيف في السفر؛ ذهب إلى أوروبا وروسيا مبعوثًا لأبل، وفكر لبعض الوقت أن يبقى في أوروبا كفنانٍ مغترب.

وفكر أيضًا في العمل بالسياسة، لكنه لم يصوت قط، وكان ذلك سوف يعتبر نقطة في غير صالحه.

كان مليونيرًا في الثلاثين من عمره، وفاشلًا في الشركة التي ساهم في تأسيسها. لم يكن يعرف ماذا يفعل.

أبطال

كان لستيف جوبز عدة أبطال، بدءًا من العالم النابغة «ألبرت أينشتاين» الذي كانت صورته معلقة في غرفة نوم جوبز، الخالية تقريبًا من الأثاث.

كما كان جوبز يبجل «أكيو موريتا»، أحد مؤسسي شركة الإلكترونيات العملاقة «سوني»، وكان يضع معايير رفيعة ويقدر الجمال. وحين مات «موريتا» في ١٩٩٩م، قدم له جوبز أسمى مديح ممكن في أثناء أحد عروضه التقديمية قائلًا: «إنه عبَّر عن حبه للجنس البشري في كل منتج صنعه.»

وكان هناك أيضًا «إدوين لاند»، الذي انقطع عن الدراسة في «هارفارد» وشيد شركة «بولاروید» بعد ابتكار كاميرا قادرة على التقاط الصور وإنتاجها في الحال تقريبًا، وقد وصفه جوبز بأنه «كنز قومي».

في ١٩٨٠م، طُرد «لاند» من «بولاروید» بعد محاولة لصناعة نظام سينمائي فوري لم يتمكن من منافسة تسجيلات الفيديو. وكان على الشركة أن تسلم بخسارة استثمارها الكبير. ضايق ذلك جوبز، وقال: «كل ما فعله أنه ضيع بضعة ملايين تافهة فأخذوا شركته منه.»

بعد عدة سنوات، التقى سكلي وجوبز بـ «لاند» في مختبره في كامبريدج، وشرح «لاند» اختراعه: «كنت أستطيع أن أرى ما ينبغي أن تكون عليه كاميرا «بولاروید». كانت حقيقية بالنسبة إلي وكأنها موضوعة أمامي قبل أن أصنع واحدة.»

أثَّر ذلك في جوبز، فقال: «هذا بالضبط ما كنت أرى عليه ماكنتوش. لم تكن ثمة وسيلة للقيام بإجراء بحث لاستطلاع آراء المستهلكين بشأنه، لذلك كان عليَّ أن أواصل وأبتكره ثم أعرضه على الناس بعد ذلك.»

وكان الأكثر تأثيرًا في جوبز أن «لاند» كان فنانًا وعالمًا في آن. كان «لاند» يريد لشركته، كما قال جوبز: «أن تقف في نقطة التقاء الفن والعلم، ولم أنسَ ذلك قط.»

الجزء الثاني

الفنانون الحقيقيون ينطلقون

الفصل الثاني عشر

نيكست (NeXT)

كانت القصة الأولى التي حكاها جوبز لخريجي ستانفورد سنة ٢٠٠٥م عن قِطع الأحجية التي إما أن تجمعها أنت وإما أن تتركها لتتجمع بنفسها.

أما قصته الثانية فقال إنها «عن الحب والفقدان».

قال، متذكرًا كيف بدأ أبل هو ووزنياك في جراج عائلته: «كنتُ محظوظًا. وجدت في وقت مبكر من حياتي ما أحب القيام به.»

كان سعيدًا بمساعدة أبل في نمو مبيعاتها إلى ملياري دولار تقريبًا، مع وجود أكثر من أربعة آلاف موظف، في عشر سنوات. كان الماكنتوش قد أحدث تأثيرًا هائلًا في عالم الكمبيوتر في الوقت الذي كان فيه سوبرمان التكنولوجيا يبلغ الثلاثين من عمره.

ثم أضاف: «وطُرِدتُ.»

كانت تجربةً مريرة. شرح أنه كان قد استخدم مديرًا موهوبًا، لكن بعد سنة: «بدأت رؤية كل منا للمستقبل تتباعد وتختلف، وفي النهاية انهارت علاقتنا.» (وكان ما حكاه جوبز هذه المرة ألطف من القصة التي طالما اعتاد سردها حول هذا الموضوع؛ كان عادة ما ينسب جميع المشاكل لسكلي، قائلًا في ١٩٩٥م: «عينتُ الرجل غير المناسب، فدمر كل ما عملتُ عشر سنوات لتحقيقه».)

دون أبل، كان جوبز مرتبكًا ومدمَّرًا، غير متأكد مما عليه أن يفعله بعد ذلك. لكنه قال فيما بعد: «تذكرت فجأةً أنني لا أزال أحب ما أفعله.»

حتى دون أبل، كان لم يزل بإمكانه السعي وراء رؤيته وشغفه، محاولًا ابتكار منتج عظيم آخر. وهكذا قرر أن يبدأ شركة أخرى.

بعد أن أخرج من أبل، أسس جوبز شركة سماها «نيكست» (NeXT).

في الواقع، لم يتعامل جوبز مع مسألة البدء مرة أخرى بشكل جيد. كان لم يزل رئيسًا لأبل حين توصل إلى أنه قد تكون هناك سوق لآلات قوية جدًّا بالنسبة إلى الجامعات، خصوصًا إلى العلماء الذين يحتاجون إلى إجراء عمليات المحاكاة لأغراض البحث، فقرر أن يبدأ شركة جديدة.

في البداية، وافق مجلس إدارة أبل له على بدء شركة جديدة وفكروا حتى في الاستثمار فيها، لكن خلال أيام، علم أعضاء مجلس الإدارة أن جوبز رتب الأمر مع خمسة من المهندسين ومندوبي المبيعات الذين سيتبعونه تاركين الشركة. تحول ردهم إلى غضب وانتابهم شعور بأنهم خُدِعوا.

وسط اللغط، استقال جوبز في سبتمبر ١٩٨٥م قائلًا في خطاب: «إعادة تنظيم الشركة مؤخرًا تركتني بلا عمل، ولم يكن هناك منفذ حتى لتقارير الإدارة المعتادة. لا أزال في الثلاثين ولا أزال أرغب في المساهمة والإنجاز.»

كان رد فعل أبل هو مقاضاة جوبز واتهامه بأنه أخذ معه أسرارًا تجارية (وتم تسوية الدعوى القضائية في خلال أشهر قليلة، بموافقة جوبز على التركيز على سوق مختلفة عن سوق أبل).

ورد جوبز على ذلك ببيع نصيبه من ملكية أبل التي تبلغ حوالي ١٠ في المائة في عدة أشهر. مع أن سعر تداول السهم هبط إلى ١٨ دولارًا، بعد أن كان قد بلغ ٦٠ دولارًا في ذروة مكسبه، فقد حصل جوبز على ما يزيد على ١٠٠ مليون دولار، لكنه احتفظ بسهمٍ واحد؛ حتى يتمكن من حضور اجتماعات حاملي أسهم الشركة.

بفضل البذور التي غرسها جوبز طرأ تحسن على أبل في ١٩٨٧م بالضبط كما منحت «فيزيكالك» المعنى لأبل ٢، قامت البرمجيات الجديدة وتحديث الذاكرة وطابعة الليزر التي ظهرت إلى النور قبل رحيل جوبز بإظهار خطوط «الماك» ومهاراته الأخرى، مما حول الكمبيوتر إلى خبير في النشر المكتبي. فجأةً، أصبح بإمكان كُتاب النشرات الإخبارية، ومكاتب العلاقات العامة بالشركات، وفناني الجرافيك، وحتى الأمهات المعيَّنات في مجالس الآباء بالمدارس كتابة وثائقهم وعروضهم بشكلٍ احترافي من على مكاتبهم. فتح هذا المجال، بالإضافة إلى جاذبية «الماك» مع الأفراد، نافذةً كبيرة لأبل مكنتها من الاستمرار في التوسع لبضع سنوات، وحتى وكمبيوترات «آي بي إم» وشبيهاتها تستولي على المزيد والمزيد من سوق الكمبيوتر الشخصي المزدهر. بحلول عام ١٩٩٣م، وصلت مبيعات أبل إلى ثمانية مليارات دولار بقيادة سكلي.

بانفصاله عن أبل، وضع جوبز أمواله في شركتَين سنة ١٩٨٦م. استثمر في البداية سبعة ملايين دولار في شركة كمبيوتر جديدة أسسها، وسماها «نيكست». وأنفق خمسة ملايين دولار لشراء صانع صغير لـ «جرافيكس» الكمبيوتر يُسمى «بكسار» من مخرج فيلم «حرب النجوم»، «جورج لوكاس»، مع موافقته على استثمار خمسة ملايين دولار أخرى في المجال.

مثل جوبز، كافحت الشركتان في الأعوام القليلة التالية لتعثُرا على مكانيهما في أحجية العالم.

في هذه المرة، لم يكن هناك إشراف من أي راشد. من دون شخص مثل «مايك ماركولا» أو «جون سكلي» يشرف على «نيكست»، كان جوبز حرًّا في القيام بما يريد حينما

يريد. وكان من أولى خطواته ابتكار شعار ممتاز. بعد عدم تمكن أربعة مصممين من تحقيق المستوى المطلوب، وافق جوبز على دفع مبلغ خيالي، ١٠٠ ألف دولار، لـ «بول راند»، الذي صمم شعارَي تلفزيون «إيه بي سي» وشركة «آي بي إم». قال له «راند» إنه سيعطيه شعارًا واحدًا فقط، لا أكثر. ولأن جوبز كان يخطط لبناء كمبيوتر على شكل مكعب، قدم له «راند» شعارًا مكعبًا بحروف ملونة، يشمل حرف «إي» (e) صغير، وقال لجوبز إنه قد يعني «تعليمًا، أو امتيازًا، أو خبرةً، أو استثنائيةً، أو إثارةً، أو ($e = mc^2$)».[١]

أعجب جوبز بالشعار كثيرًا. ومن وقتها عُرفت الشركة باسم «نيكست».

كان جوبز قد اكتشف الشيء الذي يمنح حياته معنًى — في تلك الفترة على الأقل — وكان هذا الشيء هو العمل. كتب الصحفي «جو نوسيرا» في مجلة «إسكواير» سنة ١٩٨٦م: «ليس أي عمل وحسب، لكن نوع العمل الذي لا يتوقف، والذي لا يعطيك فرصةً لفعل شيء آخر.» وقال جوبز: «إذا أردت أن تنجز شيئًا مهمًّا ينبغي أن يكون لديك رؤية عميقة لا تحيد عنها ولا ترى شيئًا غيرها.» وأضاف قائلًا إنه يعتقد أنه سيتوصل إلى المزيد من المنتجات العظيمة «إذا استطعت أن أنشئ الشركة التي أظن أننا نستطيع إنشاءها، فسوف تمنحني قدرًا هائلًا من المتعة.»

في العام التالي حصلت «نيكست» على دفعة قوية؛ حين رأى ملياردير الكمبيوتر «هـ. روس بروت» برنامجًا على قناة «بي بي إس» يظهر فيه جوبز، فاتصل بالمبتكر الشاب بشأن الاستثمار في مشروع جديد. وعلى الرغم من تناقص أموال جوبز وحاجته الماسة للاستثمار، لم يَبدُ عليه أي من ذلك. وانتهى الأمر بدفع «بروت» ٢٠ مليون دولار تمثل ١٦ في المائة تقريبًا من المبلغ الأولي، ووضع جوبز خمسة ملايين دولار أخرى، وساهمت جامعتا ستانفورد و«كارنجي» بمليونٍ معًا لشراء ١ في المائة من الشركة.

كما كان الحال في أبل، انشغل جوبز بتفاصيل كثيرة. في هذه المرة، كان لديه مهمة خاصة: «كان جزء من ستيف يريد أن يثبت للآخرين ولنفسه أن أبل لم تكن مجرد ضربة حظ.» كما قالت «أندريا كانينجهام»، التي كانت تعمل في الدعاية لـ «نيكست».

أصر على تصميم مكعب، مع أنه لا يتناسب مع لوحات الدوائر. كان يريد أن يطلي الكمبيوتر باللون الأسود الرائع، حتى من الداخل. حين ظهر خط صغير على الهيكل

[١] تعليم education، امتياز excellence، خبرة expertise، استثنائي exceptional، إثارة excitement: كلها كلمات تبدأ بحرف e. (المترجم)

الخارجي سافر إلى شيكاغو ليناقش الأمر مع صانع القوالب. كان على المصنع نفسه أن يكون ممتازًا، بحوائط بيضاء وآلات مدهونة بألوانٍ يختارها هو. وقد كانت درجات السلم الأنيقة والمصنوعة خصيصًا لجوبز، والشبيهة بالسلالم التي نراها عادة في متاجر أبل اليوم، تزين كلًّا من المصنع ومقر الشركة المصمم بتصميمٍ خاص.

وكما كان في أبل، كان جوبز مخيفًا ولحوحًا غالبًا، سريع الصياح في المصممين أو المهندسين أو حادًّا في انتقاد أعمالهم. حكى الموظفون لصحيفة «نيويورك تايمز» عن قاعدة «المرات الثلاث»: في المرة الأولى التي يسمع فيها جوبز فكرةً لا تعجبه كان «يوبخ الموظف المسئول بقسوة، ويصف الفكرة أو المنتج بالتخلف»، في المرة الثانية كان «يرضى عنها قليلًا»، وفي الثالثة يقول «إنها عظيمة بما يفوق العقل».

وعلى الرغم من وعده بأن يكلف الجهاز ثلاثة آلاف دولار تقريبًا، بما يقترب من الحد الأقصى لما يمكن أن يدفعه الطلاب والجامعات، بدأ السعر في الارتفاع؛ إذ أضاف أقراصًا بصرية يمكن أن تنسخ وتعيد النسخ، فيما يشبه نسخ الأسطوانات المدمجة اليوم، وأطنانًا من الذاكرة والقدرة على تخزين البيانات، وخصائص أخرى. كما قدم الكمبيوتر أيضًا برامج متفردة كان يمكنها أن تجعل عملية البرمجة شبيهة ببناء الأشكال باستخدام لعبة المكعبات، بحيث يكون الأمر أبسط من البدء من الصفر.

لم يسأل جوبز قط المستهلكين عما يفضلونه. واشتهر صانع السيارات هنري فورد، أحد أبطاله، بمقولةٍ مؤداها أنه يمكن للمستهلكين الحصول على موديل «تي» بأي لون يحبونه؛ طالما كان أسود (والموديل «تي» هو نوع من سيارات فورد كان يُنتج من سبتمبر ١٩٠٨م إلى أكتوبر ١٩٢٧م). في هذه الحالة، لم يستطع جوبز قط تحديد الفئة التي قد تريد — أو تستخدم — هذه الأجهزة ذات القدرات الفائقة في المقام الأول.

كان من المفترض أن يُطرح الكمبيوتر في السوق في ١٩٨٧م، لكنه عانى من تأخيرٍ بعد تأخير. في وادي السيليكون، مزح الساخرون قائلين إن الاسم «نيكست» (أي: التالي) سوف يتغير إلى «قريبًا».

أخيرًا، في أكتوبر ١٩٨٨م، أعلن عن الكمبيوتر رسميًّا في عرض جذاب أمام ثلاثة آلاف من العاملين بمجال التربية والتعليم، ومطوري البرامج، والأصدقاء، والصحفيين في قاعة سان فرانسيسكو السيمفونية. قدم جوبز عرضًا توضيحيًّا للرسوم الرائعة للجهاز، والذاكرة الهائلة التي تشمل الأعمال الكاملة لـ «شكسبير» وقد حُمِّلَت بداخلها، والقدرة على عزف الموسيقى. وانتهى العرض بعزف الكمبيوتر ثنائية لـ «باخ» بالاشتراك مع أحد عازف الكمان.

وحين سأل صحفي عن تأخر ظهور الجهاز، لم تهتز لجوبز شعرة وسارع بالرد قائلًا: «إنه لم يتأخر، بل إنه يسبق زمنه بخمس سنوات.»

لكن بالضبط كما كان الحال مع ماكنتوش، كانت هناك عيوب بارزة. كُلِّف الكمبيوتر ٦٥٠٠ دولار، ومع الطابعة الليزر والإضافات الضرورية الأخرى، اقترب سعره في الحقيقة من عشرة آلاف دولار، وهو سعر مرتفع جدًّا بالنسبة إلى كثير من المشترين. لم تكن البرمجيات المطلوبة لتشغيل الكمبيوتر جاهزة، ولم تكن لتجهز قبل بضعة أشهر. بالإضافة إلى ذلك، لم يكن الكمبيوتر متوائمًا مع البرمجيات الموجودة في السوق، لذا لم يتوفر أقل القليل من البرمجيات الإضافية، وكانت الشاشة بالأبيض والأسود، وليست ملونة، ورفض جوبز تركيب مشغل أقراص مرنة في الصندوق الجميل، وهو ما كان ليسهل للمستخدمين تبادل البيانات.

في وقتٍ ما، تمرد العاملون على هذا القرار، حين تساءل أحد الموظفين عن عدم وجود مشغل أقراص مرنة في اجتماع، أصر جوبز على أن الكمبيوتر لا يحتاج إليه، لكن موظفًا آخر جادله، وفجأة بدأ جميع الموجودين في الاجتماع بالهتاف: «نحن ... نحتاج ... إلى قرص مرن، نحن ... نحتاج ... إلى قرص مرن!»

وافق جوبز فقط على وضع مشغل أقراص مرنة في موديل لاحق.

ومع ذلك، انبهرت شركة «كانون» اليابانية بالمنتج بدرجة جعلتها تستثمر ١٠٠ مليون دولار في ١٩٨٩م بما يمثل ١٦,٧ في اعضوة جديدة في الأسرة، ممن أدخلهم لـ «نيكست» مبلغًا مهمًّا بينما تحاول طرح كمبيوتراتها في السوق. لكن بحلول ذلك الوقت، كانت تغيرات كثيرة قد طرأت في الاثني عشر عامًا التي مرت منذ طرح أبل ٢. بينما كان كل اللاعبين في الفترة الأولى وافدين جددًا يتهافتون على لفت الأنظار، صار هناك الكثير من صناع الكمبيوتر ذوي الجيوب المليئة والتي تؤهلهم لمنح كمبيوتراتهم للعاملين بالتعليم لتشجيعهم على شراء المزيد. وكشركة ناشئة، كانت «نيكست» بصدد منافسة كبيرة.

وعلى الرغم من أن «نيكست» لم تكن قد انطلقت بعد، اختارت مجلة «إنك» في ١٩٨٩م جوبز «رائد الأعمال الأول في العقد»؛ لدوره في بدء ثورة الكمبيوتر الشخصي وتشكيلها. لكن هذه اللمسة الخاصة لم تمتد إلى الكمبيوتر الجديد. مع كل ما أغدقه جوبز من رعاية واهتمام على الشركة، لم تبع «نيكست» إلا حوالي ألف كمبيوتر تجريبي في ١٩٨٩م. وقد أعلن جوبز مرات عديدة أن «نيكست» ستقدم مفاجأة للعالم، لكن المستهلكين لم يفهموا ذلك ولم تقترب «نيكست» من تحقيق أي ربح، وهو ما ينبغي أن تحققه الشركات لتزدهر وتنمو.

في اجتماع لمجلس الإدارة في ربيع ١٩٩١م، نقل مسئولو الشركة مزيدًا من الأخبار عن النتائج السيئة. قاطع المستثمر «روس بروت» العرض بتقييم قاطع: «إذن فما تخبروننني به هو أن النيران قد نشبت بمقصورة الطيار وأن الطائرة تهوي سريعًا نحو الأرض. قولوا لي شيئًا لا أعرفه.»

كانت «نيكست» بالكاد تتقدم، مع أن المستهلكين رأوا أن برمجيات «نيكست» رائعة. ومع بداية العقد الجديد، كرر المستهلكون على مسامع جوبز أن يصرف النظر عن الكمبيوتر ويبيع برامجه بدلًا من ذلك، لكنه كان قد نشأ على صناعة الكمبيوتر، مما أدى به إلى تجاهل توصياتهم. لم يستطع التخلي عن الأجهزة.

وبحلول عام ١٩٩٢م، لم يبع إلا حوالي خمسين ألف كمبيوتر إجمالًا من «نيكست»، تقريبًا ما كانت أبل تبيعه في أسبوع في ذلك الوقت.

لم يكن حال «بكسار» بأفضل من «نيكست».

طلب المخرج «جورج لوكاس»، الذي كان في خضم عملية الطلاق، سعرًا أعلى بكثير لـ «بكسار» في البداية، لكنه رضي بعرض جوبز المتواضع بعد أن اختفى المشترون الآخرون المحتملون. أسرت الإمكانية مخيلة جوبز.

وبفضل أفلام مثل «حرب النجوم»، كان صناع الأفلام يحاولون استخدام مؤثرات خاصة أكثر تعقيدًا بكثير، لكن القيام بذلك من دون استخدام الكمبيوتر كان تقريبًا في صعوبة أن تصبح أحد فرسان «الجيدي» (Jedi). أحيانًا، كان على «لوكاس» أن يجمع ثلاثين جزءًا من شرائط الأفلام معًا لكل إطار، كما أوضح جوبز في مقابلة. ربما تمثل لوحات الخلفية أجزاءً قليلة، وربما تمثل النماذج الثابتة أجزاءً أكثر، ثم كان على الحدث المباشر والمؤثرات الخاصة أن تضاف على كل ذلك. وفي كل مرة يتَّحد فيها إطار مع آخر، تلتقط الصورة الجديدة تشويشًا أو شوائب أخرى. قال جوبز: إذا توقفت عند إطار واحد في أحد أفلام حرب النجوم القديمة فسوف ترى «أنها رديئة حقًّا، مليئة بالتشويش بصورة لا تصدق، وجودتها منخفضة للغاية.»

كان دمج الصور إلكترونيًّا يجعل الإطارات ساطعة، لكن لم تكن هناك كمبيوترات قوية بما يكفي للقيام بذلك. ابتكرت «بكسار»، المكونة من خبراء كمبيوتر يحبون الرسوم المتحركة، كمبيوترًا متطورًا بمبلغ ١٢٥ ألف دولار يمكن أن يساعد في ذلك، ولم يقتصر الأمل على البدء في ابتكار أفلام عظيمة بالرسوم المتحركة، لكن امتد ليشمل أيضًا العثور على تطبيقات جديدة للتصوير الطبي ثلاثي الأبعاد، ورسم خرائط تفصيلية، ومجالات أخرى.

على مدى عدة سنوات، جعل جوبز الشركة تستدين ما يقدر بخمسين مليون دولار، وكان يضمن سدادها شخصيًّا، لكنه لم يعثر قط على سحر الكمبيوتر.

وبينما ركز جوبز معظم انتباهه على «نيكست»، ترك المديرين في «بكسار» يديرون الشركة، لكنه كان يجتمع بهم بانتظام ويتخذ القرارات المالية الرئيسية. (كان العاملون في «نيكست» يسمون «بكسار» بازدراء: «الهواية».)

لتحريك المبيعات، فتح مكاتب مبيعات لـ «بكسار» في عدة مدن. على الرغم من هبوط سعر الكمبيوتر إلى أقل من ٥٠ ألف دولار وتطوير موديل أرخص، لم يهتم المشترون. كان المستهلك الأكبر شركة «والت ديزني»، التي وجدت أنها تستطيع خفض التكاليف وتسريع إنتاجها من أفلام الرسوم المتحركة بالمسح الضوئي لصور برسم اليد واستخدام الكمبيوتر لإضافة الألوان وطبقات من لوحات الخلفية. وكان الاختبار الأول في المشهد الختامي في فيلم «حورية البحر الصغيرة». وبعد ذلك، اشترت ديزني عشرات الكمبيوترات، واستخدمتها في أفلام: «سقوط عمال الإنقاذ»، و«الجميلة والوحش»، و«الأسد الملك»، وغيرها.

وبينما كانت هذه الكمبيوترات تمثل إنجازًا وتقدمًا كبيرين بالنسبة إلى ديزني، كانت محطات العمل ذات الأغراض العامة والمعدة للخدمة الثقيلة ستقوم في نهاية المطاف بنفس الأشياء إذا ما زودت بالبرمجيات المناسبة. ولما أدرك جوبز أن الكمبيوترات لا تباع، أغلق مكاتب المبيعات، وفي ١٩٩٠م باع القسم المختص بأجهزة الكمبيوتر من شركة «بكسار».

بعد ذلك حاول أن يطور برمجيات «بكسار» ثلاثية الأبعاد إلى شيء يناسب سوقًا أكثر اتساعًا، بما يسمح للمستخدمين بعمل صور واقعية ثلاثية الأبعاد، لكن البرمجيات لم تكن سهلة الاستخدام، حتى بالنسبة إلى الخبراء، ولم يكن هناك طلب هائل على الفكرة. توقفت جهوده في ١٩٩١م، وسرح ثلاثين من موظفي الشركة البالغ عددهم ٧٢، ومن بينهم رئيس «بكسار». في حركة تفتقر إلى الإحساس تمامًا، رفض أن يعطي الموظفين إشعارًا قبل الفصل بأسبوعين أو يدفع لهم تعويضًا عن الفصل؛ أرسلهم إلى منازلهم في الحال من دون أن يدفع لهم أي مبالغ إضافية.

لم يتبقَّ إلا عمل واحد فقط لـ «بكسار»: الرسوم المتحركة. أنشأ الشركة أناس يحبون الكرتون ويريدون صناعة أفلام طويلة بالرسوم المتحركة على الكمبيوتر. قبل أن يشتري جوبز الشركة، اقتنص المؤسِّسان «إد كاتمول» و«ألفي راي سميث»، «جون لاسيتر»، وكان

شابًّا موهوبًا في الرسوم المتحركة استغنت عنه ديزني. لعرض قوة كمبيوترات «بكسار» وبرمجياتها، ابتكر «لاسيتر» أفلامًا قصيرة مدهشة ومسلية؛ صور فيلمًا قصيرًا يسمى «لوكسو الصغير» (Luxo Jr) عن مصباح مكتبٍ بالرسوم المتحركة وقد رُشح لإحدى جوائز الأوسكار، وفيلم «تن توي» (Tin Toy) الذي عُرض في ١٩٨٨م، وفاز بجائزة الأوسكار لأفلام الرسوم المتحركة القصيرة.

في عدة مناسبات، كاد جوبز ينهي قسم الرسوم المتحركة أيضًا، لكن «كاتمول» أقنعه بالعدول عن ذلك. وفي النهاية توصلت «بكسار» إلى طريقة للحصول على بعض النقود. بدأت تصنع إعلانات تجارية مرحة بالرسوم المتحركة لغسول الفم «ليسترين»، وحلوى «لايف سيفرز»، ولبان «ترايدنت». وبعد أن كان جوبز قد قضى على مشروع البرمجيات، كانت الإعلانات التجارية والبرمجيات المهنية هي كل ما تبقى لـ «بكسار» تقريبًا، ولم يكن هذا بالكثير.

عقد جوبز صفقة صعبة مع المديرين والموظفين في «بكسار» في ١٩٩١م ليبقى العمل قائمًا. كان سيواصل تمويل الشركة بشرط أن يتخلوا عن أي أسهم يمتلكونها في «بكسار» وعن أي خيارات لشراء أسهم في المستقبل، مضحين بفرصتهم الوحيدة لتحقيق كسب مفاجئ من عملهم الشاق عبر السنوات.

كان جوبز يستطيع، بصفته مالك الأغلبية، أن يضع القواعد. تخلى المديرون والموظفون عن نصيبهم الصغير في الشركة.

قال «ألفي راي سميث» فيما بعدُ إنه: إحقاقًا للحق فإن «بكسار» مثل «نيكست»، «كان ينبغي أن تفشل، لكن بدا لي أن جوبز لن يقبل بالهزيمة.»

لنشكر «نيكست» على الإنترنت

كان «تيم برنرز لي» فيزيائيًّا في الخامسة والثلاثين يعمل في الهيئة الأوروبية للأبحاث النووية، وبالتحديد في المختبر الأوروبي لفيزياء الجزيئات في جنيف، بسويسرا، حين وصله كمبيوتر «نيكست» في ١٩٩٠م لمشروع خاص.

النتيجة: شبكة الويب العالمية، ما نعرفه اليوم باسم الإنترنت.

طلب «برنرز لي» من إدارة المختبر أجهزة بقيمة ٥٠ ألف دولار تقريبًا وبضعة مبرمجين ليرى إن كان يستطيع ربط الأفكار بالكمبيوترات وإتاحة البرمجيات مجانًا. باستخدام كمبيوتر «نيكست»، نظامًا للشفرة يسمى إتش تي إم إل (HTML)، اختصار

«لغة توصيف النص التشعبي» (Hyper Text Markup Language)، يستخدم أوسمة تسمح برؤية الصفحات بشكل صحيح. أعطى لكل صفحة ويب عنوانًا فريدًا، أو «يو آر إل» (URL)، اختصار «الباحث عن الموارد العالمية» (Universal Resource Locater)، ثم وضع القواعد التي تسمح بنقل المعلومات عبر الإنترنت، وتسمى «إتش تي تي بي» (HTTP)، أو «بروتوكول نقل الهايبرتكست» (Hyper Text Transfer Protocol)، وأنتج أول متصفح يسمح للمستخدمين برؤية النتائج بالطريقة نفسها.

تم هذا كله على كمبيوتر «نيكست» الذي أتى مع حساب بريد إلكتروني جاهز وترحيب صوتي من ستيف جوبز، يقول إن الكمبيوتر لا يتعلق بالحوسبة الشخصية، ولكن بالحوسبة «فيما بين الأشخاص».

قال «برنرز لي»: إن البرمجيات التي أتت مع جهاز «نيكست» جعلت عمله في البرمجة «سهلًا إلى حد كبير». بدأ العمل في أكتوبر ١٩٩٠م، وأتاح نتائجه في مختبره في ديسمبر، وقدمها للعالم في صيف ١٩٩١م. وفي السنتين التاليتين، نقحها. وفي خلال خمس سنوات، بلغ عدد مستخدمي الويب ٤٠ مليونًا.

الفصل الثالث عشر

الأسرة

طال انتظار زواج واحد من أكثر عزاب التكنولوجيا المرغوبين.

في أوائل ١٩٩١م، وبينما «نيكست» و«بكسار» تصارعان من أجل البقاء، تعرض جوبز لأزمة جديدة في حياته الشخصية؛ كانت رفيقته «لورين باول» حاملًا.

كان جوبز في السادسة والثلاثين، وقد أصبح شخصًا مختلفًا عن الشاب الصغير المتصلف والمغرور الذي كان عليه حين ولدت رفيقته القديمة ابنته «ليزا» في ١٩٧٨م. كان جادًّا بشأن «باول» التي كانت طالبة في السنة الثانية من برنامج ماجستير إدارة الأعمال في ستانفورد، وكان قد تقدم لها مرتين على الأقل، أحدثهما في أثناء رحلة نهاية العام إلى هاواي. وأهداها خاتم خطوبة من الألماس، لكنه بدأ يتردد مرة أخرى.

استطلع رأي الأصدقاء، وفكر في الاحتمالات. تردد بشأن فكرة الزواج ثم تجاهل الموضوع برمته. أُحبطت «باول» التي كانت في السابعة والعشرين، مما دعاها لترك منزله والعودة إلى شقتها للمرة الثانية خلال سنة.

أخيرًا، اتخذ جوبز قرارًا راشدًا: في ١٨ مارس ١٩٩١م، تزوج من «باول» على يد مرشده الروحي القديم، «كوبون تشينو»، في كوخ في منتزه «يوسمايت» الوطني. كانت الكعكة نباتية صرفة وقام الخمسون شخصًا الحاضرون للزفاف بالسير وسط الجليد بعد ذلك.

بين بريتان و«باول»، رافق جوبز سلسلة من الفتيات، بعد انتقال بريتان بقليل إلى أوريجون، بدأ جوبز علاقة مع امرأة من شركة العلاقات العامة لأبل استمرت بضع سنوات. في أوائل ثمانينيات القرن العشرين، بصفته مليونيرًا وساحرًا للنساء في مجال التكنولوجيا، انتقل إلى دائرة اجتماعية مختلفة. لعامين، رافق المطربة الشعبية «جوان باييز» بصورة متقطعة مع أنها كانت تكبره بأربعة عشر عامًا. اندهش فريق ماكنتوش

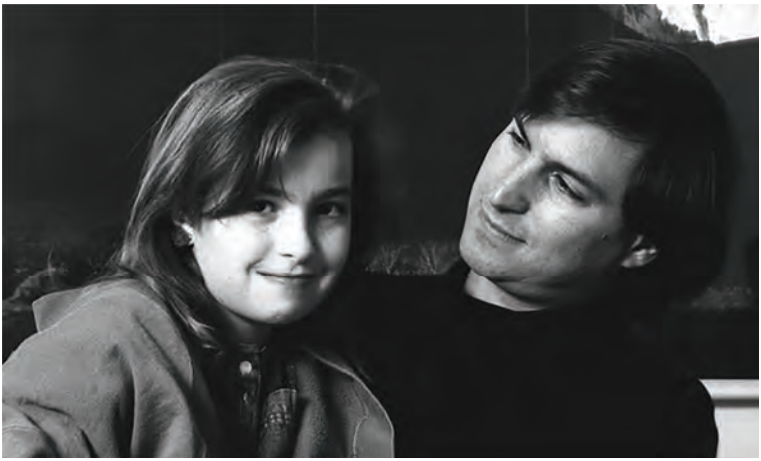

ستيف جوبز مع ابنته «ليزا برينان جوبز».

حين اصطحبها إلى الشركة ليريها المشروع السري، وحضرت بصحبته الاحتفال بأحد الأعياد السنوية، لكن في نهاية الأمر، كان فارق العمر أكبر من أن يتغلبا عليه.

كما واعد أيضًا «مايالين»، التي صممت النصب التذكاري لمحاربي فيتنام، وأخذ موعدًا من دون سابق تعارف مع الممثلة «دايان كيتون». ولمدة عام، رافق أيضًا طالبة في جامعة «بنسلفانيا» اسمها «جينيفر إيجان»، وكان يراها كلما ذهب إلى ساحل أمريكا الشرقي. كان يعظها عن الحاجة إلى تجنب الارتباط بالأشياء المادية، وكانت هي ترد عليه بسؤاله عن مبرر صناعة الكمبيوترات التي يريدها الناس. قالت: «خضنا مناقشات محتدمة حول ذلك.»

أخبرت «إيجان»، التي فازت فيما بعد بجائزة «بوليتزر» للرواية، جوبز بأنها أصغر من أن تتزوج، وانتهت العلاقة.

في ١٩٨٤م، سألته مجلة «بيزنيس ويك» عن اهتماماته الشخصية، فرد جوبز: أحب الأفلام والعلاقات الرومانسية.

– أي أنواع العلاقات الرومانسية؟

قال: مع الشابات شديدات الذكاء ذوات الذوق الفني. أظن أنهن يتواجدن في نيويورك أكثر من وادي السيليكون.

وجاءت أول علاقة طويلة حقيقية لجوبز مع مصممة الجرافيك «تينا ريدسي» التي التقى بها وهي تزور مكتب أبل، ونشأت بين الاثنين علاقة طويلة مليئة بالتقلبات. بحلول منتصف ثمانينيات القرن العشرين، كان جوبز قد اشترى قصرًا قديمًا على الطراز الإسباني به أربع عشرة غرفة نوم، ومن دون أثاث تقريبًا. انتقلت إليه معه، مع أنه كان لا يزال ينام على مرتبة على الأرض وينشد الكمال بدرجة جعلته يرفض أن تشتري أريكة. ولما أحبطت لعدم وجود أثاث، غادرت المنزل.

لكن عاطفة الاثنين كانت تتقد حين يكونان معًا، بما يكفي لأن يتذكر موظفو «نيكست» «جلساتهما الغرامية» في بهو الشركة. لكنهما كانا يتشاجران بشدة أيضًا، وعلى الملأ أحيانًا. مثل «كريسان برينان»، نفرت «تينا» من مدى برود جوبز ولامبالاته في بعض الأحيان، والطريقة التي كان يصبح بها جارحًا لها وللآخرين. ودفعته أيضًا لقضاء مزيد من الوقت مع ابنته، «ليزا»، والتي كانت وقتها في المدرسة الابتدائية.

شجع «روس بروت» جوبز على الزواج من «تينا»، وفي ١٩٨٩م، طلب يدها أخيرًا، لكنها رفضته، مقررة أنه لا يمكن لزواجهما أن ينجح. لكنهما بقيا على اتصال.

دخلت «لورين باول» حياة جوبز ذات مساءٍ خريفي وهو يتحدث في كلية التجارة في جامعة ستانفورد. كانت قد ذهبت مع صديقة، ولما لم تجد مقعدًا متاحًا، جلست في مقعد محجوز. وحين وصل جوبز، وجدت نفسها بجوار ضيف الشرف، ومزحت قائلة إنها ربحت مسابقة وإن الجائزة كانت عشاءً معه.

تحادثا بضع دقائق بعد الكلمة، وكان من المفترض أن يتوجه جوبز إلى اجتماع «نيكست»، لكن بمجرد أن دخل سيارته، شعر بتغير في مشاعره. قال: «كنت في موقف السيارات، والمفتاح في السيارة، وقلت لنفسي: إن كانت هذه آخر ليلة لي على الأرض، هل أقضيها في اجتماع عمل أم مع هذه المرأة؟ جريت عبر موقف السيارات، وسألتها إن كان يمكن أن تتناول العشاء معي. وافقَت، سرنا إلى البلدة، وبقينا معًا منذ ذلك الوقت.»

كانت «باول» من نيو جيرسي، وكانت قد فقدت أباها في الصغر، وتعلمت المرونة. كانت ذهبية الشعر، ورياضية، ونباتية، وتخرجت في جامعة «بنسلفانيا»، وعملت في شركة «جولدمان ساكس»؛ إحدى شركات «وول ستريت» الشهيرة قبل أن تلتحق بكلية التجارة. كانت تتميز بكل الصفات المناسبة: ذكية، وجميلة، وناجحة في دراستها وعملها.

تعرضت علاقتهما أيضًا للتذبذبات. كان جوبز يطلب منها أن يتزوجا يومًا ثم يتجنب ذكر الموضوع لأشهُرٍ بعدها. كانت تتحول لمركز اهتمامه لفترة ثم يتجاهلها فجأة. كانت الجوانب المظلمة لشخصيته تربكها، لكنها احتملتها.

ستيف جوبز وزوجته «لورين باول».

كانت «باول» عضوة جديدة في الأسرة، ممن أدخلهم جوبز في حياته في سنوات ما بعد أبل. في السنوات التي تلت ولادة «ليزا»، كان جوبز يتجنبها هي و«كريسان». قال لكاتب السيرة «والتر آيزاكسون» في سلسلة من المقابلات: «لم أرغب في أن أكون أبًا، لذا لم أكن واحدًا.» كان أحيانًا ما يتوقف عند منزلهما ويتحدث مع «كريسان»، متجاهلًا طفلته تمامًا.

لكن بمجرد أن ترك أبل وعمل في «نيكست»، قريبًا من حيث تعيشان، بدأ يزورهما أكثر، ويأخذ «ليزا» للعشاء. أحضرها مرة إلى المكتب، حيث قامت ببعض الحركات البهلوانية في المدخل. وحين كبرت كانا يتمشيان معًا أو يذهبان للتزحلق.

لكن «ليزا» كتبت بعد ذلك: «ربَّتنِي أمي وحدها تقريبًا. لم يكن لدينا الكثير، لكن أمي كانت رقيقة وكنا سعيدتَين. وتنقلنا كثيرًا.» ثلاث عشرة مرة، مع أنها كانت تعرف أن أباها ثري ومشهور، لكنها عرفته ببطء. ذات مرة، وهي في بداية المراهقة، اصطحبها في رحلة عمل إلى طوكيو.

كان جوبز قد خفف بعض الشيء من عاداته الغذائية في أبل، قائلًا: «إن التفاعل مع الناس والعيش بصحة يجب أن يتوازنا.» ولكن بعد أن ترك أبل، عاد إلى أنظمته النباتية الصارمة؛ مع أنه ظل يحب «السوشي». في هذه الرحلة، اصطحب «ليزا» إلى مطعم «سوشي»، قبو أحد الفنادق، حيث تشاركا في أطباق «سوشي الأوناجي»، وهو عبارة عن أنقليس مطبوخ على الأرز. كان على بعض «السوشي» ملح، وعلى بعضه الآخر صلصة حلوة. تتذكر «ليزا» قائلة: «وكان الاثنان دافئين وذابا في فمي.» وبالمثل، ذابت المسافة بينها وبين أبيها الغائب غالبًا. كتبت: «كانت أول مرة أشعر فيها معه بأنني مسترخية ومطمئنة. فتح الفضاء الذي كان يستحيل الوصول إليه. كان أقل صرامة مع نفسه، وكان إنسانًا تحت تلك الأسقف الهائلة والمقاعد الصغيرة، مع اللحم ومعي.»

بعد زواج جوبز بقليل، انتقلت «ليزا» للعيش معه هو و«باول»، وعاشت معهما في أثناء سنوات الدراسة في المدرسة الثانوية. والتحقت بـ «هارفارد» وصارت كاتبة. ومثل الكثير من علاقات جوبز، شهدت هذه العلاقة الدفء والبرودة، وكان الاثنان أحيانًا يقضيان شهورًا وربما سنوات من دون كلام. (كان تخرجها من الكلية ضمن هذه الأوقات؛ لم تَدعُه، ولم يحضر!)

وتجمعت قطعة أخرى من أحجية عائلة جوبز.

في منتصف ثمانينيات القرن العشرين، تم تشخيص إصابة «كلارا جوبز» بسرطان الرئة. في أثناء زياراته لها، سألها جوبز عن ماضيها، وعرف أنها تزوجت من قبل، من رجل مات في الحرب. وعرف أيضًا مزيدًا من التفاصيل عن تبنيه.

لطالما قاوم جوبز الرغبة في العثور على أمه البيولوجية لأنه لم يرغب في أن يجرح مشاعر بول و«كلارا» اللذين كان يحبهما بشدة ويعتبرهما والدَيه الحقيقيين الوحيدين. لكن بعد موت «كلارا» في نوفمبر ١٩٨٦م في الثانية والستين، أخبر والده بما يشغله فرحب بالأمر.

من خلال بعض التحريات وبمساعدة مخبرٍ خاص، استطاع جوبز تحديد مكان «جوان شيبل» في لوس أنجلوس، وعرف أن أباه، عبد الفتاح جون الجندلي، كان سوريًّا

وصار أستاذًا في العلوم السياسية. وكانت «جوان» قد عادت إلى «ويسكنسن» بعد ولادة جوبز. وبعد موت أبيها، تزوجت من الجندلي، وأنجبت طفلةً أخرى اسمها منى.

فتبين أن لستيف أختًا.

هجر الجندلي الأسرة بعد بضع سنوات، وتزوجت «جوان» مرة أخرى. واتخذت هي ومنى لقب «سيمبسون»، مع أن هذا الزواج لم يدم أيضًا.

زار جوبز «جوان سيمبسون» في لوس أنجلوس، ليشكرها لأنها وهبته حياته. اعتذرت كثيرًا، قائلة إنها كانت تفتقده طوال الوقت.

وبعد ذلك بقليل قابل جوبز منى في نيويورك، وكانت قد انتهت للتو من رواية بعنوان «أي مكان إلا هنا» (Anywhere But Here)، عن هجرتها هي وأمها إلى لوس أنجلوس من «ويسكنسن»، وكانت تعمل في مجلة أدبية اسمها «باريس ريفيو». انسجما فورًا، واكتشفا أنهما يحبان المشي مسافات طويلة، والتركيز في عمليهما، ويتمتعان بصفة واضحة ألا وهي قوة الإرادة. بينما لم يشعر جوبز قط بقرب خاص من أخته «باتي»، نشأت بينه وبين منى صداقة قوية، وتعرفت على رفيقاته وعلى «ليزا».

باعتبارها روائية مشهورة، اعتمدت على خبراتها الشخصية في كتاباتها، وكتبت في منتصف تسعينيات القرن العشرين كتابًا بعنوان «رجل عادي» (A Regular Guy)، عن رجل نرجسي مدمن لعمله يتجاهل ابنته حتى يُطرد من وظيفته. وكانت الجملة الافتتاحية للكتاب: «كان رجلًا مشغولًا بدرجة تمنعه من شد سيفون الحمام.» ومع أنها رواية، فإنها تعتمد بوضوح على قصة جوبز، ويصعب التمييز فيها بين الحقيقة والخيال.

بدأت منى، من جانبها، في تعقب أبيهما، وعثرت عليه في «سكرامينتو» في كاليفورنيا. لكن جوبز لم يهتم بمقابلته، وقلق من أن أباه البيولوجي قد يحاول بشكلٍ ما أن يبتزه أو يحصل على ثروته. أخبر أخته بأنه لا يرغب في أن تأتي على ذكره أمامه.

سافرت منى وحدها إلى «سكرامينتو». كان الجندلي قد ترك التدريس وأصبح يعمل في مجال المطاعم. وفي أثناء حديثهما أخبرها أن هناك طفلًا آخر، قد ولد قبلها. وأخبرها: «لن نراه ثانيةً أبدًا.»

حكى لمنى عن مطاعم أخرى أدارها، ومنها مطعم لمأكولات البحر المتوسط قرب سان خوسيه. وأصيبت منى بمفاجأة رهيبة عندما واصل أبوها قائلًا: اعتاد كل الناجحين والمشاهير في مجال التكنولوجيا الذهاب إلى هناك، حتى ستيف جوبز.

استكمل الجندلي حديثه قائلًا: إن جوبز كان شخصًا لطيفًا، وكان زبونًا كريمًا يعطي بقشيشًا كبيرًا.

الروائية «منى سيمبسون» أخت ستيف جوبز.

لكن منى لم تستطع البوح بالسر: أن ستيف جوبز كان هو نفسه ابنه.

اتصلت منى بجوبز فورًا، وحكت له القصة المدهشة. ذهل جوبز وتذكر المطعم والمالك. وقال فيما بعد: «كان سوريًّا، وأصلع، تصافحنا.»

اجتمعت القطع المتناثرة من أحجية تاريخ جوبز وأسرته. ثم في سبتمبر ١٩٩١م أنجبت «باول» ولدًا. واستغرق الأمر منهما أسبوعين لاختيار اسم له «ريد بول جوبز». قال الإعلان الأول للميلاد: «التوصل لأسماء المنتجات الجديدة شيء صعب.»

بالنسبة إلى جوبز، غيَّر المولود الجديد حياته تمامًا. قال بعد بضعة أشهر: «يشبه الأمر زرًّا يضغط عليه بداخلك، مما يجعلك تشعر بمشاعر جديدة تمامًا، والتي لم تكن تعتقد أنك ستشعر بها يومًا. والأمر أعمق بكثير مما سمعت عنه.»

انتقلت الأسرة إلى منزل جديد في بالو ألتو. أرادا تنشئة أطفال حسَنِي التربية، وتتذكر «منى سيمبسون» أنهم عاشوا ببساطة. قالت إنهم في السنوات الأولى كانوا عادة ما يتناولون العشاء على العشب، وكان العشاء أحيانًا ما يتكون من «نوع واحد من الخضراوات ... الكثير من ذلك النوع الواحد»، مثل «البروكلي»، «مع الأعشاب المناسبة، والمقطوعة لتوها».

اشترى جوبز و«باول» أسرَّة وبعض الضروريات، وأشياء قليلة أخرى. قالت «باول»: «تحدثنا عن الأثاث نظريًّا لثمانية أعوام. قضينا وقتًا طويلًا نسأل أنفسنا: ما الغرض من الأريكة؟»

حتى شراء غسالة كان محنة. حين قررا أنهما في حاجة إلى واحدة منتصف التسعينيات، شرح جوبز أنهما كانا معجبين بالآلات الأوروبية التي تستخدم مياهًا أقل وتكون أنعم على الملابس، لكن دورتها تستغرق ضِعف الوقت.

قال: «قضينا بعض الوقت في أسرَّتنا نتحدث عن المفاضلة بين ما نود شراءه.»

وتضمن ذلك كلًّا من التصميم وقيم الأسرة. أضاف: «هل نهتم بأن يتم غسيلنا في ساعة مقابل ساعة ونصف؟ أم نهتم بأن تبدو ملابسنا ناعمة حقًّا وتعيش أطول؟ هل نهتم باستخدام ربع كمية المياه؟»

استمر النقاش والجدل على مائدة الطعام لأسبوعين قبل أن تستقر الأسرة على آلات تصنعها شركة ألمانية اسمها «ميل». قال جوبز: «فكر صانعو الآلة حقًّا في العملية بتدبر. أدهشتني هذه الآلات أكثر مما أدهشتني أي قطعة من التكنولوجيا المتطورة في سنوات.»

لم يكن شراء غسالة في صعوبة تصميم الماكنتوش أو إحداث فارق في الكون، لكن جوبز كان قد تغير. غالبًا ما تسمى الفترة التي تلت استبعاد جوبز من أبل بالفترة «البرية»، لأنه بدا تائهًا ببعده عن التكنولوجيا وعن الناس الذين ساعدوه على الصعود في بداياته. حينذاك، وهو في منتصف العمر، لم يعد جوبز يتوقع أن تحدث تكنولوجيات جديدة ثورة في العالم. قال لصحفي: «آسف، إنها الحقيقة. عندما يصبح لديك أطفال يتغير رأيك في هذه الأشياء. نولد، ثم نعيش وقتًا قصيرًا، وبعدها نموت. التكنولوجيا لا تغير في ذلك كثيرًا؛ إذا كانت تغير من الأساس.»

في الوقت الذي كانت شركتاه تكافحان من أجل البقاء، بنى جوبز أُولى علاقاته الأسرية الحقيقية كشخص راشد، وأنشأ أخيرًا حياة حقيقية خارج العمل. نتيجة لطبيعته، كانت هذه العلاقات معقدة وصعبة. وكانت أسرته الملتحمة معقدة بقدر ما تتصور، مكونة من أم وأب، بالإضافة إلى والدَين بيولوجيين، وأخت، وأخت أخرى بيولوجية، وزوجة، وأخيرًا ثلاثة أبناء، وصديقة سابقة، وابنته الكبرى.

في نهاية المطاف، طور جوبز رابطة قوية ذات معنًى عميق مع معظمهم، وليس جميعهم. عرف الجندلي من الأخبار أن جوبز هو ابنه البيولوجي، لكنه لم يقابله قط بهذه الصفة.

توفي «بول جوبز»، والد ستيف، في مارس ١٩٩٣م، في السبعين من عمره، وظل ابنه، حتى بعد وفاته بسنوات، يصفه بأنه «رجل عظيم». سُئل ذات يوم عما يريد أن يمنحه لأبنائه، قال جوبز: «كل ما أريده هو أن أحاول أن أكون أبًا جيدًا بالنسبة إليهم مثلما كان أبي معي. أفكر في ذلك في كل يوم من حياتي.»

من جانبه، كان «بول جوبز» فخورًا بابنه الذي كان ناجحًا وصعب المراس، وظل يحضر محاضراته العامة حتى النهاية.

خلال هذه السنوات الصعبة، ربما كان جوبز قد حاد عن طريقه العملي بعض الشيء، لكنه ربح الكثير في مجال آخر يوسع القلب ويغذي الروح؛ بصفته ابنًا وزوجًا وأبًا.

ولم يكن وقت عمله، على الرغم من ذلك، خسارةً كلية.

وودسايد

في أوائل التسعينيات، استقر جوبز و«باول» في منزلهما في بالو ألتو، واندمجا في المكان بسهولة شديدة، حتى إنهما غالبًا ما كانا يتركان الباب الخلفي مفتوحًا. لكن في حي «وودسايد» القديم، انتهى الأمر بجوبز بمعركة طويلة ومريرة على القصر الذي تركه وراءه.

أبقى جوبز على منزل «وودسايد»، الممتد على مساحة ١٧ ألف قدم مربع، والمبني على طراز الإحياء الإسباني الاستعماري بغرف نومه الأربع عشرة والحمامات الثلاثة عشر ونصف، على أمل هدمه ذات يوم وبناء بيت أصغر وأبسط هناك.

لبضع سنوات، استخدمت أسرته المنزل وحمام السباحة في الحفلات. حين أتى الرئيس الأمريكي «بيل كلينتون» وزوجته «هيلاري» لزيارة ابنتهما «تشيلسي» في ستانفورد، أقاما في منزلٍ آخر مُقامٍ على الأرض المليئة بالأشجار.

في منتصف ٢٠٠٤م، طلب جوبز من لجنة تخطيط البلدة أن تسمح له بهدم القصر، الذي شُيد في ١٩٢٦م لقطب النحاس «دانيال جاكلنج». قال جوبز إنه سيئ البناء، ووصفه بأنه «من أكثر المنازل التي رأيتها مقتًا».

لكن الجيران، مع ذلك، وصفوه بأنه تاريخي وأصروا على ضرورة الحفاظ عليه.

وافقت اللجنة لجوبز على هدم المنزل، بشرط أن يحاول في خلال سنة العثور على أحد لنقل المخلفات إلى مكان آخر. وأيد مجلس المدينة هذا القرار في أوائل ٢٠٠٥م، لكن الجيران رفعوا قضية وصدر حكم بوقف الهدم.

بدءًا من عام ٢٠٠٠م تقريبًا، ترك جوبز المنزل مفتوحًا أمام عناصر الطبيعة، وبحلول أواخر العقد، تعفن وتهدم.

في ٢٠٠٩م، حصل جوبز على تصريح آخر بالهدم، وأُحبط الجيران عند هدم المنزل في فبراير ٢٠١١م. ولكن بحلول ذلك الوقت لم يكن جوبز مهتمًّا ببناء منزل جديد.

الفصل الرابع عشر

سليوود

بعد سنتين من بدء العمل في «حكاية لعبة»، واجه فريق «بكسار» مشكلةً ضخمة؛ كان «وودي» لئيمًا. كان راعي البقر ذو الأطراف المرنة والذي يتحدث عندما يشد خيطه، لئيمًا وأنانيًّا ومتهكمًا.

في أحد المشاهد، دفع «وودي» الدمية الرئيسية في غرفة نوم «أندي» متعمدًا القادم الجديد البريء «بظ يطير» من نافذة الغرفة إلى فناء الجار الشرير. ثم أغلق «وودي» الستائر وقال: «إنه عالم تأكل فيه الدمى بعضها.»

كان مسئولو ديزني يطمحون إلى شخصيةٍ أكثر انفعاليةً من المعتاد، لكنهم لم يطيقوا «وودي» على الإطلاق.

بعد مشاهدة نسخة أولية للفيلم في أواخر نوفمبر ١٩٩٣م، أمر رئيس الرسوم المتحركة في «والت ديزني» «جون لاسيتر» وفريقه بوقف الإنتاج فورًا. وكان استمرار العمل في الفيلم مستحيلًا إلا إذا وافقت ديزني على سيناريو جديد. عُلِّقَ أول تعاون حقيقي بين سحر هوليوود وتكنولوجيا وادي السيليكون، والذي أطلق عليه «سليوود». كان ينبغي توقف كل أعمال الرسوم المتحركة بينما يحاول الكتاب معالجة القصة.

كان القرار مرعبًا بالنسبة إلى العاملين في «بكسار» الذين كانوا يرغبون بشدة في صناعة أول فيلم طويل بالرسوم المتحركة بالكمبيوتر. وكانت نكسة أخرى لستيف جوبز، الذي كان عليه أن يساند الشركة وأن يواصل دفع مرتبات الموظفين في فترة التوقف.

وكان قد مر عام صعب بالنسبة إلى «نيكست».

في أواخر ١٩٩٢م، وبينما استمر المشترون في رفض كمبيوترات «نيكست»، غادر عدد من كبار المديرين الشركة. شعر جوبز بأنهم هجروه ورغب في الاستقالة هو الآخر، لكنه لم يكن يستطيع تحمل فشل عام آخر. قال لبقية المديرين: «كل شخص هنا يمكنه أن يغادر، إلا أنا.»

«جون لاسيتر» رسام الرسوم المتحركة الرئيسي في «بكسار»، يلعب بدُمى «بظ يطير» و«وودي» من أول فيلم رئيسي للصور المتحركة «حكاية لعبة».

أخيرًا، في أوائل ١٩٩٣م، استمع جوبز لما يطلبه المستهلكون والمديرون: خرجت «نيكست» من مجال الكمبيوتر، معترفة بالهزيمة في هذه الساحة. قالت مجلة «فورتشن»: «مات حلم جوبز ببناء شركة كمبيوتر عظيمة أخرى مثل أبل، التي شارك في تأسيسها، مات ذاك الحلم وشبع موتًا.»

سرحت «نيكست» أكثر من ثلاثمائة من العاملين، وأبقت على مائتين فقط، وسلمت مصنعها الخرافي لـ «كانون». عاشت الشركة لكن بصفتها بائعًا تافهًا لما سماه البعض بالبرمجيات «المغمورة».

هبط نجم جوبز — الذي كان ساطعًا ذات يوم — أكثر فأكثر.

كتبت صحيفة «وول ستريت» في منتصف ١٩٩٣م أنه بعد «سقطة حادة من برجه العاجي، يقاتل جوبز ليثبت أنه لا يزال مهمًّا في صناعة الكمبيوتر.»

قال «ريتشارد شايفر» محرر «كمبيوتر ليتر» للصحيفة: «لم يعد الناس يعيرونه اهتمامًا، إنه لأمر محزن.»

وصفته مجلات بأنه «انطفأ». ثم، لزيادة الطين بلة، وصفت مجلة «فورتشن» الشاب الذي اعتُبر يومًا ما مذهلًا كواحد من أقسى المديرين في أمريكا، مفتتحة الموضوع «بصراخ جوبز العنيف» لعدة دقائق في «هجاء ينضح بالبذاءات» موجه لمدير قال له إن الهيكل الخارجي الأسود لـ «نيكست» سيتكلف أكثر مما أراد جوبز أن يدفع.

وواصل المقال ذاكرًا أن الشاب ذا الثمانية والثلاثين عامًا يستطيع أن يكون ساحرًا ومحفزًا عظيمًا لمدة دقيقة، ثم يشن هجمات عنيفة إذا أتى شيء ما مخالفًا لتوقعاته. حين قدم جوبز كمبيوتر «نيكست»، أصر على أن يجرب عامل سبعة وثلاثين درجة مختلفة من اللون الأخضر قبل أن يجد الدرجة المناسبة لشرائح العرض.

قال موظف سابق: «كانت الأوقات التي يتحسن فيها مزاجه رائعة، ولكن كانت الأوقات التي يعتل فيها مزاجه شنيعة بما يفوق الخيال.»

وكان جوبز وقتها رهينة لهذا المزاج المعتل بسبب سوء الأوضاع، لكنه حاول أن يعثر على مخرج. تمكن كُتاب السيناريو في «بكسار» من معالجة عيوب شخصية «وودي» بالتنقيح، لكن جوبز حاول أن يبيع «بكسار» كلها أو جزءًا منها في فترة من سنة ١٩٩٤م. حاول مع «هولمارك»، الشركة صانعة البطاقات، و«بول ألن»، أحد مؤسسي مايكروسوفت، وحتى مايكروسوفت نفسها، ولكنه لم يستطع عقد صفقة.

وحين اكتمل الفيلم ووافقت ديزني على توزيعه في موسم إجازة ١٩٩٥م، شعر بتغير في مشاعره. وبفضل البرمجيات المتطورة التي ابتكرتها «بكسار» وعامِلوها المهرة الملتزمون، تحول الفيلم إلى قصة صداقة محببة لدى الجميع على مر الوقت.

كان أيضًا أعجوبةً تكنولوجية. باستخدام الهندسة والجبر، وأحدث الكمبيوترات القوية، ابتكر رسَّامو الرسوم المتحركة دُمًى قادرة على القيام بالحركة المرنة، وإصدار التعبيرات الواقعية، والتفاصيل الدقيقة. كان لـ «وودي»، والذي استقى «لاسيتر» شخصيته من دميته المفضلة كطفل — وكانت لـ «كاسبر» الشبح الودود وتتحدث بشد خيط من ظهرها — أكثر من سبعمائة نقطة هندسية يمكن التحكم فيها، ومنها أكثر من مائتين في الوجه. واستغرقت إضافة الألياف والتجاعيد والقذارة والنتوءات، والتفاصيل الأخرى،

آلافًا أخرى من ساعات العمل الإضافي. وكان رسامو الرسوم المتحركة يعملون لأسبوع ليجعلوا تعبيرات «وودي» تتواءم مع ثوانٍ قليلة من حوار الممثل «توم هانكس».

بينما كانت التغيرات في الرسوم المتحركة القديمة تتطلب رسم الشخصيات من جديد، سمحت البرمجيات بإجراء التعديلات بنقرات بدلًا من ذلك. كان باستطاعة «لاسيتر» بسهولةٍ تحسين الصور، مرشدًا رسامي الرسوم المتحركة إلى أن يميلوا وجه «أستاذ بطاطس» «بحيث يسهل على الطفل أن يعض أنفه»، أو مقترحًا «لنزَ إن كنا نستطيع أن نجعل لُعاب الطفل أكثر ليونة، بحيث يعلق ويتمدد أكثر».

عمومًا، تطلب كل إطار — يظهر لمدة ١/٢٤ من الثانية — ٥ ميجا بايت من الذاكرة، تقريبًا أربعون ضعفًا مما كان موجودًا في أول ماكنتوش. واستغرق دمج كل الشخصيات، والخلفيات، والتفاصيل الأخرى في صورٍ نهائية مئات من ساعات المعالجة على حقل من الكمبيوترات السريعة.

وبمجرد اكتمال المشروع، سارع المسوقون بممارسة عملهم. وافقت سلسلة محلات «برجر كينج» على ترويج الشخصيات مع وجباتها التي تقدمها للأطفال، ووضعت شركة «فريتو لاي» مجسمات يبلغ طولها سبعين قدمًا لـ «وودي» و«بظ» في محلات البقالة.

في أوائل ١٩٩٥م، احتفل جوبز ببلوغ الأربعين في حفلة نظمها له صديقه «لاري إليسون»، الرئيس التنفيذي لشركة «أوركل» للتكنولوجيا. كان، حينذاك، غالبًا ما يقود جيب شيروكي بدلًا من سيارته «البورش»، وكان على وشك أن يصبح أبًا لطفلة أخرى، «إرين سيينا». وكان أيضًا سعيدًا بإنجاز «بكسار». في مايو ١٩٩٥م، جعل «فيرناندا وجريتا شليندر»، وكانتا حينذاك في التاسعة والعاشرة، اثنتين من أسعد الأطفال حظًّا في أمريكا. دعا الفتاتين وأباهما، محرر «فورتشن» «برنت شليندر»، إلى منزله لعرض غير رسمي لفيلم «حكاية لعبة».

لم يكن الفيلم مكتملًا — كانت بعض أجزائه لا تزال بالأبيض والأسود ومن دون حركة كاملة — لكن جوبز لم يستطع الانتظار على سؤال ابنتَي «شليندر» حين انتهى الفيلم: إذن، ما رأيكما؟ هل هو بجودة «بوكاهونتاس»؟

اعتقدت الفتاتان أنه كذلك.

واصل جوبز: حسنًا، هل هو بجودة «الأسد الملك»؟

كان عليهما أن تفكرا بشأن هذا السؤال. قدمت «فيرناندا» الإجابة التي أراد أن يسمعها: في الحقيقة، لن أستطيع أن أكوِّن رأيًا حتى أرى «حكاية لعبة» خمس أو ست مراتٍ أخرى.

مع اقتراب موعد الافتتاح، جاء جوبز بخطةٍ شديدة الغرابة بما يتفوق على كل الخطط التي اقترحها سابقًا: سيرتب لبيع أسهم «بكسار» للجمهور بعد افتتاح الفيلم بقليل.

حتى بالنسبة إلى أكثر مضاربي «وول ستريت» المغامرين نجاحًا، والذين دائمًا ما يبحثون عن الأسهم الحديثة التي يزداد عليها الطلب الجماهيري، تطلبت الفكرة قدرًا لا يُصدق من الجرأة. قبل ١٩٩٥م، كانت «بكسار» تحقق دخلًا سنويًّا متواضعًا بلغ ٧,٣ مليون دولار من بيع بعض الكمبيوترات الغالية، وصناعة الإعلانات التجارية، وبيع البرمجيات المتخصصة.

صحيح أن جوبز عقد صفقة مع ديزني لصنع فيلمين آخرين بعد «حكاية لعبة»، لكن الخسائر كانت قد تراكمت على الشركة عامًا بعد عام.

مع ذلك كله، توقع جوبز من مشتري الأسهم إنفاق نقودهم التي كسبوها بمشقة في الحصول على جزء صغير من شركة صنعت فيلمًا طويلًا واحدًا، قد ينجح وقد لا ينجح، وقد تتبعه أفلام ناجحة أخرى وقد لا يحدث ذلك. أخبره محترفو الصناعة أنه مجنون.

ربما! لكنه كان أيضًا ستيف جوبز، الذي لا يقبل بـ «لا» جوابًا.

وظَّف مديرًا ماليًّا ليبيع الفكرة لـ «وول ستريت» والمستثمرين. كما في أبل، أثارت فكرة أن بعض الناس قد يصبحون أثرياء بينما قد لا يصبح البعض الآخر مثلهم استياء؛ فحفنةٌ فقط من المديرين — «إد كاتمول»، وهو أحد المؤسسين، والمخرج «جون لاسيتر»، والمدير المالي الجديد، واثنين آخرين — يملكون أسهمًا تكفي لأن يصبحوا مليونيرات إذا نجح العرض. وبإمكان بقية العاملين شراء أسهم في المستقبل بسعر مخفَّض، لكنهم لن يستطيعوا فعليًّا شراء أسهم لمدة أربع سنوات. وفي الوقت ذاته، يكون ستيف جوبز قد امتلك ٨٠ في المائة من الشركة بعد العرض.

كان توقيته ممتازًا. في ذلك الصيف، استطاعت شركة صغيرة لا يزيد عمرها على عام واحد اسمها «نيتسكيب» أن تبيع بنجاح أسهمًا للجمهور، برغم تاريخها القصير، وهي شركة قد طورت واحدًا من أوائل المتصفحات للبحث في الويب. فجأةً، بدا عرض أسهم «بكسار» واعدًا.

بدأ عرض «حكاية لعبة» في عطلة نهاية أسبوع عيد الشكر في ١٩٩٥م مع الكثير من الإشادة من جانب النقاد، وهرعت العائلات لمشاهدته. حقق ٢٩ مليون دولار في عطلة نهاية الأسبوع الأولى، متخطيًا الرقم المسجل للعروض الأولى في عيد الشكر. وصار أنجح

الأفلام فيما يتعلق بشباك التذاكر في تلك السنة؛ حيث حققت تذاكره ١٩٢ مليون دولار في الولايات المتحدة ومثلها تقريبًا في الخارج.

بعد ذلك بأسبوع، بيعت أسهم «بكسار» للجمهور بسعر ٢٢ دولارًا للسهم. في اليوم الأول للتداول زاد السعر على الضعف ليغلق عند ٣٩ دولارًا للسهم. جلب العرض للشركة أكثر من ١٣٠ مليون دولار لتمويل عملها في المستقبل.

ومن اللافت أكثر أن ستيف جوبز، والذي كان ذات يوم نابغة الكمبيوتر الشخصي الذي قدم جزءًا كبيرًا من ثروته لتستمر الشركة، امتلك لمدةٍ قصيرة أسهمًا تزيد قيمتها على مليار دولار، قبل أن يهبط السعر مجددًا.

لم يكن كتاب السيناريو في «بكسار» ليتوصلوا إلى نهايةٍ أفضل.

وعلى الرغم من تلذذ جوبز بنجاح «حكاية لعبة» واستمتاعه بأسرته المتنامية، لم تغب أبل قط عن قلبه وعقله. كتب «شليندر»، الصحفي في «فورتشن» أن: «أي شخص يعرفه جيدًا، سيخبرك بأنه نادرًا ما يمر عليه يوم من دون أن يفكر فيما كان يمكن أن يفعله لو كان يدير أبل.»

تقدمت أبل بخطوات واثقة لعدة سنوات تحت رئاسة سكلي، لكنها تعثرت في أوائل التسعينيات واستُبعد سكلي في ١٩٩٣م. ازدادت مشاكل الشركة تحت رئاسة من خلفه.

استغرق الأمر عقدًا لتكتشف مايكروسوفت في النهاية كيف تقلد أفضل خصائص الماكنتوش وتحسن حتى من بعضها. في الوقت ذاته، كانت تكنولوجيا أبل قد بارت وفقدت رونقها. انتقد جوبز الموقف في مقابلة قائلًا: «ماتت صناعة الكمبيوتر المكتبي. توقف الابتكار فعليًّا. تسود مايكروسوفت المجال بأقل القليل من الابتكار.»

وأضاف: «لقد خسرت أبل.»

في خريف ١٩٩٥م، باح لمجلة «فورتشن»: «أتعرفون؟ لدي خطة تنقذ أبل.»

لم يقدم تفاصيل، لكنه قال: «إنه المنتج المثالي والاستراتيجية المثالية لأبل. لكن لا أحد هناك يستمع إلي ...»

ولكن بنجاحه الهائل مع «بكسار»، ربما يستمع إليه أحدهم على الرغم من كل شيء.

جولة الغابة

يدين «جون لاسيتر»، العبقري خلف أفلام «حكاية لعبة» و«السيارات»، بالفضل لوظيفة صيفية في ديزني ساعدت على إعداده للعمل في مجال الرسوم المتحركة.

لطالما أحب «لاسيتر» الكرتون منذ طفولته. كان يستيقظ كل سبت، في السادسة والنصف صباحًا ليشاهد أول البرامج. في المدرسة الثانوية، كان يعود إلى البيت مسرعًا من تدريب كرة الماء ليرى «باجز باني». وكانت أمه، مدرسة الرسم، تشجعه.

وفي عامه الأول في المدرسة الثانوية، صادف كتابًا بعنوان «فن الرسوم المتحركة» (The Art of Animation)، وأدرك للمرة الأولى أنه ربما يستطيع كسب رزقه من الرسوم المتحركة. درس الفن ودُعِي لدراسة الرسوم المتحركة في برنامج جديد في معهد الفنون بكاليفورنيا.

لكنه يقول إن الكثير عما يعرفه عن الكوميديا والتوقيت الكوميدي اكتسبه من وظيفته الصيفية كقائد لجولة الغابة (جانجل كروز) في «ديزني لاند». قال: «عرفتُ أن التوريات والنكت كلما كانت أسوأ، أصبحت أكثر إثارة للضحك، إذا كنت تعرف كيف تلقيها.»

ما علاقة الهندسة به؟

لا تحتاج الرسوم المتحركة بالكمبيوتر إلى فهم الكمبيوتر وحسب، لكنها تحتاج أيضًا جرعة كبيرة من الرياضيات والفيزياء لابتكار عالم حقيقي قابل للتصديق.

يقول «روب كوك»، نائب رئيس «بكسار» الأسبق المتقاعد، الذي كتب بعض البرمجيات الأساسية: «يوجد هذا العالم بأكمله فقط نتيجة الرياضيات. كل ما تفعله فيه هو عملية رياضية، وإذا قمنا بعملنا على الوجه الأمثل لن يكون الأمر ملحوظًا لأحد.»

تأمل الكوع مثلًا. حين ينثني، يلف الذراع واليد والرسغ وتنضم العضلية ثنائية الرأس ... كلها معادلات رياضية. في كل من الرسوم المتحركة وجرافيك ألعاب الفيديو، يساعد حساب المثلثات في الدوران والحركة، ويستخدم الجبر في المؤثرات الخاصة، وحساب التفاضل والتكامل ضروري لتبدو الإضاءة حقيقية.

لصناعة صورة معقدة ثلاثية الأبعاد، يتم اختيار النقط لتحديد أشكال متنوعة، واختصارًا، تقسمها إلى مضلعات. ولأن تلك الأشكال لا تتميز بالسلاسة أو المرونة، يتم تقسيم المضلعات وتقويسها، حتى تبدو الصورة ملساء وحقيقية. وهذه التقنية، وتسمى «السطح المقسم»، ابتُكرت في «بكسار».

مع كل فيلم، كان فريق «بكسار» يواجه تحدي تطوير شيء جديد في الرسوم المتحركة بالكمبيوتر. احتاج «حياة حشرة» أشجارًا وأوراق أشجار واقعية، وكان في «شركة المرعبين

المحدودة» الكثير من الملابس والشَّعر، وتطلب «البحث عن نيمو» رش مياه، وكان في «أبطال خارقون» طاقم من البشر ذوي العضلات القوية.

بالإضافة إلى المهندسين والقصاصين المبدعين، توظف «بكسار» عدة أشخاص من الحاصلين على الدكتوراه، مثل الفيزيائي المتخصص في الهواء والمياه. وتستخدم الشركة «فيزياء الكرتون» كما قال «كوك»، وهي ليست شيئًا دقيقًا من الناحية التقنية كالفيزياء، لكنها تتيح للأفلام أن تبدو حقيقية بينما يلتقط في الوقت ذاته ردود الأفعال الخيالية ويصور الشخصيات ذات الأجسام اللينة التي تجعل مشاهدة الكرتون ممتعة.

الفصل الخامس عشر

العودة

لم تكن القصة التي حكاها جوبز لخريجي ستانفورد عن الحب والفقدان قد انتهت بعد.

جُرِح جوبز بعمق من تركه أبل. لكن، كما قال: «كان الاستبعاد من أبل أفضل ما كان يمكن أن يحدث لي على الإطلاق.»

من نقطة الفشل هذه، استطاع أن يبدأ من جديد. أسس «نيكست»، ومول «بكسار»، والتقى «امرأة مدهشة»، وهي «لورين» زوجته.

ثم، حدث شيء آخر أكثر استثنائية.

في ١٩٩٦م، احتاجت أبل المساعدة. كان لديها فائض من بعض المنتجات وعجز في بعضها. والأسوأ، أن بعض أجهزة «اللاب توب» الجديدة التي تصنعها كانت تشتعل فيها النيران أحيانًا لعيبٍ في بطارياتها. أنفقت أبل مئات الملايين من الدولارات في العمل على ابتكار نظام تشغيلٍ جديد، أطلقوا عليه «كوبلاند»، ليحل محل النظام العتيق. لكن التطور كان متأخرًا، وكان المنتج مليئًا بالمشاكل. وعلى الرغم من وصول أبل إلى ذروة مبيعاتها بمبلغ ١١ مليار دولار مبيعات في السنة المالية ١٩٩٥م، فقد اختفى المستهلكون، وكانت في حالة متردية، حتى إن قادتها كانوا يحاولون بيعها لأي شخصٍ تقريبًا؛ حتى لمنافستها المملة المفتقدة للخيال، «آي بي إم».

وصفتها «تايم» بأنها «فوضى في فوضى من دون رؤية استراتيجية ومن دون مستقبل بالتأكيد.» ووضعت «بيزنيس ويك» عنوانًا لقصتها الرئيسية «سقوط أيقونة أمريكية». وقالت «فورتشن»: «إنه لأمر يمزق القلب.»

لم تتحول أي من المحادثات إلى صفقة. تم تعيين رئيس تنفيذي جديد، «جيل أميليو»، وكان يبدو أن الأمر يحتاج إلى ما يشبه المعجزة ليوقف الشركة على قدميها. كانت أبل لا يزال لها عدد هائل من الأتباع المخلصين، أكثر من ٢٠ مليون شخص اشتروا

مدخل مبنى أبل في «كابرتينو»، كاليفورنيا. (من تصوير جورافي، تحت رخصة المشاع الإبداعي)

كمبيوترات ماكنتوش، لكنهم كانوا على وشك أن يبدءوا التحول إلى كمبيوترات أرخص برقائق «إنتل» ونظُم تشغيل «ويندوز مايكروسوفت» إذا لم تقدم لهم أبل شيئًا أفضل.

في الصيف وبداية الخريف، كان قادة أبل يبحثون عن العصا السحرية؛ شخص أو شركة يمكن أن تجلب البرمجيات المتطورة التي تحتاج إليها أبل لتجديد نظام تشغيلها وتقويته من أجل الدفع بأجهزتها مرة أخرى إلى الصفوف الأمامية للتكنولوجيا. تم التفكير لبعض الوقت في شركة صغيرة لم تختبر، أنشأها مدير سابق في أبل، ثم تلقت أبل مكالمة تلفونية من مدير قسم في «نيكست»، وكان يتصرف من تلقاء نفسه، حيث اقترح عليهم التفكير في «نيكست». كان الاقتران بين الشركتين منطقيًّا؛ فنظرًا إلى أن «نيكست» بناها جوبز ومديرون سابقون في أبل، كانت الشركتان أختَين من أبٍ مؤسسٍ واحد.

كان جوبز يقضي وقتًا أطول في «بكسار»، وأضحى مستعدًّا لأن يبيع لأبل برمجيات «نيكست» أو الشركة كلها، وكانت لم تزل تخسر.

في ديسمبر ١٩٩٦م، عاد جوبز إلى مقر أبل في كوبرتينو للمرة الأولى منذ تركها في ١٩٨٥م، جالبًا سحره الطاغي ومهاراته المذهلة في مجال المبيعات معه. على مدى جلستين،

أثار إعجاب قادة أبل بالقدرات الباهرة لـ «نيكست» وأغرق «سبورات» الشركة برؤيته لكيف يمكن للبرمجيات أن تجعل كمبيوترات أبل أكثر خفة بالنسبة إلى مبرمجي الإنترنت ومستخدميه. تحمس «أميليو» وفريقه.

في أواخر ديسمبر، وفي مشهد يشبه إحدى نهايات «بكسار»، وافقت أبل على شراء «نيكست» بأكثر من ٤٠٠ مليون دولار. كان سعرًا مرتفعًا بشكل مدهش؛ فعلى الرغم من أن «نيكست» كان عمرها عشر سنوات، لم تحقق أرباحًا، وبلغت مبيعاتها ٤٧ مليون دولار فقط، بما يساوي ما حققته أبل في عامها الثالث. لكن أبل كانت تشتري ما هو أكثر من البرمجيات؛ كانت بذلك تحصل أيضًا على ستيف جوبز، مؤسسها صاحب الرؤية، الذي وافق على العمل مستشارًا لـ «أميليو».

كان وضع جوبز من الناحية المالية جيدًا أيضًا. بالطبع، فقد حصل على ١٣٠ مليون دولار نقدًا، ومليونًا وخمسمائة ألف من أسهم أبل، تبلغ قيمتها حوالي ٢٢,٥ مليون دولار في مقابل ملكيته لـ «نيكست» (ذهبت بقية الأموال إلى المساهمين الآخرين في «نيكست»).

في أوائل يناير، ظهر «أميليو» وجوبز في مؤتمر «ماكورلد» (Macworld) الكبير في سان فرانسيسكو، وكان المؤتمر في ذلك الوقت يجمع أكبر هواة الماكنتوش مرتين في السنة للتشاور في الأفكار ورؤية الابتكارات. وقد تزاحم أكثر من أربعة آلاف شخص — من مستخدمي الكمبيوتر والعاملين بالتعليم والمحترفين ومطوري البرامج وآخرين — في قاعة الاجتماعات ليشاهدوا العرض الرئيسي. ومع انخفاض مبيعات الكمبيوتر بحدة، كانوا يتطلعون لبعض الأخبار الجيدة.

تجاوز «أميليو»، الذي لم يكن قد تدرب على إلقاء كلمته، الوقت المخصص له بخطبة مفككة وغير مرتبة. وأخيرًا، قدم جوبز.

وعندما صعد جوبز على خشبة المسرح، تقافز هواة أبل وعلت صيحاتهم، ومضت الكاميرات بأضواء الفلاش، ورحبوا بمؤسسهم العائد بعاصفة من التصفيق. كتب الصحفي «جيم كارلتون»: «ما كانت عودة «إلفيس بريسلي» نفسه لتثير ضجة أكبر.» في عرضٍ بارع موجَز أوضح جوبز كيف ستجلب «نيكست» طاقةً جديدة للأجهزة القديمة.

بعد المؤتمر، كان جوبز و«أميليو» على اتصال منتظم، وبحلول فبراير انتقل اثنان من مساعدي جوبز إلى مناصب عليا في أبل. وفي ذلك الوقت، كان جوبز قد قرر أن «أميليو»، كما كان سكلي من قبله، أحمق، أو «بوزو» كما كان يقول.

مع أن برمجيات «نيكست» ساعدت أبل بالفعل على تجديد كمبيوتراتها، فقد استغرق ذلك بضع سنوات، استمرت في أثنائها مشاكل أبل في الزيادة. هجر زبائنها كمبيوتراتها،

واستمرت الخسائر المالية، حتى بلغت ١,٥ مليار دولار. واعتقد البعض أنها على حافة كارثة.

بدأ جوبز يفقد صبره. في يونيو ١٩٩٧م، باع المليون وخمسمائة ألف سهم التي حصل عليها مقابل «نيكست» بسعر ١٥ دولارًا للسهم، وعاد مرة أخرى ليكون مالكًا لسهم واحد في أبل. قال: «كنت قد تخليت إلى حد كبير عن أي أمل في أن يفعل مجلس إدارة أبل أي شيء.»

كان ينبغي عليه أن ينتظر. ربما نتيجة لتقييم جوبز القاطع لـ «أميليو»، قررت إدارة أبل أنها قد استكفت. استُبعد «جيل أميليو» من منصب المدير التنفيذي لأبل في أوائل يوليو ١٩٩٧م. ونما الدور الاستشاري لجوبز.

في ذلك اليوم، دعي كبار المديرين في أبل إلى غرفة الاجتماعات. وقف «أميليو» أمام المجموعة وقال لهم: حان الوقت لأرحل.

وتمنى لهم الخير وخرج.

وبعد بضع دقائق، دخل جوبز الغرفة وجلس. كان يرتدي شورتًا وحذاءً خفيفًا، وكانت لحيته نابتة.

سأل المجموعة: حسنًا، أخبروني عما أصاب هذا المكان.

لم يرد عليه سوى القليل منهم.

اختصر جوبز المسألة قائلًا: إنها المنتجات! إذن، ما مشكلة المنتجات؟

همهم البعض بإجابات، فأوقفهم بإجابته الحاسمة: المنتجات مقرفة!

قبل اثنتي عشرة سنة تقريبًا، استُبعد الشاب المذهل من الشركة التي ساهم في تأسيسها، وبناها، وروج لها، وأحبها. وقد عاد إليها وهو في الثانية والأربعين.

لم يمر وقت طويل حتى أصبح جوبز الرئيس التنفيذي المؤقت لأبل، وهي وظيفة سماها «آي سي إي أو» (iCEO)، في إيماءة إلى المنتجات التي ستقدمها أبل قريبًا.

لم يُدِر أبل في المرة الأولى، ولم يكن قد أدار قط شركة في الحجم الذي وصلت إليه أبل، خصوصًا أنها كانت تندفع بسرعة إلى هاوية الفشل. لكنه لم يعُد الولد المتصلف، المندفع، النزق، الذي استُبعد من الشركة في الماضي. كان قد أصبح رب أسرة وأبًا لثلاثة أطفال وكان أيضًا قد تعلم بعض الأشياء.

كان لم يزل يتسم بالحدة والانفعالية، وبإمكانية أن يكون فظًّا وقاسيًا بشكل جارح. وكان لم يزل بإمكانه أن يصبح كريهًا، حتى مع أقرب الناس إلى قلبه. لكنه تعلم أيضًا

أن يرى الأشياء من وجهة نظر الآخرين في بعض الأحيان. وبينما بدأ في تهذيب شجرة شركة أبل المتشعبة، وجد، على سبيل المثال، أن تسريح الناس أو فصلهم قد أصبح أصعب عليه بكثير.

وعندما كان يفعل ذلك كان لأنه يعتقد أن وظيفته تتطلب منه ذلك. لكنه أدرك وقال: «هذا الشخص المفصول كان يمكن أن يكون أنا، عائد إلى بيتي لأخبر زوجتي وأولادي أنني قد سُرِّحت من عملي للتو. أو يمكن أن يكون أحد أولادي بعد عشرين عامًا من الآن. لم أنظر للأمر بهذا الشكل الشخصي من قبل.»

في «نيكست» هزمه فشله في تحقيق المستحيل مرة ثانية. وفي «بكسار»، حيث كان المسئول عن الأمور المالية أكثر مما كان رئيسًا، تعلم أن يترك الفنانين فنانين، وتعلم شيئًا آخر.

في البداية، كما قالت «باميلا كيروين»، نائبة رئيس «بكسار»، كان جوبز يهيمن على الاجتماعات ويقاطع الناس ليقول «حسنًا، هذا ما أراه»، لكنه، الآن، كما قالت، «يستمع أكثر، وهو أكثر استرخاءً ونضجًا.»

رأى جوبز المسألة بشكل مختلف. قال: «زادت ثقتي بالناس.»

بطريقة لا تصدق تقريبًا، اجتمعت قطع الأحجية مرة أخرى. كان جوبز قد طرد من أبل، وأنشأ شركة كافحت لتبقى، ثم باع الشركة لأبل، حبه الأول، ثم صار مسئولًا عنها. وبالطبع، لم يكن أي من هذا ليحدث لو لم يفصل من أبل.

في كلمته لخريجي ستانفورد، حذر من أنهم أيضًا قد يتعرضون لنكسات. قال لهم: أحيانًا تضربكم الحياة بطوبة في الرأس. لا تفقدوا إيمانكم.

كان اختياره الأهم هو إخلاصه المستمر لما أحبه، سواء كان عملًا أو شريك حياة.

وقال لهم إنهم إذا لم يكونوا قد عثروا على هذا الحب بعد: استمروا في البحث حتى تعثروا عليه. لا تتنازلوا عما تريدونه.

في السنوات التالية، واجه جوبز تحديات وأزمات لم يكن يتخيلها، لكنه لم يتنازل قط ليفعل شيئًا لا يحبه.

ولكنه على الرغم من ذلك، بدأ وظيفته الجديدة في أبل بصفقة هي الأكثر غرابة، سوَّى بها منافسة قديمة جدًّا.

زِي ستيف الموحد

بداية من أواخر تسعينيات القرن العشرين ولبقية حياته كان جوبز يُشاهَد عادة في الملابس نفسها: كنزة سوداء برقبة، وبنطلون «ليفايس»، وحذاء «نيو بالانس» بالي.

قال جوبز إنه في البداية ألهمته رحلة إلى «سوني»، شركة الإلكترونيات اليابانية الكبيرة، حيث كان الجميع يرتدي زيًّا موحدًا في ثمانينيات القرن العشرين. فسَّرَت الشركة ذلك بأنه بعد الحرب العالمية الثانية، لم يكن لدى الكثير من العمال ملابس، ومن ثم اشترى أصحاب الأعمال أزياءً موحدة ليكون لدى الموظفين ما يرتدونه. وبمرور الوقت، ربطت تلك الأزياء الموحدة العمال بشركتهم.

اعتقد جوبز أن مثل هذا الزي قد يكون عظيمًا بالنسبة إلى أبل، لكن فريقه الأمريكي رفض الفكرة بسرعة.

مع ذلك أصبح جوبز صديقًا لمصمم الأزياء «إيسي مياكي»، الذي صمم بعض أزياء «سوني» الموحدة، وطلب منه جوبز أن يصنع بعض الكنزات السوداء ذات الرقبة الطويلة التي يحبها. قال جوبز: «لقد صنع لي حوالي مائة منها.» وقد أطلع كاتب السيرة «والتر آيزاكسون» على مجموعة منها في خزانة ملابسه.

صارت الكنزة والجينز (من دون حزام) الزي الشخصي الرئيسي لجوبز، مع أنه كان يلبس شورتًا وصندلًا أو يتجول حافيًا أحيانًا. وقد جعل الروتين ارتداء الملابس يوميًّا سهلًا بشكل كبير بينما كان يرسخ صورة جوبز الشخصية في أذهان العالم.

الفصل السادس عشر

مختلفان

لفترة طويلة، كان ستيف جوبز و«بيل جيتس» صديقين لدودين، لكن حينذاك كانت أبل في مفترقٍ حاسم، وكان جوبز في حاجة إلى أن ينحي اختلافاتهما جانبًا.

كان للاثنين تاريخ طويل معقد. ولد الاثنان في ١٩٥٥م، وحققا شهرة وهما في أوائل العشرينيات، جوبز في مجال الكمبيوتر الشخصي و«جيتس» في البرمجيات. في وقت سابق ومبكر، كتبت مايكروسوفت برنامجًا أساسيًّا لأبل ٢، وبدايةً ابتكرت برنامج الجداول، المسمى بـ «الإكسل» لماكنتوش، مطلقةً عملها في صناعة برمجيات إضافية. وكأعزبين في أواخر الثلاثينيات من عمريهما، خرجا في بعض المواعيد المزدوجة.

كان «جيتس» يرى أن الكمبيوترات الشخصية شيئًا سيجعل الأعمال تسير بشكل أفضل. واعتبرها جوبز «أداةً استثنائية يمكن أن تجعل البشر أفضل». كان «جيتس»، العملي والمنهجي، يريد أن يخرج منتجًا مقبولًا ثم يحسنه فيما بعد. ولم يكن جوبز، الانفعالي المتقلب، يريد طرح أعماله في السوق قبل أن تتسم بالكمال.

كان جوبز، بأناقته وسحره المعهودين، قد صار مليونيرًا أولًا وأصبح وجه تطور التكنولوجيا، لكن بمجرد أن طرحت مايكروسوفت أسهمها للاكتتاب العام، حلَّقَت أسهم «جيتس» عاليًا وبسرعة ليصبح في وقتٍ قصير من أغنى أغنياء أمريكا. أحيانًا كان يرغب كل منهما فيما يملكه الآخر: استاء «جيتس»، نابغة الكمبيوتر الحقيقي، من أن جوبز الذي لا يعرف حتى أن يكتب شفرة برنامج يُعتبَر رجل التكنولوجيا المتألق ذا الرؤية. واستاء جوبز، وكان مفاوضًا صلبًا ومديرًا صعبًا، لأن «جيتس» يُعتبَر رجل أعمال أكثر تمرُّسًا.

كما خاضا أيضًا قتالًا طويلًا ومريرًا حول ما إذا كان «جيتس» ومايكروسوفت قد سرقا أفضل أجزاء ماكنتوش ووضعوها في نظام التشغيل «ويندوز». حاربت أبل مايكروسوفت على الأمر في المحاكم لسنوات، لكنها خسرت.

صورة «بيل جيتس» تغطي خشبة المسرح، بينما يعلن ستيف جوبز عن اتفاق مع مايكروسوفت للاستثمار في أبل.

في بعض الأحيان كانا ينتقدان بعضهما بعضًا بشدة. بينما كان «جيتس» من أشد المؤيدين لماكنتوش، كان يسخر من أعمال جوبز في «نيكست».

كان جوبز يتهكم بالمثل على نجاح «جيتس». في مقابلة مع مجلة «رولينج ستون» في ١٩٩٤م، بعد تصنيف «جيتس» أغنى رجل في أمريكا، سُئل جوبز عن شعوره بشأن نجاح «جيتس» إلى هذا الحد ببرمجيات تقلد برمجيات أبل. ردَّ جوبز: «في الحقيقة، ليس الهدف أن أكون أغنى رجل في المقبرة. ليس هذا هو هدفي على أي حال.»

في مقابلة تلفزيونية بعد بضع سنوات، كان جوبز حادًّا بشكلٍ بالغ الفظاظة في وصف مايكروسوفت. قال: «ليس لهم ذوق. لا أعني ذلك على مستوًى صغير. أعني ذلك على مستوًى كبير، بمعنى أنهم لا يفكرون في أفكار أصيلة ولا يضعون كثيرًا من الثقافة في منتجاتهم.»

سلم جوبز بأن مايكروسوفت تستحق نجاحها في معظمه، لكنه أضاف: «لدي مشكلة مع فكرة أنهم يصنعون منتجات من الدرجة الثالثة حقًّا.»

بعد المقابلة، اعتذر جوبز لـ «جيتس»، قائلًا إنه لم يكن ينبغي له أن يعلن رأيه على الملأ أبدًا. لكن جوبز واصل بعدها ليقول لصحفي إنه يعتقد أن «جيتس» «ضيق الأفق إلى حد ما»، وكان يمكن أن يكون شخصًا واسع الأفق أكثر لو كان قد «زار أحد المعابد الهندية وهو شاب».

بحلول أواخر التسعينيات، رأى أصحاب «ماك» المخلصين لأبل أن شركتهم تبدو أشبه بالنملة أمام عملاق مايكروسوفت في المعركة الدائرة على حرفية الكمبيوتر وسهولة استخدامه. لكن مع تهاوي مبيعات ماكنتوش وغموض مستقبل نظام تشغيله الجديد لم تكن مايكروسوفت لتلتزم بمواصلة صناعة برامجها الشهيرة: «إكسل» و«وورد» لـ «ماك»، والذي يتطلب برمجيات مختلفة عن الويندوز (ولا يزال ذلك صحيحًا، لكن أهميته أقل الآن لأن الكثير من المحتوى يأتي عبر الإنترنت).

كانت برمجيات أبل تجارة جيدة لمايكروسوفت، لكنها لم تكن ضرورية بالنسبة إليها. لكن من دون منتجات مايكروسوفت كان يمكن لأبل أن تنهار تمامًا.

كان من أول ما فعله جوبز بعد رحيل «أميليو» الاتصال لـ «جيتس» تلفونيًّا، قائلًا له: «سوف أصلح هذه الشركة.» ثم قال بصراحة: «أحتاج إلى مساعدة.»

في مفاوضات تضمنت تمشية طويلة مع مدير مالي في مايكروسوفت بينما جوبز يسير حافيًا، توصل الطرفان بسرعة إلى صفقة. ستواصل مايكروسوفت إنتاج برمجياتها لـ «ماك» وستدفع مبلغًا من المال لم يفصح عنه لتسوية النزاعات المستعرة على براءات الاختراع. وبالإضافة إلى ذلك، تشتري مايكروسوفت أسهمًا من أبل بمبلغ ١٥٠ مليون دولار.

ولإحماء التفاصيل، خطط جوبز للإعلان في مؤتمر «ماكورلد» في الصيف في بوسطن. وفي أثناء الاستعدادات وضع جوبز اللمسات الأخيرة على التفاصيل النهائية بالصفقة مع «جيتس» على التلفون المحمول. سمع مصورٌ كلمات الامتنان التي صدرت عنه، وظهرت فيما بعد على غلاف مجلة «تايم»: «بيل، شكرًا على دعمك لهذه الشركة. أظن أن العالم سيكون أفضل بفضل ذلك.»

انتشى الحشد المخلص في «ماكورلد» برؤية جوبز مرة أخرى، حتى بدأ يفصح عن صفقة مايكروسوفت. لم يقتنعوا حين أخبرهم بأن «زمن التنافس بين أبل ومايكروسوفت

قد ولى». وحين قال إن متصفح مايكروسوفت — «الإنترنت إكسبلورر» — سيكون هو متصفح الإنترنت الذي يباع كجزء من «ماك»، تذمروا. وحين ظهرت صورة «بيل جيتس» على الشاشة الكبيرة في قاعة الاجتماع، صدرت عن الجمهور أصوات الاستهجان والرفض.

فيما بعد، اعترف جوبز بأنه تصرف بشكل أخرق على خشبة المسرح، حتى بدا هو وأبل صغيرين بجوار الصورة العملاقة لوجه «جيتس». كما أحرج «جيتس» أيضًا حين رأى فيديو لوجهه الهائل على الشاشة. لكن الهدف تحقق: وضعت مايكروسوفت استثمارًا صغيرًا بالنسبة إلى شركة في حجمها، لكنها كانت تخبر العالم أنها تعتقد أن أبل ستنهض في المستقبل. ووصلت الرسالة إلى «وول ستريت»، وارتفعت أسهم أبل في ذلك اليوم حيث استنتج المستثمرون أنها، حقًّا، ستبقى حية.

مع أن جوبز لم يكن سيتولى رسميًّا منصب المدير المؤقت بضعة أسابيع، لم يضيع وقته من دون القيام بنقلات جذرية أخرى. كان لم يزل محتفظًا بجرأته المعهودة، فطلب الاستقالة من معظم أعضاء مجلس الإدارة، ومن بينهم «مايك ماركولا»، المستثمر الأصلي الذي كان مع الشركة منذ البداية. حل مكان الأعضاء القدامى مديرون يرون العالم بطريقة جوبز، ومنهم صديقه المقرب، «لاري إليسون»، رئيس «أوركل» لصناعة البرمجيات، و«بيل كامبل»، مدير تسويق سابق في أبل وكان يدير في ذلك الوقت شركة أخرى للبرمجيات.

داخليًّا، واصل جوبز جهود «أميليو» لخفض التكاليف بشكل كبير لتبقى الشركة بعيدة عن المشاكل. تخلص من قسم طابعات أبل، وأنهى مشروع أداة محمولة اسمها «نيوتن». درس الخط المتضخم لأبل المتمثل في دستة من الكمبيوترات، ثم رسم جدولًا مكونًا من أربع خانات على السبورة: ستصنع أبل أربعة منتجات رئيسية: كمبيوتر مكتبي و«لاب توب» للأعمال، وكمبيوتر مكتبي و«لاب توب» للمستهلكين.

فرض قواعد جديدة في المقر الرئيسي، مثل منع الكلاب في العمل. وقام جوبز، النباتي الذي كان فطوره يتكون من الحبوب والفاكهة المجففة وعصير التفاح، باستبدال العاملين في الكافتيريا، ووصف عملهم بأنه «طعام للكلاب». وبدأ «التوفو» يظهر في قائمة الطعام.

بينما لم تكن أبل لتمتلك منتجات جديدة أو نظام تشغيل جديدًا لبعض الوقت، عرف جوبز بالغريزة أنه في حاجة إلى أن يغير الطريقة التي يرى بها العالمُ — وحتى موظفوه — وليدَه. بالضبط كما عاد إلى صديقه القديم «بيل جيتس»، ذهب إلى مسئولي الدعاية الذين صنعوا إعلان ماكنتوش ١٩٨٤م، ليمارسوا عملهم السحري مرة أخرى.

لم يكن جوبز يريد الدعاية لمنتجات، بل كان يريد أن يعرض قيم الشركة بالطريقة نفسها التي كانت «نايكي» تحتفل بها بالألعاب الرياضية والرياضيين من دون أن تذكر أحذيتها. قال مفسرًا — وهو يرتدي الكنزة السوداء المعتادة، والشورت والصندل — في أحد الاجتماعات: «زبائننا يريدون أن يعرفوا: «ما هي أبل؟» و«ماذا نمثل؟» أين مكاننا في هذا العالم؟ ما نفعله لا يتعلق بمجرد صناعة صناديق تساعد الناس على القيام بأعمالهم، مع أننا نفعل ذلك بشكل جيد. أبل تتمحور حول شيء أكبر من ذلك.»

استنتج فريق الدعاية، المسمى حاليًا «تي بي دبليو إيه/تشيات/داي» (TBWA/Chiat/Day)، أن أبل لا تتبع القواعد التي يتبعها الآخرون. لم تكن مثل الشركات الأخرى. بسرعة فائقة، توصلوا إلى شعار «فكر باختلاف» (Think Different).

لكن كيف يمكن للإعلانات أن تصور هذا؟ جرب الفريق مع زبائن أبل، واللقطات السينمائية، وحتى الفئران. في نوبة إلهام قرر الفريق الاحتفاء بالإبداع، وبالمميزين — أحياءً وأمواتًا — الذين شُغِفوا بتغيير العالم إلى الأفضل. كما قال جوبز عمن لم يعودوا أحياءً منهم: «لو استخدموا الكمبيوتر، لكان ماك.»

انتقد جوبز المسودة الأولى، بالطبع، لكنه ساهم بسطر في القصيدة النثرية النهائية لإعلان التلفزيون. وكانت على النحو التالي:

«طوبى للمجانين، غريبي الأطوار، المتمردين، مثيري الشغب.

المختلفون، من يرَون الأشياء بشكلٍ مختلف.

ليسوا مغرمين بالقواعد، ولا يحترمون الوضع الراهن. يمكنك أن تستشهد بهم، تختلف معهم، تبجلهم، تذمهم.

لكن الشيء الوحيد الذي لا يمكنك فعله هو أن تتجاهلهم، لأنهم يغيرون الأشياء. يدفعون الجنس البشري إلى الأمام.

بينما قد يراهم البعض مجانين، نراهم نحن عباقرة، لأن المجانين بدرجة تجعلهم يعتقدون أنهم يمكن أن يغيروا العالم، هم من يغيرونه بالفعل.»

كان يصاحب السرد صور لعباقرة من كل نوع: العالم «ألبرت أينشتاين»، الفنان «بابلو بيكاسو»، والقس «مارتن لوثر كنج الابن»، والراقصة «مارثا جراهام»، والمخترع توماس إديسون، ومن المطربين «بوب ديلان» و«جون لينون» و«يوكو أونو»، والطيارة «أميليا إيرهارت»، ومحرك العرائس «جيم هنسون» ... وغيرهم الكثير. انتهى الإعلان بشاشة سوداء والشعار «فكر باختلاف»، مع شعار أبل الملوَّن.

فاز الإعلان بجائزة «إيمي»، واستمرت حملة الصحف والتلفزيون بفاعلية لخمس سنوات. أثر الأمر في جوبز بعمق. حين عرضه على صحفي من «نيوزويك» للمرة الأولى، بكى. وأصيب بغصة مرة أخرى وهو يصفه لكاتب السيرة «والتر آيزاكسون». قال: «من حينٍ لآخر، أجد نفسي في حضرة النقاء — نقاء الروح والحب — ودائمًا ما يبكيني ذلك. يتوغل في أعماقي دائمًا ويسيطر علي. كان هناك نقاء في هذا العمل، لن أنساه أبدًا.»

وكانت هناك مشكلة لم تكن بالهيئة: الشعار يمكن أن يجعل مدرِّسي اللغة الإنجليزية يحتجون احتجاجات واسعة؛ فالتعبير (Think Different) ليس صحيحًا نحويًّا في اللغة الإنجليزية. ينبغي أن يكون الاستخدام الصحيح (Think Differently). كانت هذه مشكلة مهمة بالنسبة إلى أبل التي كانت تبيع الكمبيوترات للمدارس وطلاب الجامعات أكثر من أي شركة أخرى.

صارع جوبز والفريق مع اللغة. في النهاية، أراد جوبز اعتبار (different) اسمًا شاملًا، وكان استخدام شبه جملة «بشكل مختلف» (differently) ظرف حال، يرسل «رسالة غير مقصودة تقول للقارئ كيف يفكر»، طبقًا لمذكرة أعدها فريق الإعلان للرد على من يشكو من هذا الأمر. وبدلًا من ذلك، أرادت أبل أن يخبرنا الشعار «عما نفكر فيه».

بعد تلقي التفسير، ردت مدرسة لغة إنجليزية على الشركة بخطابٍ تقول فيه إنها أعطت الشركة علامة الامتياز (+A) «لتجهيزها وإعدادها الجيد».

نجح عمل فريق الإعلان. لكن بالنسبة إلى جوبز كان عليه أن يُرِي العالم منتجات تبرهن على أن أبل تستطيع حقًّا أن «تفكر باختلاف» حتى يُصلح أبل بحق.

ستيف و«بيل» على خشبة المسرح

في ٢٠٠٧م، وافق ستيف جوبز و«بيل جيتس» على إجراء مقابلة مشتركة نادرة في مؤتمر جريدة «وول ستريت»، بعنوان «كل ما هو رقمي»، وجمعت المقابلة «ماك» والكمبيوتر الشخصي «بي سي» على الملأ. قرب نهاية جلستهما، سأل شخص عما تعلمه كل منهما من الآخر.

مع أن جوبز كان ينتقد ذوق «جيتس» بشكل مشهور، كان «جيتس» طيب الخلق بالاستشهاد «بالذوق الحدسي» لمنافسه «بالنسبة إلى الناس والمنتجات». قال «جيتس» إنه يرى المنتجات من منظور مهندس، لكن جوبز «يتخذ القرار بناء على إحساس بالناس

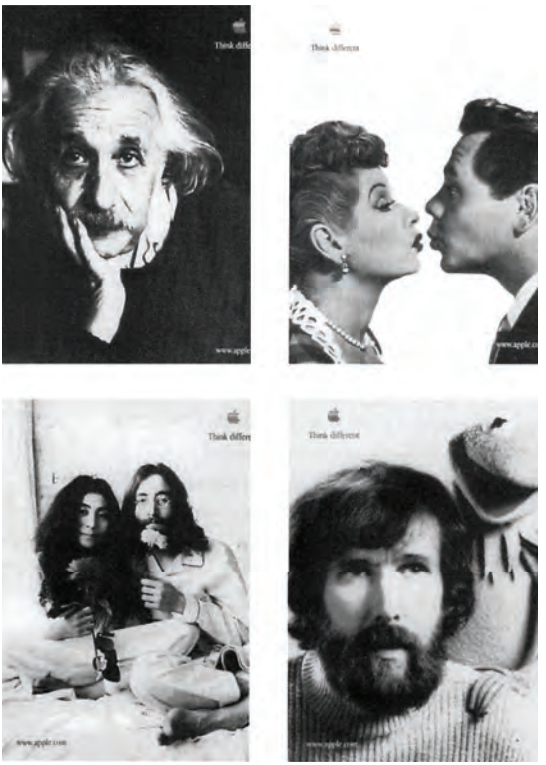

حملة أبل «فكر باختلاف» لم تحاول الترويج لبيع منتج معين (وهي حملة نشرت في الصحف والتلفزيون). بدلًا من ذلك احتفت بالإبداع بربط اسم ماركة أبل بشخصيات استثنائية.

والمنتجات، بطريقة تصعب عليَّ أنا نفسي أن أفسرها. الطريقة التي يعمل بها مختلفة، وأظن أنها سحرية.»

قال جوبز، من جانبه، إنه معجب بطريقة تعاون مايكروسوفت مع الآخرين. قال: «لأنني أنا ووز بدأنا الشركة على أساس القيام بكل شيء، لم نكن بارعين في مشاركة الآخرين. كان «بيل» ومايكروسوفت بارعين حقًّا لأنهما لم يقوما بكل شيء في الأيام الأولى، وتعلما مشاركة الآخرين بشكل جيد حقًّا.»

وقال إن القليل من هذه الصفة كان ليخدم أبل بشكل جيد.

سئل الاثنان أيضًا عن سوء الفهم الأكبر الذي تعرضا له في علاقتهما الطويلة.

أشار «جيتس» أنه حظي بالكثير من المتعة في العمل مع جوبز في مشاريع مثل «الماك». وأشار جوبز أنهما حين بدآ، كانا أصغر مَن في المجال. وقال إنهما الآن غالبًا أكبر رجلين في المجال.

وواصل: «تعرفون، أفكر في معظم الأشياء في الحياة كما أفكر في أغنية لـ «بوب ديلان» أو لـ «البيتلز». لكن هناك سطر واحد في إحدى أغاني «البيتلز»: «لنا أنا وأنت ذكريات أطول من الطريق الذي يمتد أمامنا»، ويصح هذا بوضوح هنا.»

الفصل السابع عشر

التحول

بالنسبة إلى جوبز، كان الجزء الأخير من عام ١٩٩٧م منهكًا. كان ينهي عمله في وقت متأخر من الليل، ويصل البيت في العاشرة مساء، ويدخل السرير، ليستيقظ في السادسة صباحًا ويأخذ حمامًا ويعيد الأمر مرة أخرى.

قال: «لم أعرف هذا الإرهاق قط في حياتي.» كان يشرف بدقة على أبل وعينه على «بكسار»، وتركه الجمع بين الاثنين منهكًا بدرجة تجعله لا يستطيع حتى الحديث مع «باول» حين يعود إلى البيت. لحسن الحظ، كانت متفهمة. قال: «دعمتني وحافظت على الأسرة مع زوجٍ غائب.»

واللافت أكثر أن جوبز كان يدير أبل من دون راتب. وافق على راتب قدره دولار واحد في السنة، بما يكفل لأسرته التمتع بالخدمة الصحية. كان يملك حصة واحدة من الأسهم، ولم يتلق أي أسهم أو تعويض. قال للناس إنه لا يريد أكثر من ذلك. قال: «الخلاصة هي أنني لم أعد إلى أبل لتكوين ثروة (مع أنه كانت لديه ثروة بالفعل بفضل «بكسار»)، أريد فقط أن أرى إن كنا نستطيع العمل معًا لإصلاح حال الشركة.»

كان الكثيرون في الصناعة يشككون في إمكانية إصلاح أبل. حين تولى جوبز المهمة، كانت أبل تعاني من عجز في النقد وبدا أنها تسير باتجاه الإفلاس. كان الجميع تقريبًا يشترون كمبيوترات برقائق «إنتل» وبرمجيات «ويندوز»، وكانت حواسب «هيوليت باكارد» و«دل» تنمو بسرعة وتتقدم ببيع أجهزة بدون شخصية، رخيصة التكاليف. كان عنصر السعر هو السوق في النهاية، حتى إن «آي بي إم» باعت قسم الكمبيوتر الشخصي لديها.

سئل مؤسس «دل» «مايكل س. دل» في مؤتمر: ماذا يفعل لو كان مكان جوبز؟ كان صريحًا، قال: «أغلقها وأعيد الأموال لأصحاب الأسهم.»

ستيف جوبز قرب جهاز «آيماك» المعروف بهيكله الملون وشكله المثلث المميز.

لكن جوبز، بما يتفق مع رؤيته الأصلية لأبل، آمن بأن هناك مكانًا للجمال والفن وسط التكنولوجيا والتجارة. كان سعيدًا أيضًا بأن يترك «دل» و«هيوليت باكارد»، وآخرين يستولون على السوق الكبيرة المملة للعاملين الروتينيين ومهاويس التكنولوجيا، بينما يقوم هو على خدمة الأفراد. قال: «كانت جذور أبل تقبع في بناء حواسب للناس، وليس للشركات.»

بينما لا يوجد أحد اقتطع بنجاحٍ سوقًا «للناس» فقط، لم يرَ جوبز سببًا يمنع أبل من فعل ذلك. قال: «على الرغم من كل شيء، كانت شركة «ذي جاب» (The Gap) ناجحةً جدًّا باعتبارها بائعة تجزئة، ولم تكن تبيع البدل.»

ليبدأ العمل في ماكنتوش جديد، اتجه إلى «جوناثان آيف»، أكبر مصممي أبل، المعروف باسم «جوني». طلب جوبز كمبيوترًا أشبه بماكنتوش ١٩٨٤م: «ينبغي أن يكون سهل

الاستخدام، ويشمل لوحة مفاتيح وشاشة، يعمل بعد إخراجه من الصندوق مباشرة، ويكلف أقل من ٢٠٠٠ دولار، مما يجعله أرخص آلة في أبل.»

بعد الرفض مرتين من الرئيس، توصل فريق «آيف» إلى صندوقٍ يشبه وسادةً مثلثة أكثر مما يشبه المكعب. بتغطية الكمبيوتر ولوحة المفاتيح في بلاستيك شفاف يكشف ما في الداخل للعالم، بدا الجهاز كله ظريفًا وجذابًا. زار الفريق مصنع حلوى «الجيلي بين» لمعرفة المزيد عن الألوان الشفافة، واستقروا على لون أزرق مائل للاخضرار للكمبيوتر نفسه، وتمت إضافة درجات أخرى بألوان الحلوى فيما بعد.

انتشى جوبز بإبداعه المتفرد، ورآه جوهر تصميم عظيم. وقال إن معظم الناس يرون أن التصميم هو الطريقة التي يبدو عليها شيء ما. وأضاف مفسرًا: «مثل نسيج الستائر والأريكة». لكن بالنسبة إليه: «التصميم هو الروح الأساسية للإبداع الذي يصنعه الإنسان، الذي يتجلى في النهاية في طبقات خارجية متتابعة من المنتج والخدمة.» وقال: «إنه ليس فقط شكل المنتج أو ملمسه، لكن كيف يعمل.» وهكذا لم تكن الآلة الجديدة تتعلق «فقط باللون أو الشفافية أو شكل الطبقة الخارجية. إن جوهر «آيماك» هو أن يكون أفضل كمبيوتر للمستهلك، والتي تتناغم فيه كل العناصر معًا.»

لكن مهندسي أبل لم يكونوا معجبين بهذا التفكير الفلسفي. «جاءوا بثمانية وثلاثين سببًا» لعدم مواءمة التصميم، كما يتذكر جوبز. لكنه كان المدير المؤقت، وأصر على أنه يمكن أن ينفذ، وسينفذ. وهكذا كان.

كان حرف الـ «آي» (i) في «آيماك» الجديد على ما يفترض اختصارًا لإنترنت، لكنه أيضًا اختصار لـ «فرد، إرشاد، تعليم، إلهام».[١]

بينما كان أحدث كمبيوتر لجوبز يتميز بالكمال في نظره، كان به بعض العيوب. كان الماوس يشبه قرص الهوكي، وتغير في النهاية إلى شيء تقليدي أكثر. استبعد جوبز مشغل الأقراص المرنة، وكان شائع الاستخدام في النسخ الاحتياطي للملفات وتبادلها (ونتيجة لذلك، كان على الزبائن شراء مشغل منفصل للأقراص المرنة). انتابته نوبة غضب شديدة حين اكتشف أن مشغل الأسطوانات المدمجة في الكمبيوتر كان حاملًا يبرز إلى الأمام عند فتحه وليس فتحة أنيقة، كتلك التي توجد في السيارات اليوم. بعد التهديد تقريبًا بتأجيل

[١] فرد individual، إرشاد instruct، تعليم inform، إلهام inspire كلها كلمات تبدأ بحرف i. (المترجم)

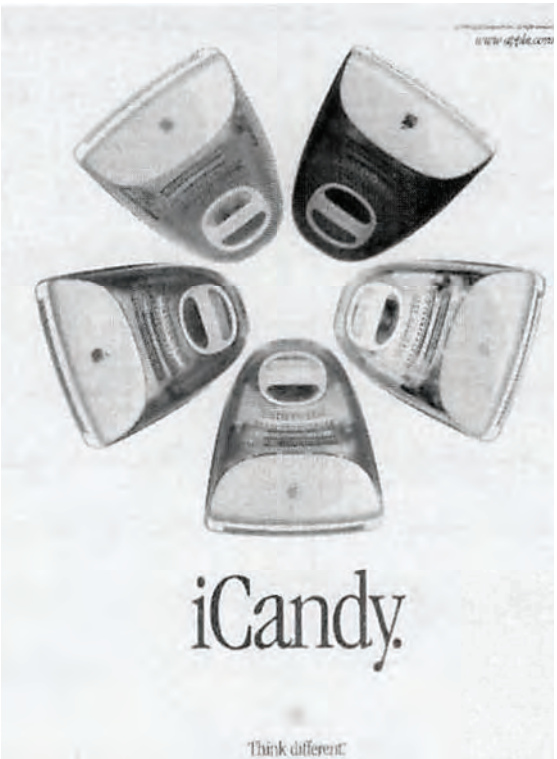

استُلهمت الألوان الشفافة الزاهية لجهاز «آيماك» من زيارة لمصنع حلوى «الجيلي بين». وقد ألمحت إليه حملة إعلانات «آي كاندي» وأكدت للزبائن أن هذا الكمبيوتر مختلف، وألطف، وأسهل استخدامًا، وأمتع.

طرح الكمبيوتر، ضغط على مدير التصنيع المسئول حتى وعد بأن النسخ التالية لن يكون فيها هذا الحامل.

وبينما كانت الآلة الجديدة على وشك أن ترى النور، كان لدى جوبز أخبار طيبة يعلنها لعشاق أبل. في الاجتماع الشتوي لـ «ماكورلد» في يناير، أخبر الحشد بتحسين قادم لنظام التشغيل، وأيضًا برمجيات جديدة لـ «ماك» من مايكروسوفت. ثم، فيما أصبح علامة مميزة لعروض جوبز، ادخر الجزء الأفضل للنهاية.

قال: «أوه، هناك شيء أخير.» بعد أشهر من الخسارة، حققت أبل أرباحًا في ربع السنة المالية، المنتهي في ديسمبر، فيما يمثل الومضات الأولى للأمل في تحول الأحوال للأفضل بحق. كانت كل التخفيضات التي أقرها جوبز في التكاليف قد ساعدت في وضع الشركة على أرض أكثر صلابة.

جاءت الومضات التالية في مايو ١٩٩٨م، حين كشف جوبز عن «الآيماك» الملوَّن الجديد رسميًّا بسعر ١٢٩٩ دولارًا أمام حشد يضم وزنياك و«ماركولا»، وكثيرين من الفريق الأصلي لـ «ماك». في عودة إلى ذكرى الانطلاق الأول لماكنتوش، ارتدى بدلةً بدلًا من كنزته السوداء، وأزاح ستارة ليكشف عن كمبيوتر جميل بشاشة حمراء مكتوب عليها «أهلًا (مرة أخرى)».

قال: «يبدو وكأنه من كوكب آخر. كوكب رائع. كوكب به مصممون أفضل.»

وصف النقاد الجهاز بأنه رائع وخفيف، ويمكن احتضانه. وهام المستهلكون به حبًّا. في الأسابيع الستة الأولى بعد طرح الجهاز للبيع في أغسطس، باعت أبل ما يقرب من ثلاثمائة ألف «آيماك»، في أسرع بداية على الإطلاق لموديل جديد. ارتفعت أسعار أسهم أبل مرة أخرى، بحيث وصلت إلى ثلاثة أضعاف قيمتها حين ترك «أميليو» الشركة.

والأفضل أن مسحًا وجد أن ثلاثة من كل عشرة مشترين لـ «آيماك» لم يمتلكوا كمبيوترًا من قبل، وأكثر من واحد من كل عشرة مشترين تحول إلى «آيماك» من آلة تعتمد على نظام ويندوز. كان التوقيت مناسبًا، كانت أعداد متزايدة من الناس تواقة لاكتشاف احتمالات الإنترنت المتنامي وابتكاراته، مثل البريد الإلكتروني، والماسينجر الفوري الجديد لأمريكا أونلاين، ومحلات الويب الناشئة مثل «أمازون» و«إيباي».

بعد بيع مليوني «آيماك» تقريبًا في السنة الأولى من طرح الجهاز، أنتجت أبل أجهزة «لاب توب» بلون الحلوى تُسمَّى «آيبوكس» في منتصف ١٩٩٩م. كما عرض جوبز كيف تبنَّت أبل تكنولوجيا جديدة اسمها «واي فاي»، تسمح للمستخدمين بالاتصال بالإنترنت من دون كابلات.

ليوضح الإنترنت اللاسلكي للصحفي «ستيفن ليفي» من نيوزويك، انتزع جوبز أحد أجهزة «اللاب توب»، وأمسك به مثل نادل يحافظ على توازن صينية، موضحًا كيف يمكن الانتقال بالكمبيوتر حول الغرفة ويبقى متصلًا بالإنترنت. كتب ليفي: «كان جوبز يرقص بكل معنى الكلمة، ورِجلاه تتمايلان في رقصة مامبو مبهجة حول طاولة الاجتماعات.»

تساءل جوبز: «أليس لهذا السبب في المقام الأول دخلنا هذا المجال؟ انظر إلى ما نفعله هنا!»

بلى، رد «ليفي»، كان هذا أفضل استعراضي في وادي السيليكون، لكنه أيضًا «أوفى معجبي أبل».

بعد ذلك بسنة، قامر جوبز مقامرة أكبر، مقدمًا مكعبًا أسود صلبًا يبدو تمثالًا أكثر منه كمبيوترًا. وفيما يشبه ظروف جهاز «نيكست»، فإن سعر «الباور ماك جي ٤ كيوب» (Power Mac G4 Cube)، كان مماثلًا لأسعار التماثيل الفخمة بالفعل، بمبلغ ثلاثة آلاف دولار بشاشة ولوحة مفاتيح، وكان موجهًا للمستخدمين الذين يريدون أكثر من مجرد جهازٍ منزلي.

كان جوبز قد نضج، لكنه لم يَلِن كثيرًا. كان لم يزل يركن سيارته في المكان المخصص لسيارات المعاقين، وكانت سيارته المرسيدس لا تزال من دون لوحات، ويبدو أن ذلك هو ما كان يجنبه الحصول على مخالفات. كما قال لمجلة «فورتشن»: «إنها لعبة صغيرة أمارسها.» كان يعبر عن فرحه بأن ابنته الصغرى، «إيف»، المولودة في ١٩٩٨م في أحاديث خاصة، كانت تلوح له وهو يغادر البيت في طريقه إلى العمل، لكنه أضاف بعد ذلك أنه لا يترك أولاده يشاهدون التلفزيون، الذي قد يفسد قدراتهم الإبداعية.

كان لم يزل متنقلًا بين أبل و«بكسار»، لكن بشكل أقل حدة. حققت «بكسار» ضربة أخرى مع «حياة حشرة» في ١٩٩٨م، وكان «حكاية لعبة ٢» على وشك أن يصبح قنبلة موسم إجازة ١٩٩٩م، وباع الاثنان تذاكر بأكثر من ٨٠٠ مليون دولار على مستوى العالم. مع أن ما يقلق جوبز أصبح أقل، لكنه كان يستيقظ في السادسة، يرد على البريد الإلكتروني، ويعمل قبل أن يستيقظ أبناؤه، ثم يساعد في إعداد الفطور وروتين الخروج إلى المدرسة. حين كان يستطيع، كان يعمل من البيت ساعة أخرى، ثم يصل إلى أبل في الثامنة أو التاسعة. على الغداء، قد يتبادل عشرات المكالمات ورسائل البريد الإلكتروني مع «بكسار»، وبنهاية اليوم، يكون قد تلقى مئات الرسائل الأخرى، كثير منها لزبائن «ماك» الذين يشاركون أفكارهم مع مدير شركتهم.

وفي وسط هذا التقدم، اتخذ جوبز قرارًا كبيرًا. تمشَّى مع زوجته، وشرح لها كيف يمكن أن تكون أبل أساسًا لتحقيق ما يريد. كان على استعداد لأن يُسقط كلمة «مؤقت» من مسماه الوظيفي ومن ثم يعمل في أبل دوامًا كاملًا، ويصبح رئيسًا تنفيذيًّا بشكلٍ كامل. وأخبرها بأنه يخطط للبقاء من أربع إلى خمس سنوات أخرى.

كان مجلس إدارة أبل يشجعه على القيام بذلك، ولإغرائه، عرض عليه خطة لخيارات شراء ١٤ مليون سهم من أسهم أبل. كانت خطط خيارات شراء الأسهم ميزة مشتركة

بين المديرين وبعض الموظفين، بحيث تتيح لمالك الأسهم شراء الأسهم في المستقبل بسعر اليوم. وهكذا كلما ارتفع السعر الأصلي دولارًا واحدًا سيحقق جوبز ربحًا مقداره ١٤ مليون دولار.

ومع إصرار جوبز في البداية على أنه ليس في أبل ليحقق ثراءً، طلب المزيد. قال: «ما أحتاجه حقًّا هو طائرة لأصطحب بها أسرتي إلى هاواي في إجازة.» كان يكره استخدام الخطوط الجوية التجارية، خصوصًا مع وجود ثلاثة أطفال صغار. وافق مجلس الإدارة على شراء «جولف ستريم في» له، وهي طائرة حمولتها ستة عشر شخصًا. كلفت الهدية أبل ٨٨ مليون دولار، بما فيها الضرائب التي دفعتها نيابة عن جوبز، هدية لطيفة مقابل عمل مذهل في عامين ونصف.

بالإضافة إلى ذلك، طلب جوبز الحصول على خطة اختيار شراء ٢٠ مليون سهم، أكثر مما عرض عليه. في النهاية، وافق مجلس الإدارة على إعطائه منحتين: بعض الأسهم التي يمكن بيعها فورًا لتحقيق ربح، وبعض الأسهم التي يمكن بيعها فيما بعد. وعلى الرغم من أنه لم يحصل على الأسهم كلها في الحال، قدرت مجلة «فورتشن» العملية كلها بمبلغ ٣٨١ مليون دولار. حتى مع كل ما قام به، كان ذلك سخاءً لا يُصدَّق.

في اجتماع «ماكورلد» سنة ٢٠٠٠م، قال جوبز للحشد إن أبل ستقدم نظام تشغيل جديدًا يعتمد على برمجيات حصلت عليها من «نيكست» قريبًا. ومرة أخرى، ادخر الأفضل للنهاية، حين قال للحشد إنه سيسقط كلمة «مؤقت» من مسماه الوظيفي، هبت الجموع واقفة وهي تهتف: «ستيف، ستيف، ستيف.»

بابتسامةٍ قَبِل جوبز الاحتفاء، لكنه أشار إلى أنه جزء من فريق، وأضاف: «أقبل شكركم نيابة عن كل شخص في أبل.»

لسوء الحظ، تداعى فريق أبل بسرعة. بدأ «الآيماك» يتراجع، بعد أن كان رائجًا جدًّا. وكان الكمبيوتر الرائع والأنيق «أبل باور ماك جي ٤ كيوب»، الذي طُرح في صيف ٢٠٠٠م، غاليًا جدًّا. بيع منه نصف العدد المتوقع في الأشهر القليلة الأولى، ثم انهارت المبيعات. سرعان ما تم تجميد «كيوب»، في أول فشل كبير لجوبز منذ عودته.

بحلول عام ٢٠٠١م، تباطأ الاقتصاد، وأخذت شركات التكنولوجيا التي كانت تتقدم ذات يوم تتراجع، وأخذت أبل تخسر مرة أخرى. ومرة أخرى، حذر النقاد من ألا يكون هناك مكان لشركة تتمتع بهذا القدر من الاختلاف.

في الوقت ذاته، كان جوبز يفكر في نقل أبل إلى مجال جديد تمامًا. لم يكن باعة التجزئة الكبار في مجال الكمبيوتر والإلكترونيات يؤدون عملهم على أكمل وجه فيما يتعلق

متجر أبل في شارع «فيفث أفنيو» في مدينة نيويورك.

ببيع كمبيوتراته غير العادية، وكانوا على الأغلب لا يمنحونها الكثير من الاهتمام. قال جوبز: «بدأتُ أفزع. كان الأمر يعني أن علينا أن نفعل شيئًا ما.»

لكن الدخول في تجارة التجزئة كان مقامرةً كبيرة. طلب جوبز من رئيس «جاب» حينذاك «ميلارد ميكي دريكسلر» الانضمام إلى مجلس إدارة أبل، وأغرى «رون جونسون» من سلسلة «تارجيت» بتصميم محلات أبل. بناءً على اقتراح «دريكسلر»، بنوا محلًّا أوليًّا ليروا ما يبدو أفضل.

توصل «جونسون» إلى فكرة «المكتب العبقري» (Genius Bar)، الذي يشبه في عمله إلى حد كبير مكتب الاستعلامات في الفندق، بحيث يمد يد العون للتائهين أو المرتبكين أو مَن هم في حاجة إلى المساعدة.

وكما هو الحال بالنسبة إلى كثير من منتجات أبل، كان جوبز على وشك تدشين أول محل لأبل حين أدرك «جونسون» حقيقةً مؤلمة. نُظِّم المحل النموذجي على أساس المنتجات، لكن المستهلكين يتخذون قرار الشراء على أساس كيفية استخدامهم للمنتجات،

من قبيل صناعة فيديوهات أو تسلية أبنائهم. قال جوبز إن إعادة تصميم المحل أجَّلت التدشين عدة أشهر، «لكنه كان القرار المناسب تمامًا.»

تم افتتاح أول محلين: في تايسونز كورنر، بفيرجينيا، وفي جلندايل، بكاليفورنيا، في ربيع ٢٠٠١م.

ولكن من دون منتجاتٍ رائجة، لم يكن هناك سوى القليل جدًّا مما يمكن أن يبيعه جوبز.

التغليف

لم تَفُت أصغر التفاصيل على ستيف جوبز الذي كان يناقش كل صغيرة وكبيرة.

بالإضافة إلى طلبه منتجات جميلة وجيدة التصميم، طلب أيضًا تغليفًا جميلًا جيد التصميم. كان هو وكبير مصممي أبل، «جوني آيف»، مهووسين بالصناديق التي تفتح بطريقة ثني مناسبة وبفتحات بحجم مناسب. ينبغي أن يتم إخراج الكمبيوتر من الصندوق بطريقة مثيرة، وينبغي أن يوضع «الآيبود» أو «الآيفون» الجديد بشكل مناسب في قطعة من البلاستيك.

مثال للتغليف الدقيق لأبل، ونراه هنا مع «آيفون ٤».

قال «آيف»: «يمكن أن يكون التغليف مسرحًا، يمكنه أن يحكي حكاية.»

في الحقيقة، من بين براءات الاختراع التي تشارك فيها جوبز و«آيف» كانت هناك عدة اختراعات لتصميمات صناديق «الآيبود» و«الآيفون». إجمالًا، ظهر اسم جوبز على

٣١٣ من اختراعات أبل، بما يشمل المشابك، والتصميمات، وكابلات الكهرباء، وذلك السلم الزجاجي الجميل.

كانت الصناديق رائعة جدًّا، حتى إن بعض الهواة لم يتخلوا عنها، وكانوا يخزنونها في خزانة ملابسهم أو يعرضونها على الرفوف. وتوجد حتى معارض صور على الإنترنت لمُلَّاك جدد وهم يزيحون الغطاء عن أحدث مشترياتهم من أبل.

قال جوبز إنه بدأ الاهتمام بالتغليف بعد أن قال له «مايك ماركولا»، معلمه وأول مستثمر في أبل في وقت مبكر، إن الناس يحكمون على الكتاب من غلافه، وإن العرض السيئ أو الرديء يلطخ حتى أجمل المنتجات.

قال جوبز: «حين تفتح صندوق «آيفون» أو «آيباد»، نريد لتلك التجربة الأولية والملموسة أن تحدد موقفًا لكيفية إدراكك للمنتج. علمني «مايك» ذلك.»

الفصل الثامن عشر

الموسيقى

في منتصف سنة ٢٠٠٠م، واجه جوبز مشكلة كبيرة أخرى. كانت أبل تطور برمجيات مدهشة لصناعة الأفلام تسمح لمستخدمي «ماك» بتحرير فيديوهاتهم وإصلاح صورهم.

لكن زبائنه لم يكونوا يريدون ذلك. ما كانوا يريدونه هو عمل أسطواناتهم المدمجة الخاصة بهم للموسيقى.

تراجعت مبيعات «آيماك» جزئيًّا لأن الجهاز لم يكن به مشغلات يمكنها حرق الأسطوانات المدمجة. لماذا؟ لأن محرقات الأسطوانات المدمجة الأولى كانت تلك الحوامل البارزة التي كان جوبز يكرهها، ولم يكن من الممكن تغيير «الآيماك» بسهولة.

بالإضافة إلى ذلك، لم يكن جوبز واعيًا بالثورة التي حدثت في الموسيقى. اكتشف الشباب — الذين كانوا تقريبًا في عمر جوبز ووز حين شيَّدا أبل الأولى — كيف يتبادلون الملفات الرقمية الموسيقية، وتبادلوا ملايين الأغاني من دون مقابل. كانت شركة صغيرة صاعدة اسمها «نابستر» تقلب تجارة الموسيقى رأسًا على عقب.

فاجأ الأمر جوبز، على الرغم من حبه العميق للموسيقى.

«شعرت كأنني مغفل.»

هكذا قال حين تطلع في النهاية ورأى ملايين الناس يصنعون أسطواناتهم المدمجة الخاصة من دون مساعدة من أبل. أضاف: «ظننت أن الأمر قد فاتنا. وكان علينا أن نعمل للحاق بالركب.»

بسرعةٍ، حُشِدَت فرق. عمل مصممون ومهندسون على إدخال محرقات الأسطوانات المدمجة إلى كل كمبيوترات الشركة، وهي مهمة استغرقت حتى منتصف ٢٠٠١م لتكتمل.

فيما بعدُ، احتاجت الكمبيوترات نوعًا من برمجيات «صندوق الموسيقى» لمساعدة عشاق الموسيقى على تحميل أسطواناتهم المدمجة والموسيقى الأخرى، والبحث عنها،

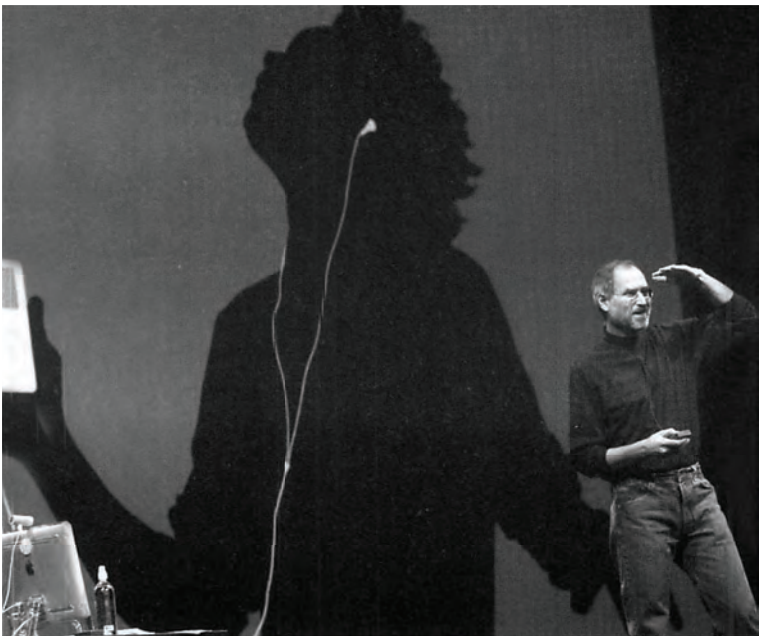

ستيف جوبز يقف أمام أحد الإعلانات الشهيرة لـ «الآيبود» وهو يلقي خطبةً رئيسية.

وتصنيفها. لم يكن في جعبة أبل شيء. لكن كان فريق صغير من موظفين سابقين في أبل قد شرعوا في صناعة برمجيات للموسيقى. اشترت أبل شركةً اسمها «ساوند جام»، وشرعت في فرض معايير أبل الإبداعية. تخلت عن بعض الخصائص المعقدة، وبسطت الأزرار وجعلت شكل البرنامج أنيقًا، وطالب جوبز بمربع بحث واحد بسيط بدلًا من أن يطلب من المستخدمين اختيار فنان أو ألبوم.

متأثرًا بما يحدث أمامه، كان جوبز مستعدًّا لإعلان رؤية جديدة لأبل ولمجال الكمبيوتر في معرض «ماكورلد» في أوائل ٢٠٠١م. قال للمجموعة إن الصناعة على وشك دخول عصر جديد. بدأت الموجة الأولى من الكمبيوترات في ١٩٨٠م، مع ابتكار برمجيات الجداول ومعالجة النصوص، مما جعل الكمبيوتر المكتبي مفيدًا. انتهت هذه الفترة في منتصف التسعينيات، حين جلب الإنترنت مجموعة كبيرة من الاستخدامات الجديدة للأفراد والأعمال.

وقال إن الكمبيوترات الشخصية في القرن الجديد تدخل عصرًا ثالثًا، حيث يمكن أن تكون «المحور الرقمي لأسلوب حياتنا الرقمية الناشئة»، بدلًا من أن تكون مجرد أداة للكلمات والأرقام، ستصلنا كمبيوتراتنا بسلاسة بصورنا وفيديوهاتنا وموسيقانا وتلفوناتنا ومفكراتنا، بما يسمح لنا بمتابعة حياتنا الرقمية وتنظيمها وتحريرها.

لدعم هذا العالم، أدخلت أبل برمجيات «الآي دي في دي» و«الآيتونز» التي تأتي محملة على كمبيوتراتها. لكن جوبز رأى تحديًا آخر: ما فائدة أن تكون كل هذه الموسيقى على مشغل الأقراص الصلبة إذا كنت لا تسمعها إلا وأنت جالس على مكتبك؟

كانت «سوني» قد باعت ما يقرب من ٢٠٠ مليون «وُكْمان» لمن يريدون الاستماع إلى شرائط الكاسيت والأسطوانات المدمجة وهم يعملون. حين أجرى جوبز وفريقه مسحًا لأجهزة الموسيقى الرقمية في السوق لم يكن لديهم كلمات مهذبة لوصفها. كان معظمها لا يستوعب أكثر من أسطوانة مدمجة موسيقية أو اثنتين، ويعمل لمدة ساعتين فقط قبل أن ينتهي شحن البطارية. كما كانت الموسيقى تستغرق وقتًا طويلًا جدًّا لتحميلها.

كان جوبز متأكدًا من إمكانية فريقه في تقديم الأفضل، وأن يكون لديه منتج بحلول الكريسماس.

كان لجوبز الأفضلية؛ فقد كان لدى أبل برمجيات رائعة اسمها «فاير واير» يمكنها نقل الملفات الكبيرة بسرعة. كان صناع كاميرات الفيديو يستخدمونها في نقل الفيديو، لكنها لم تكن قد استُخدمت بعد في الموسيقى.

في رحلة إلى اليابان، علم نائب مدير الأجهزة في أبل، «جون روبنشتاين»، أن شركة توشيبا لصناعة الإلكترونيات قد طورت مشغل أقراص صغير، قُطره أقل من بوصتين، تبلغ ذاكرته ٥ جيجا بايت، تكفي لتخزين ألف مقطوعة موسيقية رقمية. لم يكن المهندسون متأكدين مما عليهم أن يفعلوه به، لكن روبنشتاين عرف على الفور. «عدت إلى ستيف وقلتُ: أعرف ما عليَّ أن أفعله به. لدي كل الأجزاء.»

طلب جوبز منه أن يمضي قدمًا، وخصص عشرة ملايين دولار تكفي لشراء كل مشغلات الأقراص الصغيرة التي يمكن أن تنتجها توشيبا بحيث تستحوذ أبل عليها كلها.

تم تعيين مهندس خبير، وتجمع فريق، وبدأ العمل بجمع البرمجيات والشاشة ورقائق الكمبيوتر التي يمكن أن يحتاج إليها مشغل الموسيقى. في البداية، كان جوبز يلتقي بالفريق كل أسبوعين أو ثلاثة، لكن بمجرد بناء النموذج الأولي، كان يراجعهم يوميًّا. ويوميًّا كان هناك ما يجب إصلاحه: الصوت ليس مرتفعًا بما يكفي لأذنيه في

سن السادسة والأربعين، أو الأصوات الحادة ليست مرتفعة بالقدر الكاف. كانت قائمة التغييرات تضيع الوقت، أو كانت هناك خطوات كثيرة جدًّا. أصر جوبز على الوصول إلى الأغنية في أقل من ثلاث ضغطات.

كانت البطارية تحديًا خاصًّا. كلما كان على المشغل الصلب أن يعمل، فرغ شحن البطارية بشكل أسرع. في ذلك الوقت، قرر المهندسون تحميل عدة أغانٍ في وقت واحد في ذاكرة الجهاز، مما يُبقي على بعض الشحن في البطاريات. جاء «الآيبود» في رزمة في حجم أوراق اللعب، ببطارية يمكن أن تشغل الموسيقى لما يصل إلى عشر ساعات.

بالضبط كما استغنى عن مفاتيح المؤشر في «الماك» الأول ومشغل الأقراص المرنة في «الآيماك»، كانت لجوبز طلبات غريبة، كان يريد أزرار التقدم والرجوع والإيقاف المؤقت فقط، وكان على الفريق أن يقنعه بإضافة زر للقائمة، لكن كان من المستحيل عليه أن يوافق على زر التشغيل والإيقاف. كانت الإجابة ببساطة: «لا»، على الجهاز أن يتوقف تلقائيًّا إن لم يكن مستخدمًا.

لكي يبدو الجهاز معمرًا وليس قصير الأجل، غلفه «جوني آيف» بالأبيض الناصع — وصفه بأنه «حيادي صادم بشكل لا تخطئه العين» — بخلفية من الصلب المقاوم للصدأ، وأصر على أن تكون السماعات بيضاء. واقترح مدير آخر العجلة الدوارة، التي يمكن أن تسرع التدوير وأنت تمضي، بحيث يستطيع المستخدمون التنقل بين مئات الأغاني بسهولة وسرعة. وبعد أكثر من أسبوع بقليل، جاءت العجلة والقوائم معًا. قال جوبز: «بمجرد الضغط على واجهة المستخدم، يفكر المرء: يا إلهي سيكون هذا في قمة الروعة.»

اقترح أحد كاتبي الإعلانات اسم «بود» من فيلم «٢٠٠١م: أوديسا الفضاء» (2001: A Space Odyssey). وليتناسق مع «الآيماك»، أصبح اسمه «آيبود».

أقنعت وكالة الإعلانات جوبز باستخدام صور الظلال الراقصة. ولما كان جوبز قد اكتشف أنه يستطيع بيع المزيد من أجهزة «ماك» لدعم التجربة الموسيقية، نقل أموال الدعاية من «الآيماك» إلى «الآيبود»، مما سمح له بتخطي منافسيه بشكل كبير فيما يتعلق بالإنفاق.

على الرغم من حماسة جوبز، عمَّت حالة عامة من التحفظ على المؤتمر الصحفي الذي عُقد يوم ٢٣ أكتوبر ٢٠٠١م. لم يكن قد انقضى وقت طويل على الهجوم على مبنى مركز التجارة العالمي في نيويورك والبنتاجون في واشنطن، ولم يكن الناس في حالة مزاجية تسمح لهم بالتسوق أو الشراء. توقفت رحلات الطيران مؤقتًا ثم بدأت من جديد بمزيد من الإجراءات الأمنية. أصيبت الأعمال اليومية بالشلل تقريبًا.

لكن جوبز مضى قدمًا، عرض صورًا أمامية وخلفية للجهاز الجديد على شاشةٍ عملاقة، ثم أخرج «الآيبود» الأبيض من بنطلونه الجينز. قال: «هذا الجهاز المدهش الصغير به ألف أغنية، ويتسع له جيبي.» عبر الجمهور عن إعجابه، حتى وصل إلى علامة السعر ٣٩٩ دولارًا، وهو سعر شديد الارتفاع بالنسبة إلى مشغل موسيقى.

كان من الواضح أن «الآيبود» رائع، ومع ذلك لم تكن انطلاقته كانطلاقة «الآيماك». بدأ يكتسب المعجبين تدريجيًّا، حيث باع أقل من مليون وحدة بقليل في أول عام ونصف، على الرغم من طرح موديلات جديدة. وكان أحد الأسباب الرئيسية أنه لم تكن هناك وسيلة جيدة لتحميله بالموسيقى. تم إغلاق «نابستر» بعد خسارة المعارك القضائية مع شركات الموسيقى. غالبًا، لتضع موسيقى على «الآيبود»، كان عليك أن تستعير مقطوعات موسيقية من على أسطواناتك المدمجة أو تحصل عليها من خدمة أخرى، غالبًا ما ستكون غير قانونية.

ولما كانت صناعة الموسيقى غير واثقة من الطريقة التي يمكن بها كبح جماح التبادل المجاني للموسيقى، قُدمت اشتراكات للخدمات الموسيقية، وكأنها محطة راديو شخصية. يمكنك الاستماع إلى الأغاني لكن لا يمكنك تخزينها أو الاحتفاظ بها.

وبينما كان جوبز يسعى إلى حلٍّ أفضل لمشكلة الموسيقى، كانت أبل تبتكر بديلًا لـ «الآيماك» الملون أيضًا. على الرغم من بيع ستة ملايين من الكمبيوترات الرائعة، كانت الشركة لا تزال تفقد حصتها في السوق لصالح الويندوز.

أراد جوبز أن يستفيد الكمبيوتر التالي من شاشات العرض المسطحة الجديدة، والتي كانت أكبر وأكثر وضوحًا من الشاشات القديمة المدورة. وكما حدث في كثير من المشاريع الأخرى في أبل، كان على هذا المشروع أن يرجع إلى لوحة الرسم، بالضبط كما تم تنقيح الكتابة الأولى لفيلم «حكاية لعبة». كانت النسخة التي عرضها عليه «آيف» في الأصل نسخة أكثر رشاقة من «الآيماك» القديم. قال جوبز: «لا بأس به. إنه جيد. إنه جيد حقًّا.» إلا أنه لم يحبه.

دعا جوبز «آيف» إلى بيته في بالو ألتو، وسار الاثنان معًا عبر الخضراوات وبستان المشمش، وقد زرعتها «باول» بعد أن اشتروا قطعة أرض متاخمة للبيت. أطلع جوبز «آيف» على رؤيته، قائلًا: «يجب أن يكون لكل عنصرٍ معنًى.»

كان «الآيماك» القديم منتفخًا مثل الوسادة، على الجديد أن يتضمن شاشة مسطحة. وهكذا سأله جوبز: «لماذا تكون شاشته مسطحة إذا كنت ستضع كل مكوناته في الخلف؟ لماذا توقف الكمبيوتر على جانبه حين يرغب حقًّا في أن يكون أفقيًّا وعلى الأرض؟»

قال له جوبز إن «الآيماك» الجديد ينبغي أن يبدو أشبه بالزهور في الحديقة. «ينبغي أن يبدو مثل عباد الشمس.»

لذا، لم يكن من قبيل المصادفة أن أصبح شكل «الآيماك» الجديد هكذا بالفعل. طفت الشاشة المسطحة الأكبر حجمًا في الهواء، واتصلت بعنق متحرك مطلي بالكروم على قاعدة تبدو كأصيص زهور مقلوب. ظهر التصميم في ٢٠٠٢م بعد سنتين من العمل عليه. لكن في الوقت الذي بدأ تأثيره يظهر فيه، كان هناك شيء آخر يجري: كانت تجارة الموسيقى قد بدأت نجاحاتها أخيرًا.

بعد ظهور «الآيبود»، بدأ جوبز حملة لإقناع شركات الموسيقى بأنه يستطيع ابتكار شيء يمكن فيه أن يدفع حتى الشباب مبلغًا مقابلًا لموسيقاهم، لكن هذه المرة، سيدفعون مقابل الأغنية وليس الألبوم. نظرًا لكونه دخيلًا على صناعة الموسيقى، كانت هناك معارضة فورية، خصوصًا بالنسبة إلى بيع الأغاني مفردة بسعر ٩٩ سنتًا للأغنية (بالطبع، ستحصل أبل على جزء من كل ما يباع). اعترض البعض لأسباب فنية، وكان آخرون يريدون الإبقاء على بيع الألبوم كاملًا، على الرغم من أن كل ما يريده معظم المستهلكين هو الاستماع إلى بعض الأغاني فقط. ولكن في الواقع، كان السيف قد سبق العزل منذ فترة طويلة. كان الناس يقسمون الألبومات بالفعل ويصنعون الخليط الخاص بهم.

قبل مرور وقت طويل، كان واضحًا أن ما يعرضه جوبز لم يتوفر لدى الآخرين. كان لديه «الآلة الكاملة»، كما كان يحب أن يصفها. كان لدى كل شركة تسجيلات فنانيها وألبوماتها فقط، ولم يكن لدى شركات البرمجيات سوى برامج الموسيقى. لكن كانت أبل تقدم عرضًا يجمع كل ذلك في مكانٍ واحد: برمجيات موسيقى سهلة الاستخدام، «آيبود» أنيق، ومخزن لتحميل ما تود أن تسمع من قطع موسيقية تتواءم بسلاسة مع البرمجيات.

للإبقاء على نزاهة وشفافية عملية التحميل، عرض أيضًا توفير الحماية، مما يسمح لعشاق الموسيقى بتشغيل أغانيهم على كمبيوترات متعددة بحيث يسجل «الآيبود» لهم، لكنهم لن يستطيعوا إرسال ما اشتروه بالبريد الإلكتروني، ونقل الأغاني من «آيبود» إلى كمبيوتر (ومن ثم تبادل مجموعاتهم الموسيقية مع صديق)، أو نسخ أغانٍ من كمبيوتر شخص آخر. قال جوبز لمجلة «رولينج ستون»: «تدمر السرقة شخصية المرء. نود تقديم بديل قانوني.»

ضغط جوبز على المديرين لكسبهم في صفه. كما تواصل أيضًا مع الفنانين، من «بونو» إلى «شيريل كرو» إلى مغني الراب «دكتور دري». ناشد «إرفنج أزوف»، مدير

فرقة «إيجلز»، ليشجع فرقة الروك على أن توفر موسيقاها للبيع. انضموا جميعهم إلى مشروع جوبز خطوة بخطوة.

في أواخر أبريل ٢٠٠٣م، كشف جوبز النقاب عن متجر «الآيتونز» لـ «ملاك ماك» مع حوالي مائتي ألف أغنية معدة للبيع وانتظار المزيد. توقعت أبل أن تبيع مليون أغنية في ستة أشهر. باعت أول مليون في ستة أيام، ولم يكن ذلك سوى نقطة في بحر النجاحات التالية.

باختصار، ضمت ثلاثية برمجيات «الآيتونز»، مشغل «الآيبود»، متجر «الآيتونز»، بشكل رائع أفضل منتجات أبل في باقة واحدة متماسكة. قال جوبز: «إنها تجمع قاعدة أبل التكنولوجية المذهلة مع سهولة أبل الأسطورية في استخدام تصميم أبل الرائع. هذه الأشياء الثلاثة تجتمع معًا هنا، هذا هو ما نفعله.»

في أكتوبر، فتحت أبل متجر الآيتونز للويندوز. عند الإعلان عنه، اختار جوبز أن يمشي على خشبة المسرح على أنغام أغنية عاطفية لم يكن من المعتاد استخدامها في مثل هذا السياق. كان المطرب العظيم «جوني كاش» قد توفي حديثًا، واختار جوبز إحدى أغنياته، وكانت أغنية قديمة لـ «البيتلز» بعنوان «في حياتي» (In My Life) سجلها «كاش» بعد وفاة زوجته مباشرة. كان جوبز قد استمع إلى الأغنية بعد وفاة «كاش» وتأثر بها. اختارها، كما قال، لأنها: «بالنسبة إليَّ من تلك الأغاني التي تذكرني بما يمكن أن يكون للموسيقى القوية من تأثير في حياتك.»

مع هذه الخطوة الأخيرة، التي بدأت بها أبل كتابة تاريخ تخليها عن انعزاليتها للمرة الأولى، انطلقت إلى عالم الموسيقى حقًّا. بحلول أبريل ٢٠٠٤م، كانت قد باعت ١٠٠ مليون أغنية من متجر الآيتونز، وبعد ذلك بأقل من عامين، احتفلت بتحميل الأغنية رقم مليار.

بعد بيع أقل من مليوني «آيبود» بين عام ٢٠٠١م وعام ٢٠٠٣م، باعت أبل أكثر من عشرة ملايين بحلول أوائل يناير ٢٠٠٥م. طرحت جهاز يدعى «ميني» وآخر يدعى «شافل» صغير ورخيص يمكن أن يحمل مائة أغنية فقط، وبعد ذلك «نانو». بحلول منتصف ٢٠٠٦م، بعد عام بقليل، وصل إجمالي مبيعات «الآيبود» ٥٨ مليون وحدة.

والأكثر أهمية أن مبيعات الموسيقى و«الآيبود» أصبحت تمثل حوالي نصف إجمالي مبيعات أبل.

وكان هناك المزيد في الطريق. في مجلة «فورتشن» في ٢٠٠١م كتب مؤرخ جوبز القديم، «برينت شلندر»، متنبئًا: «لا ينبغي عليك أن تكون عبقريًّا لتتخيل كيف يمكن

أن تبني أبل ذات يوم تركيبات أخرى لـ «آيبود» مجهز، على سبيل المثال، بشاشة أكبر ملونة تمامًا، أو تتمتع بالقدرة على العمل مع تطبيقات أبل الأخرى التي تشغل كليبات الفيديو والبيانات الشخصية.» ذات يوم، كما توقع، سيؤدي برنامج «الآيبود» إلى شيء يشبه التلفون المحمول، المحسن.

لم يكن جوبز قد أنهى عمله على الإطلاق، لكن كانت أمامه تحديات لا تصدق.

قائمة أغاني ستيف

مع ظهور «الآيبود» في الجيوب في كل مكان، صار السؤال «ماذا تحمل على «الآيبود» الخاص بك؟»، طريقة لفهم المجيب فهمًا حقيقيًّا. سأل الصحفيون مرشحي الرئاسة، واختبر المحبون المحتملون كل منهم الآخر، وتبادل الأصدقاء أغانيهم المفضلة، وفي بعض الأحيان كان أصحاب الأعمال يسألون هذا السؤال للمرشحين لوظيفة.

كانت للموسيقى أهمية خاصة بالنسبة إلى ستيف جوبز، وكان مغرمًا بـ «بوب ديلان» و«البيتلز»، وأيضًا عازف التشيلو «يو يوما». لم يستطع «ما» العزف في زفاف جوبز، لكنه بعد ذلك زاره في منزله وعزف له «باخ»، مما جعل الدموع تسيل من عيني جوبز.

قال له جوبز: «إن عزفك هو أجمل برهان سمعته على وجود الرب، لأنني لا أعتقد حقًّا أن الإنسان وحده يمكن أن يفعل ذلك.»

إذن، من هم الفنانون الذين كانت أعمالهم على «آيبود» ستيف جوبز؟ ألقى كاتب سيرته، «والتر آيزاكسون»، نظرة خاطفة:

بوب ديلان، ممثلًا بخمسة عشر ألبومًا	جريتفل دید
وستة أجزاء من تسجيلاته غير الرسمية	جرين داي
البيتلز، بأغاني من سبعة ألبومات	جانيس جوبلين
رولينج ستونز، بأغاني من ستة ألبومات	جيفرسون إيربلين
جون بيز، أربعة ألبومات	جيمي هندريكس
يويوما، ثلاثة ألبومات	جون ماير
أريثا فرانكلين	جوني كاش
كونشرتو برندنبرج الثاني لباخ	جوني ميتشل

بي. بي. كنج	موبي
بلاك آيد بيز	ذا مونكيز
بادي هولي	سيل
كولدبلاي	سيمون آند جارفانكل
دون ماكلين	تاكينج هيدز
دونوفان	١٠٠٠٠ مانياكس
ذا دورز	يوتو

الجزء الثالث

وشيء آخر

الفصل التاسع عشر

السرطان

في خطابه لخريجي ستانفورد في ٢٠٠٥م، وعد جوبز بأن يحكي ثلاث قصص: كانت الأولى عن قطع الأحجية، والثانية عن الحب والفقد، والثالثة عن الموت. لم يكن موضوعًا معهودًا أو مبهجًا لخطاب أمام خريجي الجامعة.

لكن حينذاك لم يكن ستيف جوبز متحدثًا عاديًّا مبهجًا.

على مر السنوات كان يفصح عن فلسفة شخصية في أحاديث مع الزملاء وأحيانًا مع الصحفيين. في سنة ١٩٩٨م قال لمجلة «فورتشن»: «قال لي شخص ما وأنا في السابعة عشرة أن أعيش كل يوم وكأنه الأخير، وأنني في يوم من الأيام سأكون مصيبًا.»

كان لتلك القصة تأثير شديد عليه، حتى إنه كررها لخريجي ستانفورد. تذكرها حين قابل «لورين باول» في كلية التجارة بجامعة ستانفورد وقرر عدم الذهاب إلى الاجتماع، وفي السنوات الكثيرة منذ أن كان مراهقًا. توقع الموت جعله يركز على أهم الأشياء بالنسبة إليه، كما قال، ودفعه إلى أن يغير اتجاهه حين وجد أنه قد توقف عن الاستمتاع والاستفادة بكل يوم.

ثم حكى المدير الذي عمل بجد لسنوات طويلة على الحفاظ على أسرار حياته الشخصية والعائلية قصةً شديدة الخصوصية والتأثير. قال إن الأطباء، قبل ذلك بعام، وجدوا ورمًا في بنكرياسه، واعتقدوا في البداية أنه لم يتبقَّ له من العمر سوى ثلاثة إلى ستة أشهر، لكن عيِّنة الفحص في ذلك اليوم كشفت أنه نوع نادر من سرطان البنكرياس، نوع يمكن علاجه جراحيًّا بنجاح. قال: «أجريت العملية وأنا على ما يرام الآن.»

كانت قصة مثيرة للمشاعر شدت انتباه الجمهور المنتشي، لكنها لم تكن صحيحة تمامًا.

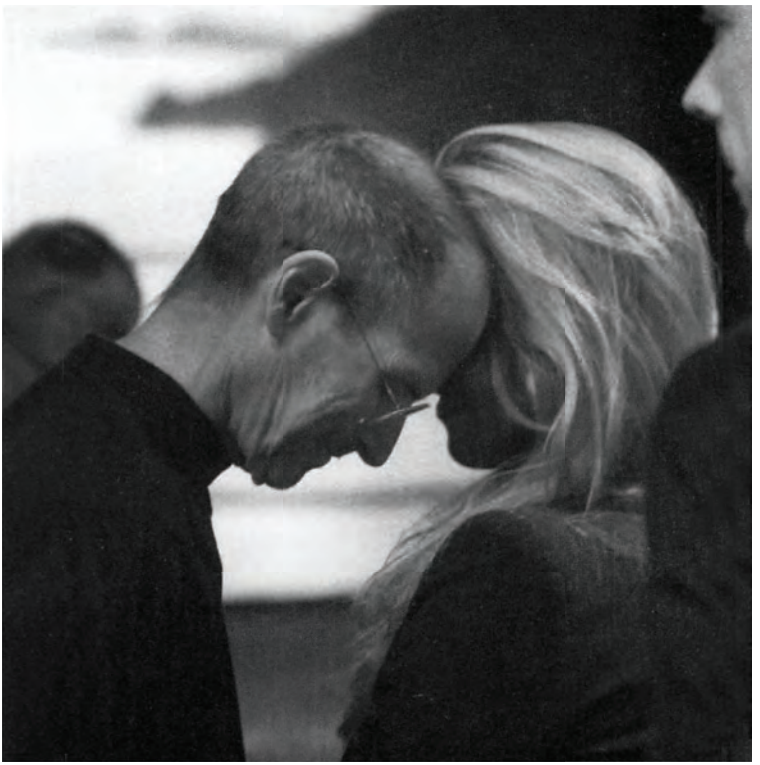

جوبز و«لورين» في لحظة خاصة بعد إلقاء الخطاب الرئيسي في مؤتمر مطوري أبل في يونيو ٢٠١١م.

فلتُسمِّ ذلك «مجال تشويش الرؤية» الشهير لستيف جوبز، أو كما وصفته زوجته «تفكيره السحري».

في أواخر التسعينيات، وبينما كان جوبز ينقذ أبل ويعدو ذهابًا وإيابًا إلى «بكسار» (التي على بعد ستين ميلًا) بدأ يتكون حصى في كليتيه، وهو أمر مؤلم جدًّا. قال: «كنت أنطلق إلى المستشفى فتعطيني المستشفى حقنة «ديميرول» في الفخذ، وفي النهاية يخرج الحصى.»

في أكتوبر ٢٠٠٣م، طلبت منه طبيبة المسالك البولية التي تعالجه إجراء أشعة على كليتيه، حيث كان قد أجرى آخر صور للأشعة قبل ذلك بخمس سنوات. كانت كليتاه في

حالة جيدة، لكن الأشعة الجديدة أظهرت شيئًا ما على البنكرياس، وهو عضو يقع خلف المعدة. بالإضافة إلى دوره في الهضم، يفرز البنكرياس هرمونات مثل الأنسولين الذي يساعد على تنظيم مستويات السكر في الدم.

حثته الطبيبة على متابعة الأمر، لكنه لم يفعل. بعد عدة أيام، اتصلت به وكررت عليه: «إنه أمر مهم جدًّا.»

أخذ موعدًا للمتابعة، وكما قال للخريجين، وجد الأطباء ورمًا، كان جوبز وقتها في الثامنة والأربعين. لكن كان ذلك في خريف ٢٠٠٣م، لا في منتصف ٢٠٠٤م. في الواقع كان تقريبًا في الوقت نفسه الذي اختار فيه أغنية «جوني كاش» المؤثرة.

عادة ما يكون سرطان البنكرياس سريع النمو وقاتلًا، لكن جوبز أصيب بنوع نادر بطيء النمو في جزر الخلايا التي تفرز الأنسولين اسمه «ورم الغدد الصماء العصبية». أوصى الأطباء بإجراء جراحة على أمل السيطرة على السرطان قبل أن ينتشر في الجسم.

إذا أجرى جوبز العملية ولم ينتشر الورم في الجسم، تكون فرص الحياة كبيرة بالنسبة إليه. يعيش كثير من المرضى عشر سنوات أو أكثر بعد الجراحة.

لكن الجراحة بالنسبة إلى هذا النوع من السرطان ليست أمرًا هيِّنًا. أحيانًا، يتم إزالة الورم والنسيج المحيط به، وفي أحيان أخرى قد يتطلب الأمر جراحة أكبر اسمها «عملية ويبل المعدلة»، تشمل استئصال جزء من البنكرياس، والمرارة، بالإضافة إلى جزء من المعدة والأمعاء والقناة الصفراوية. في المجمل، يعاد تنظيم القناة الهضمية كلها ويعاد بناؤها.

وكان مما أفزع عائلته وأصدقاءه المقربين وكبار موظفي أبل وصدمهم، أن جوبز قرر عدم إجراء العملية. في حياته العملية، كان سريع الرد غالبًا؛ كان شيئًا إما رائعًا وإما شنيعًا، كانت الإجابة إما نعم وإما لا. لكن نادرًا ما كانت حياته الشخصية أبيض وأسود بهذا الشكل. لم يستطع أن يقرر أن يكون أبًا لـ «ليزا»، وبذل مجهودًا كبيرًا ليقرر الزواج. لم يستطع حتى أن يشتري أريكة. بالطريقة نفسها، لم يستطع أن يقبل احتياجه إلى الجراحة.

بدلًا من ذلك، ضاعف تركيزه على نظامه الغذائي النباتي، متجنبًا كل أشكال الأطعمة ذات الأصل الحيواني، مفضلًا الجزر وعصائر الفاكهة.

جرب العلاج بالوخز بالإبر، والأدوية العشبية، ومقاربات أخرى بديلة. خلال حياته العملية، كان يبذل مجهودات كبيرة ليمنع الزبائن من العبث بمنتجاته، وبالمثل، لم يكن يريد أن يعبث الأطباء بجسمه. قال بعد ذلك: «حقًّا لم أرغب في أن يفتحوا جسمي.»

وفي أثناء ذلك، توسلت إليه أسرته والمجموعة الصغيرة من الأصدقاء الذين يعرفون بمرضه، أن يعيد النظر في الأمر. تحدثوا معه بانتظام. طلبوا من الأطباء التحدث معه. تفهمت زوجته قلقه بشأن فتح جسمه، لكنها حاولت إقناعه بأن «الجسد موجود لخدمة الروح». جندت كل من تستطيع حتى يغير رأيه، ومنهم أخته «منى سيمبسون». قال أحد المقربين إليه لمجلة «فورتشن»: «كان الأمر بالغ الصعوبة علينا جميعًا.»

أُجريت له أشعة أخرى في يوليو ٢٠٠٤م ولم تكن الأخبار طيبة. بدا أن الورم كبر وربما انتشر. غيَّر جوبز رأيه أخيرًا، وفي ٣١ يوليو ٢٠٠٤م أجرى عليه الأطباء عملية «ويبل» المعدلة. أرسل جوبز في اليوم التالي رسالة بالبريد الإلكتروني إلى موظفيه من سريره بالمستشفى، يشرح السرطان النادر الذي أصيب به، قائلًا إنه يمكن أن يُشفى بالجراحة إذا تمت السيطرة عليه بسرعة كافية، وقال إنه قد تمت السيطرة على ورمه بالفعل، مما يعني أنه لن يحتاج إلى العلاج الإشعاعي أو الكيميائي، ووعد بأن يعود إلى العمل في سبتمبر.

مرة أخرى، لم تكن القصة كاملة. وجد الأطباء في أثناء الجراحة أن السرطان انتشر حتى وصل إلى ثلاثة مواضع في كبده على الأقل. هل أدى تأخير الجراحة إلى تقصير عمره؟ من المستحيل معرفة ذلك، حيث إنه لا أحد يعرف ما إذا كان السرطان منتشرًا بالفعل وقت اكتشافه قبل ذلك بتسعة أشهر.

بدأ جوبز العلاج الكيميائي، ولم تقتصر المضاعفات على ذلك. بسبب الجراحة الكبيرة، قيل لجوبز إنه سيحتاج إلى تناول وجبات كثيرة والحصول على قدر كبير من البروتينات، بما فيها بروتينات من اللحوم والأسماك ومنتجات الحليب كامل الدسم. لكن باعتباره قضى معظم حياته نباتيًّا، كان قد نجح في أن يتجنب هذه الأطعمة، وقرر أنه سيواصل تجنبها.

كان جوبز دائمًا صعبًا في أكله. على مدى السنوات، كثيرًا ما كان يرد الطعام إلى المطاعم لأنه غير صالح للأكل، وحتى وهو بالغ ومع أسرته، قد يفرط في تناول صنف واحد من الطعام، مثل سلطة الجزر بالليمون فقط، أو التفاح فقط، وقد يصوم أحيانًا. بدأت زوجته، التي كانت نباتية صرفة أيضًا، تضيف السمك والبروتينات الأخرى لوجبات الأسرة على أمل أن تقنع جوبز بتناول ما يحتاج إليه جسمه، ولكنها كانت معركة صعبة.

باستخدام أحدث تكنولوجيا متاحة في ٢٠٠٤م، استطاع الأطباء رسم خريطة لجزء من المادة الوراثية في السرطان، مما سمح لهم باستخدام علاجات دقيقة ومحددة

تمامًا. لكن تأثير الجراحة والعلاجات، ومسكنات الألم، والمشاكل المتعلقة بنظامه الغذائي جميعها، جعلت الحفاظ على وزنه صعبًا، فبدا أحيانًا نحيفًا وهزيلًا.

خلقت المشاكل الصحية لجوبز تحديات كبيرة لأبل. بينما فضل كثير من المديرين الكبار الاحتفاظ بالمشاكل الشخصية سرية، فإن الاختيار لا يكون بسيطًا حين تكون أسهم الشركة مطروحة للتداول العام. في ظل قوانين الأوراق المالية، يطلب من الشركات كشف المعلومات التي قد تؤثر على مستقبل أداء الشركة للمستثمرين، سواء كانت مبيعات قوية لمنتج جديد، أو مشاكل تتعلق بمنتج متداول، أو مخاوف تتعلق بالمدير، لأن المستثمرين يتخذون القرارات المالية بناءً على كيفية عمل الشركة، ومن حقهم الحصول على المعلومات الصحيحة التي تؤهلهم للقيام بالاختيارات السليمة.

نظرًا للارتباط الحيوي بين جوبز وأبل والأهمية التي يمثلها لمنتجات خط «الآيبود» الذي حقق مبيعات سريعة ومتجر الآيتونز الجديد، كانت صحته موضع اهتمام واضح. لكن لم تكن هناك قواعد صارمة ومحددة بشأن ما ينبغي قوله وتوقيته.

لم تفصح أبل قط عن تأجيل جوبز للجراحة لعدة أشهر بعد التشخيص. لم يتم الكشف عن ذلك إلا حين ذكرته مجلة «فورتشن» في مقال رئيسي نقدي طويل في ٢٠٠٨م. وكذلك لم تفصح أبل عن انتشار السرطان. بدلًا من ذلك، جاءت المعلومة العامة الوحيدة من رسالة جوبز الإلكترونية (غير الصادقة) بأنه تمت السيطرة على السرطان، وأنه لن يحتاج إلى علاج كيميائي. لاحقًا، حين ارتد السرطان وصار جلدًا على عظم، ادعى في البداية أنه يعاني من اختلال هرموني أثر على هضمه.

خلص أحد محامي الشركة إلى أن حق جوبز في السرية أكبر من حق حمَلة الأسهم في أن يعرفوا، «طالما استطاع أن يؤدي مهامه»، كما ذكرت مجلة «فورتشن». لكن المديرين الآخرين كانوا أكثر صراحة بكثير مع مستثمريهم بشأن أمراضهم.

جعلت المعركة مع السرطان جوبز أكثر تأملًا، لبعض الوقت على الأقل. في صيف ٢٠٠٤م، قبل الجراحة مباشرة قابل «ستيفن ليفي» رئيس تحرير «نيوزويك». حين أخرج «ليفي» «آيبود» بميكروفون ليسجل اللقاء، انزعج جوبز حين رأى أن «ليفي» يضع غطاء من البلاستيك عليه ليتجنب الصدمات والخدوش.

قال جوبز: «أظن أن الصلب المقاوم للصدأ يبدو جميلًا حين يبلى. ما أقصده هو أنني سأبلغ الخمسين في السنة القادمة، وهكذا فأنا نفسي مثل «آيبود» به خدوش.»

بينما تم الاحتفال بعيدَي ميلاده الثلاثين والأربعين باحتفالات خيالية أحياها المشاهير، تم الاحتفال بعيد ميلاد جوبز الخمسين مع أصدقائه المقربين وأسرته في حفلة مفاجئة أعدتها له «باول» في منزل أحد الأصدقاء.

كانت مناوشته مع الموت لا تزال مسيطرة على تفكيره حين وافق على الحديث في حفل خريجي ستانفورد بعد ذلك ببضعة أشهر. قال للطلاب إن الموت يشق طريقًا لكل ما هو جديد، وحتى هم سيكبرون وسيرحلون يومًا ما. قال: آسف على مواجهتكم بذلك، لكن الأمر صحيح تمامًا.

ونظرًا لهذا، قدم لهم أقوى نصائحه: وقتكم محدود، لذلك لا تضيعوه وأنتم تعيشون حياة شخص آخر.

وبالمثل، لا تقعوا فريسة لما يتوقعه الآخرون أو تستسلموا لآرائهم.

وأضاف: والأكثر أهمية: تحلوا بالشجاعة وسيروا خلف قلبكم وحدسكم.

فإنهما يعرفان، بشكل ما، ما تودون أن تصبحوا عليه حقًّا.

بينما كان يقاوم السرطان ويواجه احتمال موته، كان جوبز، قد قرر أن يتبع قلبه. قدرت «فوربس» إجمالي ثروته بما يزيد على ثلاثة مليارات دولار تتزايد مع الوقت، بفضل «بكسار» و«الآيبود». كان بإمكانه أن يقضي بعض وقته على الأقل في التفكير في الإحسان وكيف يمكن أن يساهم بثروته الهائلة. لم يكن جوبز مهتمًّا بتوزيع المال. أنشأ مؤسسة لفترة قصيرة بعد ترك أبل، لكنه أغلقها بعد سنة تقريبًا.

حين عاد إلى أبل سنة ١٩٩٧م، أنهى كل برامج الإحسان التي تتولاها الشركة، بما في ذلك عرضها بدفع مبلغ مماثل لمساهمات الموظفين الخيرية. ولم تعد هذه البرامج طوال تحمله للمسئولية.

لم يشارك جوبز في فعاليات جمع التبرعات أو جهودها إلا نادرًا، وقال لكاتب السيرة، آيزاكسون، إنه «يميل عمومًا إلى رفض المساعي الخيرية». راجت إشاعات حول أنه كان وراء بعض التبرعات الكبيرة التي لم يعلن عن أصحابها، لكنها مجرد ظنون. في ٢٠١٠م، تحدى «بيل» و«ملينداجيتس» العائلات الغنية الأخرى أن تتبرع بأكثر من نصف ثرواتها إحسانًا أو لأسباب خيرية أخرى. ومنذ ذلك الوقت، ساهم عشرات المليارديرات والمليونيرات بشيء في تلك المبادرة، ولكن لم يكن جوبز من بينهم.

كانت زوجته، «لورين باول»، داعمة كبيرة لجهود التعليم، وقد أنشأت برنامجًا لما بعد المدرسة يسمى «مسار الكلية» (College Track)، لمساعدة الطلاب محدودي الدخل

على الالتحاق بالكلية. قال جوبز إن عملها «يبهرني حقًّا»، لكنه لم يزر قط برنامجًا من برامج ما بعد المدرسة.

منذ إصابته بالمرض، كما قال صديق لصحيفة «نيويورك تايمز»: «ركز على شيئين: بناء فريق في أبل، وأسرته.» وأضاف الصديق: «كان هذا إرثه. كل شيء آخر إلهاء لا طائل من ورائه.»

نظرًا للتحديات الصحية، كان يمكن أن يستقيل ويقضي وقتًا أطول مع أسرته وهو يقاوم مرضه. ففي خريف ٢٠٠٥م، كان ابنه «ريد» سيبلغ الرابعة عشرة، و«إيرين» العاشرة، و«إيف» الصغرى سن دخول المدرسة بالكاد.

لكن كانت أبل حبه الأول، وكانت هذه هي رسالته في الحياة. عمل بجد ليبرأ من الجراحة حتى يعود إلى مكتبه. كان لا يزال أمامه أهم أعماله.

الفصل العشرون

الخلاص

كان لستيف جوبز قصة طويلة مع الأزرار والمفاتيح.

حين أشرف على الماكنتوش الأول، طالب جوبز بالتخلي عن مفاتيح المؤشر حتى يستعمل المستخدمون الماوس، وأصر على أن يكون الماوس بزرٍّ واحد، بدلًا من زرَّين أو ثلاثة، ليكون بسيطًا، وعند تصميم «الآيبود»، رفض السماح بوجود زر تشغيل وإيقاف، وأمر بأن تكون الأزرار الأخرى قليلة. كان مصعد متجر أبل في طوكيو دون أزرار، وكان يتوقف في كل دور من الأدوار الأربعة.

ورأت صحيفة «وول ستريت جورنال» ذات يوم أنه يفضل الكنزة برقبة لخلوها من الأزرار التي يمكن أن تؤخره.

وهكذا حين فكر جوبز في تلفون تصنعه أبل، كان من أفكاره الأولى التخلص من الأزرار واستخدام قوة اللمس.

لم تأته الفكرة فجأةً، بل تطورت عبر الزمن. حين عاد إلى أبل في أواخر التسعينيات، انتقد بشكل خاص جهاز نيوتن المحمول، الذي كان يستخدم قلمًا زائفًا، يسمى المرقِّم، للكتابة على الشاشة. اعتقد جوبز أنها أداة سخيفة وغير ضرورية. قال، محركًا أصابعه: «أعطانا الرب عشرة مرقِّمات. لا ينبغي أن نخترع مرقمًا آخر.»

مدركًا أن مايكروسوفت تعمل على صناعة كمبيوتر صغير وخفيف مصمم ليحمله صاحبه إلى أي مكان اسمه «تابلت» يستخدم مرقمًا. سأل مصمميه إن كانوا يستطيعون التوصل إلى «تابلت» يستخدم اللمس وليس به لوحة مفاتيح خارجية. وكانت المجموعة تعمل بالفعل على التوسع في إمكانية الأصابع لأن تقرص وتضغط لتتحكم في الحركة على «لاب توب» جديد، «ماك بوك برو»، وكانت تدرس إمكانية نقل هذه القدرة لاستخدام الأصابع على شاشة. في الوقت المناسب، توصل المصممون إلى فعل ذلك، مبتكرين ما سموه

فريق المديرين المسئولين عن تصميم «الآيفون». من اليسار: «فيليب شيلر»، و«توني فادل» رئيس قسم «الآيبود»، ورئيس قسم التصميم «جوناثان آيف»، ومدير أبل ستيف جوبز، و«سكوت فورستال»، و«إدي كيو».

«اللمس المتعدد» (multi-touch)، بما يسمح للسبابة والإبهام بالتباعد أو التقارب لتكبير الصورة على الشاشة أو تصغيرها.

حين رأى جوبز هذه التكنولوجيا، قال: «قلت يا إلهي! يمكننا أن نصنع تلفونًا من هذا.» وهكذا صرف النظر عن مشروع «التابلت» في ذلك الوقت للتركيز على التلفون.

لماذا تلفون؟ بعد طرح «الآيبود» بقليل، أدرك جوبز أن الكثير والكثير من المهام سينتهي بها المطاف على التلفونات المحمولة. لم يكن لدى الناس ما يكفي من الأيدي أو الجيوب للاحتفاظ بكل أدواتهم. ربما يكون مع رجال الأعمال تلفون محمول للمكالمات، أو

«بلاك بيري» للبريد الإلكتروني، أو «بالم هاندهيلد» لمتابعة بياناتهم ومفكراتهم، بالإضافة إلى «آيبود» للموسيقى. إنها كمية هائلة من الأجهزة، وفكر في أنها جميعًا ستوجد (أو على الأقل ينبغي أن توجد) في جهازٍ واحد.

في ذلك الوقت كانت التلفونات — مثل أجهزة الموسيقى قبل «الآيبود» — ثقيلة ومعقدة جدًّا، بلوحات مفاتيح بلاستيكية صغيرة. يمكن أن تعرض شاشة اللمس لوحة مفاتيح عند الحاجة ثم تخفيها حين يريد المستخدم تصفح الويب أو النظر إلى خريطة. قال جوبز: «يكره الجميع تلفوناتهم، وهذا ليس أمرًا طيبًا. ثمة فرصة هناك.» وكان ذلك صحيحًا، خصوصًا بالنسبة إلى شركة مثل شركته، التي صنعت منتجات تشبه السيارة الـ «بي إم دبليو» لزبائن على استعداد للدفع.

راغبًا في إدخال أبل إلى الساحة، اتصل جوبز في ٢٠٠٤م بـ «موتورولا» التي صنعت تلفونًا شعبيًّا اسمه «رازر» (RAZR). واقترح أن يعملا معًا في تلفون بإضافة خصائص «الآيبود». وكانت النتيجة «موتورولا روكر» (ROKR)، الذي قدمه جوبز في ٢٠٠٥م.

لم تكن أبل بارعة قط في مشاركة الآخرين، ولم يكن هذا المنتج استثناءً. جاء قبيحًا وغريبًا في الاستخدام، بدلًا من أن يكون أنيقًا ونحيفًا، وكانت قدراته محدودة بشكل مخيب للآمال. كان يحمل مائة أغنية فقط. باختصار، كان سقطة. عرف جوبز أن فريقه عليه العمل على تصميمه الخاص.

بدأ جوبز العمل خلف الكواليس مع شركات التلفون اللاسلكي في صفقة حصرية لبيع ما تبتكره أبل. ولم يعرف أحد إن كان بالإمكان ابتكار نظام تشغيل صغير وقوي للحصول على تلفون بقدرات تشبه قدرات الكمبيوتر. لكن جوبز قرر: «سنفعل هذا. لنحاول.» ومثلما بدأ مع فريق «الآيبود» رحلة صناعة جهاز موسيقى لأنفسهم، قال: «لنصنع تلفونًا عظيمًا نقع في غرامه.»

وبينما كانت أبل تعمل في التلفون في سرية، كان هناك أيضًا أمام جوبز تحدٍّ كبير وعام. كان ينبغي عليه إنقاذ «وودي» و«بظ» من بلطجة الشركات.

بعد نجاح الجزء الأول من «حكاية لعبة» والطرح العام لـ «بكسار»، تمكن جوبز من التفاوض على صفقة جديدة مع ديزني تقتسم بموجبها ديزني و«بكسار» بالتساوي الأرباح القادمة من عدة أفلام تالية لـ «بكسار». لكن ديزني ظلت تمتلك الحق في الشخصيات.

حققت «بكسار» ضربات هائلة أخرى مع «شركة المرعبين المحدودة» و«البحث عن نيمو». ولما كان لم يزل هناك فيلمان متبقيان تحت الصفقة نفسها مع ديزني، حاول

جوبز التوصل إلى صفقة أفضل. ولكن في أوائل ٢٠٠٤م، أنهى المحادثات مع ديزني بسبب إحباط إدارتها له، وهدد بأن تعمل «بكسار» مع شركة أخرى.

وردًّا منه على ذلك، بدأ «مايكل آيزنر» المدير التنفيذي لديزني في ذاك الوقت العمل على إصدار أجزاء أخرى لـ «شركة المرعبين المحدودة» و«البحث عن نيمو» وحتى «حكاية لعبة». وكانت شركة الأفلام الكبيرة على وشك أن تتعامل بطريقتها الخاصة مع «وودي» و«بظ».

وكان «جون لاسيتر»، العبقري المبدع خلف «بكسار»، في قمة الغضب والارتياع مما قد تفعله ديزني. حين أخبر العاملين بالانفصال، بدأ في البكاء، وقال لاحقًا: «كنت قلقًا على أطفالي، وعلى ما سيفعلونه بالشخصيات التي ابتكرناها. كان الأمر بمنزلة خنجر مغروس في قلبي.»

لحسن الحظ، انتصر الطيبون. طُرد «آيزنر» في ٢٠٠٥م، وكان لخلفه «روبرت آيجر» رأي مختلف. بينما كان يشاهد عرضًا في «ديزني لاند هونج كونج» أدرك فجأةً أمرًا غير مريح: كانت كل الشخصيات الحديثة في العرض شخصيات «بكسار»، ولم تكن شخصيات ديزني. ومن ثم بدأ يتحدث مع جوبز.

مع أنهما فكرا في احتمالات عديدة، في النهاية وافقت ديزني على شراء «بكسار» بمبلغ ٧,٤ مليار دولار في ٢٠٠٦م. وصار «لاسيتر» مدير إبداع ديزني، وصار «إد كاتمول»، أحد مؤسسي «بكسار» والذي كان يدير العمل اليومي، رئيس استوديوهات الرسوم المتحركة في «والت ديزني». تم صنع فيلم «حكاية لعبة ٣» بعد ذلك، لكن وفقًا لما ارتأته «بكسار».

كان جوبز يمتلك نصف «بكسار» تقريبًا، فصار أكبر مساهم في ديزني، بنصيب ٧ في المائة من الأسهم، قيمتها ثلاثة مليارات دولار، وانضم إلى مجلس الإدارة. ومع أن البعض توقع أنه قد يحاول تولي إدارة ديزني، إلا أن تركيزه بقي منصبًا على أبل، وطرح منتجات جديدة مثل «الآيفون».

كان تجميع المنتج الجديد المعقد أصعب من المتوقع. بحلول خريف ٢٠٠٦م، وقبل الإعلان عن «الآيفون» ببضعة أشهر في مؤتمر «ماكورلد»، لم يكن «الآيفون» نفسه يعمل. كانت المكالمات تنقطع، والتطبيقات لا تعمل، والبطارية لا تشحن بالكامل. قال جوبز للفريق ببرود: «ليس لدينا منتج بعد!»، وأعادهم ليعملوا بهمة على إصلاح الأمر.

في وقت متأخر، أجرى جوبز تعديلين على التصميم: قرر أن الشاشة الرائعة ينبغي أن تكون من الزجاج، لا البلاستيك، حيث إنه من المحتمل جدًّا تعرض البلاستيك للخدش. يمكن أيضًا أن يتعرض الزجاج للخدش والكسر، لذلك كان على جوبز العثور على مادة

قوية بشكل استثنائي. وقاده البحث إلى شركة مبتكرة قديمة في مجال الزجاج اسمها «كورننج»، التي اخترعت «البايركس» (Pyrex) وأطباق الطهي «كورننج وير» (Corning Ware). في ١٩٦٢م طورت «كورننج» زجاجًا «مقوًّى» استُخدم في السيارات والطائرات، لكن إنتاجه توقف في أوائل التسعينيات.

حين سمع جوبز عن هذه المادة، طلب من «كورننج» تسليم كل ما تستطيع إنتاجه على مدى الأشهر الستة القادمة. بدا ذلك مستحيلًا، حيث لم يكن يُنتَج شيء من الأصل. لكن جوبز أصر، وقال لمدير «كورننج» «ويندل ويكس»: «فكر في الأمر. يمكنك فعل ذلك.»

في خلال ستة أشهر، كانت «كورننج» قد نفضت الغبار عن تركيبتها القديمة، وأجرت تطويرات عليها، وبدأت الإنتاج في مصنع بولاية كنتاكي. غطت المادة الجديدة، واسمها «زجاج الغوريلا» (Gorilla Glass)، «الآيفون»، وفيما بعدُ مئات من الأدوات الاستهلاكية الأخرى بزجاج شديد المتانة.

حتى بعد حل مشكلة الزجاج، كان جوبز لا يزال يجري بعض التعديلات. في صباح يوم اثنين دخل وقال للمصممين: «إنه لا يعجبني. لا يمكن أن أقنع نفسي بالوقوع في حبه.»

بدلًا من تركيب الشاشة الزجاجية في إطار من الألومنيوم، أراد أن يمتد الزجاج أكثر باتجاه حافة التلفون. وكان على المصممين أن يعيدوا عمل كل شيء — الهوائي والدوائر الكهربائية — ليغيروا شكل الجهاز بأكمله. كان على الجهاز أن يكون مضبوطًا تمامًا.

في ظل الصفقة التي كان جوبز قد تفاوض عليها مع «سينجيولر»، التي صارت جزءًا من شركة «إيه تي آند تي»، لم يرَ حتى مديرو شركة التلفونات التلفون إلا قبل بضعة أسابيع من انطلاقه. وأقنع جوبز «إيه تي آند تي» بأن تجعل عملية الاشتراك في التلفون أسهل. في مقابل الحقوق الحصرية لبيع التلفون، تحصل أبل على جزء من الرسوم الشهرية التي يدفعها العملاء لخدمة التلفون المحمول. لكن في الوقت الذي كان صُناعٌ آخرون للتلفونات يضعون اسم شركات التلفون المحمولة على التلفون، رفضت أبل أن تلطخ «الآيفون» باسم «إيه تي آند تي».

في اجتماع «ماكورلد» في يناير، وصف جوبز «الآيفون» بأنه «منتج ثوري»، يجمع بين «الآيبود» الرائع، والتلفون المحمول العظيم، وللمرة الأولى: «الإنترنت في جيوبكم».

وكان هناك شيء آخر، أسقطت أبل كلمة «كمبيوتر» من اسمها. كان اسم أبل المحدودة وصفًا أفضل لشركة الإلكترونيات الأمريكية الرئيسية.

كان التحسن الذي أجراه جوبز قد اكتمل تقريبًا، وبرهن من دون شك أن دوره في إنشاء صناعة الكمبيوتر الشخصي مع أبل ٢ وماكنتوش لم يكن ضربة حظ. ببصيرة وعبقرية وعزيمة، استلم أبل وهي على حافة الفشل وأنقذها بـ «آيماك» ذكي وملون. لسنوات عديدة، كان من الصعب أن تسيطر أبل على الأسواق التي أنشأتها، وتقلصت مبيعاتها من سبعة مليارات دولار إلى ٥,٤ مليار دولار في السنة المالية المنتهية في سبتمبر ٢٠٠١م، قبل ظهور «الآيبود» مباشرة.

ثم بالإضافة إلى إحياء صناعة الكمبيوتر الشخصي والمساعدة في ابتكار نوع جديد تمامًا من أفلام الرسوم المتحركة المحببة بالكمبيوتر، قلب مجال الموسيقى رأسًا على عقب بـ «الآيبود» ومتجر «الآيتونز». بين سنة ٢٠٠١م ونهاية السنة المالية ٢٠٠٦م، وقبل انطلاق «الآيفون» ببضعة أشهر، زادت مبيعات أبل أكثر من ثلاثة أضعاف لتصل إلى ١٩ مليار دولار، وارتفعت أرباحها أيضًا إلى ملياري دولار تقريبًا. وكان يتم تداول سهمها، الذي انخفض إلى ٧ دولار تقريبًا في أوائل ٢٠٠٣م، بما يزيد على ٨٠ دولارًا في أوائل ٢٠٠٧م. من اشترى مائة سهم بمبلغ ٧٠٠ دولار عند انخفاض السعر أصبحت لديه الآن أسهم قيمتها ثمانية آلاف دولار.

بهذه النتائج، كان جوبز يعيد صناعة مشهد الإلكترونيات الاستهلاكية بطرق جديدة. كتب «جون ماركوف»، صحفي في صحيفة «نيويورك تايمز»: «إنه لا يخترع تكنولوجيا جديدة، بل يحسن التكنولوجيا الموجودة.» حتى جوبز نفسه قال ذلك متحدثًا عن أحدث ابتكاراته: «لا أريد أن يعتبره الناس كمبيوترًا، أنا عن نفسي أعتبره إعادة ابتكار للتلفون.»

وعبَّر الصحفي والمعلق الاجتماعي «مالكوم جلادويل» عن المسألة بشكل آخر: «كان جوبز معدِّلًا»، وفسر: «يبدأ الحالم بورقة بيضاء، ويعيد تخيل العالم. أما المعدل فيرث الأشياء كما هي، ويكون عليه أن يدفعها ويجذبها باتجاه حلٍّ أكثر اكتمالًا. وهي مهمة ليست أقل شأنًا من الأولى.»

ابتكر وز الدوائر الكهربية ليصنع كمبيوترًا شخصيًّا، لكن جوبز عدل الأفكار وأخذ يدفعها ويدفعها ليحولها إلى ماكنتوش. لم يخترع أفلام الرسوم المتحركة، أو أجهزة الموسيقى، أو التلفونات الذكية، لكنه أحدث ثورة فيها بمقاربة جديدة.

ومن سخرية القدر أنه قاوم بضراوة من أرادوا «تعديل» منتجاته النهائية. عارض وجود فتحات التوسع، والبطاريات التي يمكن استبدالها، وذهب إلى حد استخدام البراغي التي تجعل فتح الزبائن لمنتجاته مستحيلًا تقريبًا. كتب «جلادويل»: «حرص أعظم معدلي جيله على ألا يعدل أحد عليه.»

في أواخر يونيو ٢٠٠٧م، اصطف الزبائن ليدفعوا من ٤٩٩ دولارًا إلى ٥٩٩ دولارًا ثمنًا لـ «الآيفون»، على حسب ذاكرته. مع أن معظم التلفونات الذكية الأخرى خفضت أسعارها إلى ٣٠٠ دولار أو أقل. في الأشهر الثلاثة الأولى، باعت أبل ١,٤ مليون «آيفون».

صعد تيار المبيعات في الخريف التالي بعد تخفيض أعلى سعر بمقدار ٢٠٠ ليصبح ٣٩٩ دولارًا، وتوقفت عن إنتاج الموديل الرخيص. حَمَى جوبز، كما كان يفعل دائمًا، وليدَه بعناية. بالإضافة إلى الحفاظ على عزل التلفون بعناية، أراد جوبز الحد من البرمجيات التي يمكن استخدامها على التلفون. لكن بعد احتجاجٍ عنيف من المبرمجين المستقلِّين التوَّاقين لكتابة تطبيقات للتكنولوجيا الرائعة، وافق على فتح متجر التطبيقات «الآب ستور» بعد ظهور التلفون بسنة.

بالضبط كما زاد متجر «الآيتونز» على «ويندوز» من فائدة «الآيبود»، أعطى متجر التطبيقات «الآيفون» دفعة أخرى. في السنة المالية ٢٠٠٨م، باعت أبل أكثر من ١١ مليون تلفون. وصعدت مبيعاتها الإجمالية إلى ٣٧,٥ مليار دولار وقفزت أرباحها إلى ستة مليارات دولار.

وبينما كانت أبل في طور التحول إلى عملاق، عانى جوبز أيضًا من حاجته إلى التحكم في الرسالة وفي منتجاته. حين لم يكن ذا شأن، كان الصحفيون والهواة على استعداد للتغاضي عن عدوانيته ولسانه الحاد. لكن باعتباره قد صار لاعبًا أقوى بكثير، بدأ يبدو في ثوب بلطجي كبير.

في أبريل ٢٠١٠م، ترك أحد موظفي أبل من دون قصدٍ النسخة التالية من «آيفون أبل» في إحدى الحانات. وباعه من عثروا عليه لموقع للتكنولوجيا اسمه «جيزمودو» (Gizmodo) مقابل خمسة آلاف دولار. فككه الموقع فورًا وأعلن تفاصيله الدقيقة على العالم.

اتصل جوبز بمحرر «جيزمودو» نفسه قائلًا: «أنا ستيف. أرغب في استرداد تلفوني.» على مدار عدة مكالمات، كان جوبز حازمًا، لكنه ظل يحتفظ بروح الدعابة، بادئًا إحدى المكالمات: «أنا أحدث معارفك المفضلين في العالم.»

استعادت أبل تلفونها، لكنها قدمت أيضًا شكوى إلى مأمور قسم مقاطعة سان ماتيو، الذي داهم منزل الصحفي الذي كتب المقال وصادر العديد من كمبيوتراته. لم تُرفع قط قضايا ضد الصحفي أو الموقع، على الرغم من شعور كثيرين في وسائل الإعلام بأن هذه التحركات الحاسمة كانت زائدة عن الحد. واتُّهم الرجلان اللذان باعا التلفون باختلاس ممتلكاتٍ مفقودة.

حذر بعض مديري أبل من أن الشركة قد تبدو متغطرسة، لكن جوبز لم يقبل ذلك، وقال: «لست قلقًا بشأن هذا، لأننا لسنا متغطرسين.»

وبعد ظهور «الآيفون ٤» في ٢٠١٠م، انزعج الزبائن حين عرفوا أن عيبًا في التصميم كان يؤدي إلى قطع المكالمة عند حمل التلفون بطريقة معينة. كان بالطوق المعدني حول التلفون فجوة في الزاوية السفلى اليسرى، والتي حين تُغطَّى تعيق عمل الهوائي.

حين أرسل أحد المشترين رسالة بالبريد الإلكتروني ليشكو من ذلك، لم يتعاطف جوبز، الذي كان في هاواي في ذلك الوقت، وكتب: «أمرٌ تافه. لا تحمله بتلك الطريقة وحسب!»

لكن هذا لم يُرضِ الهواة الذين دفعوا سعرًا كاملًا، وكانوا يتوقعون أفضل من ذلك من أبل، كما لم يُرضِهم الإيحاء بشراء غطاء للهاتف. استقبل جوبز النقد بشكل شخصي وابتأس، لكنه عاد لحالته الطبيعية بعد أن سمع شخصًا يكرر اتهامًا بأن أبل تتصرف مثل مايكروسوفت. في النهاية، ردت أبل بأن تلفوناتها ليست كاملة، ووعدت بعلاج المشكلة وتقديم غطاء مجاني للمستخدمين الذين يرغبون في ذلك.

انتهت المسألة بسرعة وواصلت أبل تحقيق مبيعات هائلة. كان ستيف جوبز قد حقق نجاحًا آخر، وكان ذلك كافيًا، إلا أنه كان هناك شيء آخر ...

فضيحة الأسهم

مع أن حس التصميم لدى جوبز كان ممتازًا، إلا أن قراراته بشأن راتبه وضعت وظيفته في خطر في ٢٠٠٦م.

تعود بداية المشاكل إلى أوائل سنة ٢٠٠٠م، حين منح جوبز خطة اختيارات شراء الأسهم (تسمح للمديرين بشراء الأسهم مستقبلًا بسعر ثابت، يسمى سعر الممارسة، ويرتفع الدخل الإضافي في القيمة إذا ارتفعت أسهم أبل. لكن في سعر السنة التالية، انخفضت أسهم أبل).

في أواخر صيف ٢٠٠١م، اقترع مجلس إدارة أبل على التخلي عن هذه الخطط على أن تُستبدَل بأخرى جديدة تعكس السعر الحالي المتدني للسهم. عادة، يحدَّد سعر الممارسة في اليوم الذي تمنح فيه خطة الاختيارات. لكن حين منحت هذه الخطط في وقت متأخر من تلك السنة، اختار مديرو أبل بشكل متعمَّد تاريخًا سابقًا، كانت الأسعار فيه أقل، مما زاد من الأرباح المحتملة لجوبز.

ولا يُعتبر ما فعلوه بالتأريخ السابق غير قانوني في حد ذاته، لكنه يصبح غير قانوني إذا لم يتم الكشف عن تاريخ التغيير بشكل مناسب ولم يتم ضبط الحساب. ولم تقم أبل بأي من الأمرين.

في ٢٠٠٦م، نشرت صحيفة «وول ستريت جورنال» سلسلة مقالات فازت فيما بعد بجائزة «البوليتزر» عن كيف أن عشرات الشركات أرخت لخطط اختيارات الأسهم تواريخ سابقة، سامحةً لمديريها بتحقيق المزيد من الأرباح. ولم يكن أي منها، مع ذلك، بارزًا كما في حالة أبل وستيف جوبز.

بالإضافة إلى قبوله تأريخ خطة اختياراته بتاريخٍ سابق، أوصى جوبز بتواريخ مفضلة لتسجل كمكافآت للمديرين الآخرين، كما قالت أبل. لكن بعد بحثٍ داخلي خاص، استنتجت الشركة أنه لم يرتكب أي خطأ. لم يستفد شخصيًّا لأن الدفعة الثانية من خطط الاختيارات لم تتحول إلى نقدٍ قط، ولأنه لم يفهم «نتائج الحساب».

اعتذر جوبز علنًا للمساهمين في أبل ولموظفيها «على هذه المشاكل، التي حدثت تحت إشرافي»، مضيفًا: «إنها بعيدة تمامًا عن طبيعة أبل.» كان على أبل أن تفصح من جديد عن مكاسبها وتُخفضها بمبلغ ١٠٥ ملايين دولار لتعكس خطط الاختيارات بتأريخ سابق.

لم تتخذ مفوضية الأوراق المالية والبورصات إجراءً ضد جوبز، لكنها اتهمت المدير المالي والمستشار العام السابقين بأبل بارتكاب مخالفات. من دون اعتراف بالمخالفات أو إنكارها، تمت تسوية الأمر مع المفوضية، بسداد عقوبات مدنية والتخلي عما يزيد على مليون دولار من أرباحهما من خطط اختياراتهما.

الفصل الحادي والعشرون

الحياة

كان ستيف جوبز يستطيع دفع فريقه إلى تطوير منتجات مذهلة، وكان من الممكن أن تنتابه نوبات من الجنون فيما يتعلق بابتكاراتهم. كان قادرًا على الحفاظ على سرية المنتجات الجديدة بحيث قد لا يعرف شكلها إلا عشرون شخصًا في أبل. لكن على الرغم من كل ما كان يستطيع السيطرة عليه، لم يستطع السيطرة على السرطان.

في ٢٠٠٨م، بدأت صحته تتدهور مع انتشار الورم في الكبد. كان يتألم ويشعر بعدم الراحة. بالإضافة إلى ذلك، جعلت علاجات السرطان، ومسكنات الألم القوية، وعاداته الغذائية طوال حياته، من الصعب عليه أن يأكل بشكل جيد. بدأ وزنه ينخفض.

على الرغم من كفاحه على جبهة السرطان، استمر في الإشراف على ابتكار جهاز. حتى في أثناء طرح أبل لأجهزة «الآيبود» و«الآيفون» الجديدة، كانت تعيد صناعة «ماك» بابتكارات جديدة، من قبيل «ماك بوك إير» المحمول الخفيف جدًّا، والذي طُرح في أوائل ٢٠٠٨م. وكان مجال الكمبيوتر الشخصي، الذي أعلن كثيرون أنه قد مات قبل عشر سنوات، لا يزال حيًّا يُرزق في أبل.

نسب جوبز بعض النجاح على الأقل للعملية المكثفة التي اتبعتها الشركة للاستبعاد، بما يعني الرفض أكثر بكثير من القبول. قال: «يعتقد الناس أن التركيز يعني الموافقة على الشيء الذي عليك أن تركز عليه، لكن هذا ليس معناه إطلاقًا، إنه يعني رفض المائة فكرة الأخرى الجيدة. عليك الاختيار بعناية.»

لم يعكس العمل شخصيته المتطلبة ومعاييره الرفيعة وحسب، لكنه عكس أيضًا اعتقاده بأنه لا توجد مشكلة في أن تحاول وتفشل. وأشار أن كل الفنانين — ومنهم محبوبه «بوب ديلان» — يفشلون أحيانًا. في الحقيقة، كما قال، لن يكونوا فنانين إلا إذا «كانوا معرضين لخطر الفشل».

سيف جوبز، على خشبة المسرح في ٦ يونيو ٢٠١١م، في مؤتمر مطوري أبل، في آخر خطاب له.

من المؤكد أن أفكار أبل لم تنجح جميعها. مثلًا أول تلفزيون لأبل لم ينجح وتم التخلي عنه، وهو فكرة لجمع كل البرامج والأفلام وفيديوهات اليوتيوب، والأفلام المنزلية التي تستطيع مشاهدتها على تلفزيونك. وحتى عندما تم إطلاق نسخة أخرى منه لم تحظَ بقبول كبير، لكن جوبز واصل المحاولة، واصفًا المنتج بأنه «هواية».

لكنه وضع خطًّا بين المحاولة والخطأ، والأداء السيئ المعروف تمامًا، ولم تمنعه حالته الصحية من التعبير عن أفكاره. في منتصف ٢٠٠٨م، ظهر نظام جديد للبريد الإلكتروني اسمه «موبايل مي»، وكان من المفترض أن يعمل على كل من الكمبيوتر و«الآيفون»، لكنه لم يعمل جيدًا. لم ينقل النظام البريد الإلكتروني بشكل صحيح دائمًا بين الأجهزة، وكانت بعض رسائل البريد الإلكتروني تضيع. لم يكن الزبائن سعيدين.

جمع جوبز الفريق لاجتماع وبدأ بسؤال أساسي: هل يشرح لي أي منكم ما المفترض أن يفعله «موبايل مي»؟

بعد أن سمع إجابة جيدة، سأل سؤالًا ثانيًا تضمن لفظًا نابيًا: لماذا إذن لا يفعل هذا «الـ...» ذلك؟

لم تكن هناك إجابة جيدة بما يكفي، وكان قاسيًا وفظًّا في انتقاد الفريق علنًا.

قال: لقد لوَّثتم سمعة أبل. ينبغي أن يكره كل منكم الآخر لأنه تركه يحط من قدره! عين مسئولًا جديدًا أمام المجموعة كلها.

وفي النهاية تم إصلاح الخدمة.

حتى عندما كان جوبز يواجه نهايته، لم يلِن أو يصبح أكثر تأملًا، لا في مكتبه ولا مع أسرته. على الرغم من معرفته بأن وقته محدود وعلى وشك الانقضاء، لم يكن بإمكانه الابتعاد عن عمله مطلقًا.

ذهب إلى هاواي مع أسرته في ربيع ٢٠٠٨م، لكن حتى حينذاك، وافق هناك على مقابلة مع صحفية من «فورتشن» اسمها «بتسي موريس». وبعد أن انتهيا من اللقاء، طلب منها أن تغلق جهاز التسجيل، ثم اعترف اعترافًا مؤلمًا، قال: «أنا أحب أسرتي، وآتي إلى هنا سنويًّا. أريد أن أكون هنا، لكن الأمر صعب بالنسبة إليَّ، فأنا دائمًا، دائمًا، أفكر في أبل.»

بالضبط كما كان الحال وهو صغير، كان هناك الكثير مما يود القيام به، لكن حالته كانت تتدهور. فقد ٤٠ رطلًا في النصف الأول من ٢٠٠٨م من جسدٍ كان نحيلًا أصلًا، مما أزعج أسرته. وجعلت المخاوف بشأن مظهره الهزيل الصحفيين والمستثمرين ينشغلون بصحة المدير الذي لم يكن يدير أبل فقط، لكنه كان روح أبل نفسها، في البداية نسبت الشركة فقدان وزنه إلى «علة عادية»، ثم قالت للصحفيين وأي شخص كان يسأل عن صحة جوبز إنها «مسألة خاصة».

في الحقيقة، بينما كان السرطان الذي أصاب بنكرياس جوبز ينتشر، بدأ الجسد يتآكل تمامًا، ويتدهور ويضعف. استولى المرض على كبد جوبز تمامًا. وباستخدام المعلومات المتوفرة لدى الأطباء بشأن التكوين الجيني لأورامه، واصل الأطباء إعطاءه علاجًا موجهًا.

في السنة ذاتها، واجه النظام البنكي الأمريكي أسوأ أزماته المالية في القرن الأخير، وأطاح ببعض اللاعبين الرئيسيين. حتى مع مواصلة الناس شراء «الآيبود» و«الآيفون»، ونتيجة المخاوف بشأن صحة جوبز، هبط سعر سهم أبل بأكثر من النصف، لينخفض إلى ٨٥ دولارًا تقريبًا في نهاية ٢٠٠٨م، وتهاوى سوق الأوراق المالية برمتها.

في وقتٍ متأخر من تلك السنة، ألغى جوبز ظهوره المخطط له في «ماكورلد»، كما ألغى التزامات أخرى، مما جعل الألسن تلغط من جديد. في بيانٍ علني في أوائل يناير ٢٠٠٩م، ألقى باللائمة على «اختلال هرموني». أخيرًا، في أواخر يناير، أخذ إجازة مرضية رسمية، قائلًا إنه علم مؤخرًا أن «المسائل المتعلقة بصحتي أكثر تعقيدًا مما ظننت في الأصل». فتحت مفوضية الأوراق المالية والبورصات تحقيقًا بشأن صدق أبل فيما أفصحت عنه. بينما يحق للفرد الاحتفاظ بسرية بعض المعلومات، فإن تضليل المستثمرين بشكل متعمد مشكلة. لكن المفوضية لم تتخذ أي إجراءات في القضية.

في ٢٠٠٩م، بدأ جوبز العمل أيضًا مع المحرر السابق في مجلة «تايم»، «والتر آيزاكسون»، في سيرته. التقى جوبز آيزاكسون أول مرة لكتابة قصة حياته في ٢٠٠٤م، في وقت مبكر من مرضه. اعتقد آيزاكسون، الذي كتب سيرة حياة «ألبرت أينشتاين» و«هنري كيسنجر» و«بن فرانكلين»، أن جوبز لا يزال صغيرًا جدًّا وأن الأمر مبكر جدًّا، لكنهما واصلا الحديث، وفي النهاية قالت «باول» للكاتب: «عليك حقًّا أن تفعل ذلك الآن.» للمرة الأولى منذ عقود، فتح جوبز باب عمله وحياته الأسرية وتأملاته على مصراعيه لأحد الصحفيين.

نبَّه الطبيب الذي كان يعالج جوبز من السرطان لشهور إلى أنه قد يحتاج إلى التفكير في زراعة كبد. أخيرًا، في يناير ٢٠٠٩م، وضع على قائمة انتظار في كاليفورنيا، لكن الحاجة إلى الأعضاء هناك كانت مرتفعة جدًّا، وبالتالي كانت فرصته في الحصول على العضو الذي يحتاجه في الوقت المناسب ضئيلة. وليزيد من فرصه، وضع أيضًا على قائمة انتظار لزراعة الكبد في ممفيس، بولاية تينيسي.

كانت تلك الحركة في محلها، ففي مارس جاءت مكالمة من «ممفيس» بشأن توفر كبد شاب توفي في حادث سيارة. طار جوبز و«باول» إلى هناك فورًا، وسارت الجراحة بشكل جيد. لكن، كما كتب آيزاكسون، وجد الأطباء أن السرطان قد انتشر في الكبد كلها بالإضافة إلى الغشاء المحيط بالأعضاء الداخلية.

نظرًا لانتشار السرطان، لم يكن زرع الكبد الجديدة ليعالجه. وكان من المؤكد غالبًا أن خلايا السرطان قد انتشرت إلى مواضع أخرى من الجسم. بدلًا من ذلك، وفرت تلك الجراحة وقتًا أطول بحياة جوبز، وتطلبت حذرًا شديدًا لأن المرضى الذين تزرع لهم أعضاء يحتاجون إلى عقاقير لقمع جهاز المناعة الذي يقاوم العدوى، مما قد يسمح للسرطان بالاستمرار في الانتشار بشكل أسهل.

استبدال الكبد عملية جراحية طويلة ومعقدة، وكان التعافي منها بطيئًا. وكان على جوبز أن يبدأ المشي من جديد، في البداية مستندًا على كرسي. كما قالت أخته «منى سيمبسون» إنه يوميًّا «كان ينهض على ساقَيه اللتين تبدوان أوهن من أن تحملاه، ويداه تمسكان بظهر المقعد»، دافعًا المقعد باتجاه مكان التمريض. هناك كان يجلس ويستريح قبل أن يبدأ بالعودة.

وكانت «باول» تحثه قائلة: «ستيف، يمكنك أن تفعل هذا.»

وكان كل يوم يحاول أن يسير أكثر من سابقه.

تحسنت حالته وعاد إلى البيت في نهاية مايو. وفي أوائل يونيو، بدأ جوبز يعقد اجتماعات في بيته، وبحلول نهاية الشهر، عاد إلى المكتب، بادئًا يومه الأول مباشرة من حيث توقف؛ بسلسلة من نوبات الغضب.

وكانت لديه فرصة، بعد أن عاد من جديد، ليصنع فارقًا آخر في العالم. لم تغير الكبد الجديدة سلوكه إطلاقًا. كان لا يزال يرجع الطعام لأنه غير صالح للأكل ويهين الناس علانية. وحين كان أحد زملائه القدامى والموثوق بهم ينتحي به جانبًا ليذكره بأن يكون ألطف، كان يتأسف على ما فعل، ثم يكرر الأمر مرة أخرى، وقال: «إنه ببساطة طبعي.»

قالت «لورين باول» لآيزاكسون: «مثل كل العظماء الذين يتمتعون بمواهب استثنائية، لم يكن استثنائيًّا في كل المجالات، لم يكن يتمتع باللباقة، ولم يكن يضع نفسه مكان الآخرين، لكنه يهتم بعمق بتمكين البشرية، بتطوير البشرية، ووضع الأدوات المناسبة في أيديهم.»

في نوفمبر ٢٠٠٩م، منحته «فورتشن» لقب «مدير العقد»، قائلةً إن «العقد الماضي في التجارة ينتمي لجوبز»، واصفة إياه «بالمخرج الاستعراضي، والتاجر بالفطرة، والساحر الذي يخلق من حوله مجالًا شهيرًا يشوش على رؤية الحقيقة، والمستبد الذي يسعى إلى الكمال»، وذكرت المجلة أنه في عشر سنوات «أعاد تنظيم ثلاث أسواق بشكل جذري ومربح — الموسيقى والسينما والتلفونات المحمولة — ونما تأثيره على صناعته الأصلية؛ صناعة الكمبيوتر»، وقالت: «لا عجب أن شهرته حلقت في آفاق العالم كله.»

كان في جعبته منتج آخر. مع ارتفاع مبيعات «الآيفون»، كان الوقت مناسبًا لتنفيذ فكرة «التابلت» التي كان قد نحَّاها جانبًا من قبل. بالعمل مع «جوني آيف»، استقر جوبز على مستطيل بزوايا مستديرة، خفيف ومغرٍ بما يكفي لالتقاطه بيدٍ واحدة، وكبير بما يكفي لقراءة كتاب عليه، وصغير بما يكفي لإلقائه في حقيبة.

في يناير ٢٠١٠م، وهو لا يزال يبدو نحيلًا، عاد إلى خشبة المسرح ليقدم «الآيباد تابلت» باللمس، بسعر يتراوح من ٤٩٩ دولارًا إلى ٨٢٩ دولارًا. لم تحدث الاستجابة الحماسية المعتادة لمنتج جديد لأبل. من دون لوحة مفاتيح، لم يحل «التابلت» حقًّا محل الكمبيوتر. يقوم بالكثير من الأشياء الرائعة التي يقوم بها «الآيفون»، لكنه لا يدخل جيبك. وجد بعض النقاد وحتى بعض الزبائن المحتملين صعوبة في أن يتوصلوا لفائدته.

خلال ساعات، تدفقت ثمانمائة رسالة بالبريد الإلكتروني إلى حساب جوبز، يشكو معظمها مما يفتقر إليه «التابلت». اعترف جوبز: «أصابني الاكتئاب. إنه أمر صادم.»

لكن لم يكن أحد من الشاكين قد رأى «التابلت» عن قرب أو أمسك به في يديه. بعد وصوله في أبريل، اختلفت النبرة. ربما لم يكن لـ «التابلت» استخدامات كثيرة واضحة تمامًا، لكن كان امتلاكه واللعب عليه أعجوبة. في تطوير «الآيبود» و«الآيفون» و«الآيباد»، لاحظ الكاتب «ستيفن فراي» أن جوبز و«آيف» وفريق أبل فهموا واكتشفوا كيف يلتقطون العلاقة الشخصية الحميمة التي يمكن أن تتطور مع الأشياء التي نمتلكها ونتعامل معها يوميًّا. كما قال له «آيف»: «بالنسبة إلينا، يتعلق الأمر كله بالتحسين، والتحسين من جديد، حتى يبدو كأنه لا يوجد ما يفصل بين المستخدمين والمحتوى الذي يتفاعلون معه.»

بالطريقة نفسها التي غير بها «الآيبود» عمليات شراء الموسيقى، صنع جوبز و«الآيباد» احتمالاتٍ جديدة للكتب الإلكترونية. فبالإضافة لكونه جهاز موسيقى، وآلة للعب، ومتصفحًا للإنترنت، فإن «الآيباد» أيضًا قارئ كتب. حتى ظهور «الآيباد»، كانت «أمازون» و«كيندل» التابعة لها مسيطرتين على الكتب. ولكن مع توفر جهاز آخر و«الآيبوك ستور»، قوي نفوذ الناشرين فيما يتعلق بأسعار كتبهم الإلكترونية، وزادت الاختيارات أمام القراء.

باعت أبل ٧,٥ مليون «آيباد» بين أبريل ونهاية سبتمبر ٢٠١٠م. وإجمالًا، مع ذلك المنتج الجديد، و«الآيفون» سريع النمو، وأجهزة «ماك» المجددة، ارتفعت مبيعات أبل إلى ٦٥ مليار دولار في نهاية سنتها المالية ٢٠١٠م. ارتفعت ٥٠ في المائة في سنةٍ واحدة، ووصلت أرباحها إلى ١٤ مليار دولار، أو ٢١ سنتًا في كل دولار مبيعات؛ ثلاثة أضعاف الربح الذي تحققه الشركات العادية في كل دولار تقريبًا.

ثم صارت أبل، في مايو ٢٠١٠م، شركة التكنولوجيا الأكثر قيمة في العالم. اعتمادا على سعر أسهمها، قدرها المستثمرون بقيمة ٢٢٢ مليار دولار، وتليها مباشرة مايكروسوفت بقيمة ٢١٩ مليار دولار. بقيت قيمة مايكروسوفت كما هي إلى حد كبير في ٢٠١١م، وواصلت أبل الصعود، ووصلت في نهاية ٢٠١١م إلى ٣٧٦ مليار دولار.

ولكن جوبز كان يركز على أشياء أخرى، وهي الأهداف الشخصية التي وضعها ليحققها في أثناء فترة مرضه. كان يشيد يختًا أنيقًا على أمل أن يسافر به ذات يوم مع أسرته. وكما غنى «ديلان» «من لا ينشغل بحياته سينشغل بمماته»، أدرك جوبز أنه إن لم يخطط للمستقبل فلن يكون له مستقبل.

كان بينه وبين ابنه «ريد» هيام متبادل، وكان يريد بشغف أن يرى «ريد» ينهي دراسته الثانوية. تاه فخرًا بهذه اللحظة عندما أتت في يونيو ٢٠١٠م، وأرسل رسالة إلكترونية من حفل التخرج: «اليوم من أسعد أيام حياتي.» وفي الحفل في تلك الليلة، رقص «ريد» مع كل أفراد الأسرة، ومع والده على الأخص.

كانت علاقة جوبز مع بناته أكثر تعقيدًا. جاءت «ليزا»، وكانت في أوائل الثلاثينيات من عمرها، لزيارته مرتين في ممفيس، ثم قضت هي ووالدها شهورًا أخرى من دون حتى مكالمة تلفونية. وفي ٢٠١١م، عادت إلى بالو ألتو لزيارته.

وكانت الصغرى، «إيف»، على مشارف المراهقة، عنيدة، وورثت الإصرار عن أبيها، وكانت الأكثر تأثيرًا عليه حين تخبره بتوقعاتها.

أما «إيرين»، وكانت في منتصف العقد الثاني، فقد كانت ترغب بشدة في الذهاب إلى حفل جوائز الأوسكار مع أبيها في ٢٠١٠م، لكنه لم يستجب لها. لكن جوبز وفى بوعده باصطحابها إلى كيوتوفي اليابان. وكانا قد خططا للرحلة في ٢٠٠٨م، لكن اضطُرَّا إلى إلغائها بسبب اشتداد مرضه. في ٢٠١٠م، ألغاها مرة أخرى مبدئيًّا، لكنه قام بها في يوليو. مثل «ليزا»، سنحت الفرصة لـ «إيرين» بتناول «السوشي» و«شعيرية السوبا» مع أبيها وزيارة معابد «الزن» البوذية. كانت تجربة خاصة زادت من ارتباطها بأبيها، واعترفت لآيزاكسون بأن أباها لم يكن دائم الاهتمام، لكنها قالت إنه لم توجد مشكلة في ذلك. قالت: «أعرف أن ما يفعله مهم جدًّا. لم أكن حقًّا في حاجة إلى مزيد من الاهتمام.»

بحلول أواخر ٢٠١٠م، كان السرطان قد انتشر مرة أخرى. لبعض الوقت لم يكن جوبز يستطيع حتى تناول الطعام، وكان يتعاطى محاليل عن طريق الوريد، وكان يشعر بضعف وألم متزايدين، وانخفض وزنه ليصل إلى ١١٥ رطلًا؛ أقل من الوزن الطبيعي بأكثر من خمسين رطلًا. سعت «باول» إلى اختصاصيين في اضطرابات الأكل، لكن الأمر لم يُجدِ نفعًا.

في يناير ٢٠١١م، أخذ جوبز إجازة مرضية أخرى، «حتى أركز على صحتي». لكن حالته في الأشهر القليلة التالية كانت متقلبة وكان الأطباء يجربون علاجات جديدة. كان

يتحسن ثم ينتكس. وصل إلى سن السادسة والخمسين في فبراير، وفي مارس عاد إلى تناول الطعام مرة أخرى وشعر أنه أكثر نشاطًا. استجمع قواه بما يكفي للكشف عن «الآيباد ٢»، الأخف قليلًا والأكثر رشاقة، بغطائه المغناطيسي الرائع. هتفت الحشود حين صعد خشبة المسرح، وحيته بعاصفة من التصفيق واقفة له احترامًا. وظهر مرة أخرى في ٦ يونيو ليقدم خدمة «آيكلاود أبل»، التي تسمح للمستخدمين بتنسيق أغانيهم وصورهم وما لديهم من ممتلكات إلكترونية أخرى وتخزينها في مخزون إلكتروني واحد ومركز تنظيم.

واحدًا تلو الآخر، جاء الناس الذين عمل معهم، وتشابك معهم، ووبخهم، وأحبهم؛ ليودعوه. دخل «بيل جيتس» من الباب الخلفي الذي لم يكن يغلق غالبًا وقضى مع جوبز ثلاث ساعات، يستعيدان الذكريات ويتحدثان عن التكنولوجيا والتعليم وأسرتيهما. واتفق مع جوبز في أنهما كانا محظوظين لأنهما تزوجا امرأتين مناسبتين وأنجبا أطفالًا رائعين.

لكن لم يتفقا بشكل كامل قط، هنأ «جيتس» جوبز على إنقاذه لأبل وعلى «الأشياء المذهلة» التي أنتجها، واعترف بأن مقاربة «الكل في واحد» التي اتبعها جوبز في صناعة البرمجيات والأجهزة، كانت ناجحة. «وكان نموذجك ناجحًا أيضًا»، قال جوبز عن مقاربة البرمجيات فقط التي اتبعتها مايكروسوفت.

وبالطبع كان كل منهما لا يزال يؤمن بأن مقاربته هي الأفضل.

اقترب جوبز من الموت مرتين في الصيف، لكنه استعاد قوته. وتكرر الأمر كثيرًا حتى إنه أصبح من الصعب تخيل أنه لن يستمر في العيش. زار آيزاكسون جوبز ليفحص الصور من أجل الكتاب، وتكوَّم جوبز في السرير لأنه كان أضعف من أن يجلس.

تحدثا عن عمله، ما يحب وما لا يحب، وعن الرب. قال: أحب أن أعتقد بأن هناك شيئًا ما يبقى بعد الموت.

بعد التأمل في ذلك، أضاف: لكن من الناحية الأخرى، ربما يكون الأمر مثل زر التشغيل والإيقاف.

وعلَت وجهه ابتسامة صغيرة، وقال: ربما كان ذلك هو سبب كرهي لاستخدام هذه الأزرار في أجهزة أبل.

في تلك الزيارة الأخيرة، سأله آيزاكسون عن سبب موافقته على الكتاب بالنظر إلى تقديره الهائل لخصوصياته, فقال: أردت لأبنائي أن يعرفوني. لم أكن متواجدًا دائمًا من أجلهم، وأريد أن يعرفوا السبب ويفهموا ما فعلتُ.

وقال جوبز لآيزاكسون إنه لم يخطط لقراءة الكتاب قبل انقضاء بعض الوقت، ربما سنة. وربما استسلم آيزاكسون لمجال تشويش الرؤية، فرحل وهو يشعر أن جوبز قد يبقى على قيد الحياة لبعض الوقت.

استقال جوبز في ٢٤ أغسطس من منصبه مديرًا لأبل. أراد أن يفعل ذلك شخصيًّا، على الرغم من حاجته إلى كرسي متحرك ليفعل ذلك. أمام المديرين الذين دعموه وقتًا طويلًا، قرأ الخطاب الذي كتبه: قلتُ دائمًا إذا أتى يومٌ لم أعُد قادرًا فيه على تلبية مهامي والمتوقع مني كمديرٍ لأبل، فسوف تكونون أول من أخبرهم. وللأسف، لقد جاء ذلك اليوم.

وأوصى بأن يكون «تيم كوك» مديرًا، وأضاف: أؤمن بأن أفضل أيام أبل وأكثرها ابتكارًا لم تأتِ بعد. وأنا أتطلع إلى مشاهدة نجاحها والمساهمة فيه في دور جديد.

وكان لا يزال يخطط للعمل في منتجات جديدة ولتقديم مشورة للتسويق، طالما استطاع القيام بذلك.

في ٥ أكتوبر ٢٠١١م، وبحضور زوجته وأطفاله وأختيه، رحل ستيف جوبز.

منذ شبابه كان يقول للناس: «الحياة قصيرة وسنموت جميعًا قريبًا جدًّا.» كان ذلك قولًا دراميًّا وحقيقيًّا أيضًا. فقد كانت هذه الحياة، بشكلٍ خاص، قصيرةً جدًّا.

الفصل الثاني والعشرون

الإرث

مع أن ستيف جوبز كان قد قضى سنوات في مقاومة السرطان، إلا أن موته بدا — بشكل ما — غير متوقع.

خلال ساعات من نشر الخبر، تدفق الأسى عبر العالم بشكل غير مسبوق بالنسبة إلى مدير شركة. أمام المقر الرئيسي لأبل في كوبرتينو، وأمام بيت جوبز في بالو ألتو، وأمام محلات أبل من سان فرانسيسكو إلى نيويورك إلى الصين؛ جاء الناس يعبرون عن تقديرهم له. تركوا زهورًا وشموعًا ومئات من كلمات الشكر في نوافذ المحلات. تركوا تفاحًا، كاملًا ومقضومًا. أحضروا معهم أجهزتهم الخاصة من «الآيفون» إلى «الآيباد»، مع رسائل الحزن والتقدير.

بدا الأمر وكأن نجمًا سينمائيًّا عالميًّا شهيرًا أو نجمًا من نجوم «الروك» قد مات. وصف «بونو» عضو الفريق الموسيقي «يو تو» جوبز بأنه «إلفيس الأجهزة والبرمجيات». وكان وجهه على غلاف المجلات من «بيبول» إلى «الإيكونومست»، ونشرت كثيرًا من المطبوعات أعدادًا خاصة احتفاءً بحياته، وتلقفتها الأيدي من على الرفوف.

تحدثت «منى سيمبسون»، في نعيها له — الذي أُعيدت طباعته في «نيويورك تايمز» — عن إخلاص أخيها، وحبه للجمال، وعناده الذي لا يُصدق، وعمله الشاق. كتبت أنه قبل أن يفقد الوعي لآخر مرة «نظر إلى أخته «باتي»، ثم نظر إلى أبنائه طويلًا، ثم إلى رفيقة حياته «لورين»، ثم تجاوزهم بنظرته. وكانت آخر كلمات ستيف: أوه واو، أوه واو، أوه واو.»

ويبقى أنه في السنوات التي شهدت ازدهاره كرجل أعمال ترك أشياء كثيرة لم تكتمل. انهمك بعمق في خطط للمقر الرئيسي الجديد لأبل، ماضيًا من تصميم إلى تصميم، مصرًّا على أن يحتوي بساتين المشمش التي كانت تنتشر في الوادي وهو صبي. تمنى أن

بعد موت جوبز بقليل، توافد المعجبون على بيت عائلته ليتركوا أمامه ما يعبِّر عن تقديرهم له.

تكتشف أبل وسيلة أفضل لتقديم تلفزيون للجمهور. ومدركًا أن كثيرًا من الأطفال لم تعد تُخصَّص لهم خزائن، تمنى أن يعثر على وسيلة توفر الكتب الدراسية إلكترونيًّا بشكل أكبر، ربما ببيع «الآيباد» وعليه كتب دراسية محمَّلة.

ترك الشركة وهي في قمة نجاحها. كانت أبل التي يديرها أكبر خمس عشرة مرة من تلك التي تولاها في ١٩٩٧م. في السنة المالية التي انتهت قبل موته مباشرة، حققت أبل مبيعات بمبلغ ١,٨ مليارات دولار، مما يعني أنها حققت نموًّا أسرع حتى من السنة السابقة. وحققت ربحًا بمقدار ٢٤ سنتًا تقريبًا لكل دولار مبيعات. على الرغم من أن كمبيوتراتها وتلفوناتها الأنيقة من أغلى الأنواع في السوق، باعت أبل أكثر من ٧٢ مليون تلفون، وأكثر من ٤٢ مليون «آيبود»، و٣٢ مليون «آيباد»، و١٧ مليون كمبيوتر تقريبًا في سنة واحدة.

صار ثريًّا جدًّا، يملك سبعة مليارات دولار تقريبًا، طبقًا لما أوردته مجلة «فوربس»، ويتمثل الجزء الأكبر من ثروته في أسهمه في ديزني، تليها أسهم أبل.

يذكر التاريخ قليلًا من رجال الأعمال البارزين وحسب بصفتهم قد غيروا صناعة واحدة، لكن جوبز جدد عدة صناعات؛ لم يكن هو مبتكر الكمبيوتر الشخصي، لكنه كان

«تيم كوك»، مدير أبل، يتحدث في الحفل التأبيني لستيف جوبز في المقر الرئيسي لأبل.

صوت الثورة ووجهها. لم يصنع أفلام الرسوم المتحركة بالكمبيوتر الرائعة التي أنتجتها «بكسار»، لكنه جعلها تظهر للوجود. وضع الموسيقى الرقمية والإنترنت في جيوبنا بطريقة أنيقة. جعل حياتنا أسهل بالإصرار على أن يتميز كل جهاز تصنعه أبل — وبالتالي الأجهزة التي يصنعها كثير من الآخرين استجابة لذلك — بالبساطة ومتعة الاستخدام.

في الحفل التأبيني الذي أقامه موظفو أبل، قال «تيم كوك»، المدير الجديد لأبل: إن من الدروس التي علمها له جوبز أن «البساطة قد تكون أصعب من التعقيد. عليك العمل بجدية ليصفو ذهنك بما يكفي لأن تجعله بسيطًا. لكن الأمر يستحق العناء في النهاية، لأنه بمجرد تحقيق ذلك، يمكنك تحريك الجبال.»

من السهل أن نعلق على غرابة ستيف جوبز وأن نُركز على جانبه الكريه: نوبات غضبه، نفاد صبره، بروده وعدم اكتراثه في بعض الأحيان، توقعاته العالية جدًّا، إلحاحه على من حوله. حتى إن «منى سيمبسون» ذكرت في نعيها له أنه تفحص ٦٧ ممرضة قبل أن يعثر على ثلاث يمكن أن يثق بهنَّ.

لكنه، في النهاية، كان مثل منتجاته: كانت ذاكرة الماكنتوش ضئيلة جدًّا ومن دون مفاتيح مؤشرات، وكان «الآيماك» من دون مشغل أقراص مرنة، وكان «الآيبود» من دون مفتاح تشغيل. كانت كلها ممتازة، ولكن بها عيوب أيضًا. لكن يمكن التغاضي عن النواقص الحقيقية لأن البقية مدهشة جدًّا. بقي كثير من المديرين والمهندسين لسنوات

في أبل، متحملين طلبات جوبز التي لا تنتهي، لأنهم كانوا يقومون بأعمال عظيمة تحت إشرافه، بل وربما كانت أعمالًا أفضل مما كان يمكن أن يحققوها من دون إلحاحه.

بقدر ما كان جوبز يدفع من يعمل معهم، لم يكن يريد منهم أن يحاولوا تخمين ما يريد أو يحاولوا أن يفكروا بطريقته. قال «كوك»: «من بين آخر النصائح التي قدمها لي ولكم جميعًا، ألا تسألوا أبدًا عما كان سيفعله لو كان في مكانكم. قال: افعلوا ما يصح فقط.»

بالإضافة إلى الأجهزة، ترك جوبز الدروس التي عبر عنها بقوة في خطابه في ستانفورد وفي الطريقة التي عاش بها: كان على يقين من أن قطع الأحجية ستكتمل، وكان يؤمن بأن المكافأة هي في الرحلة!

اتبَع قلبه. إذا لم يرضَ عما فعله، وإذا لم يؤمن بأنه عمل عظيم، كان يعيد عمله مرة بعد مرة.

حاول أن يعيش كل يوم كما لو كان يومًا مهمًّا حقًّا، حتى قبل أن يصاب بالسرطان.

نعم، وكان هناك شيء آخر، في مقابلة في ١٩٩٨م ومرة أخرى في حفل خريجي ستانفورد، تذكر «كتالوج الأرض كلها» (The Whole Earth Catalog)، مطبوعة غريبة وكانت شهيرة وهو في المدرسة الثانوية. تذكر أن الغلاف الخلفي، في العدد الأخير، كان عليه صورة لطريق ريفي بعيد.

وكان العنوان: «ابقَ جائعًا. ابقَ أحمق» (Stay Hungry. Stay Foolish).

والآن، قال: «أتمنى ذلك لكم.»

ابقَ جائعًا ابقَ أحمق

الخط الزمني

٢٤ فبراير ١٩٥٥م:
يولد جوبز وسرعان ما يتبناه «بول» و«كلارا» جوبز ويسميانه «ستيفن بول»

١٩٦٧م:
تنتقل الأسرة إلى لوس ألتوس، في ولاية كاليفورنيا. ليلتحق جوبز بمدرسة أفضل.

١٩٦٨م:
يرى جوبز أول كمبيوتر شخصي، (HP 9100 A)، وكان في الحقيقة آلة حاسبة مكتبية كبيرة.

١٩٧٠م تقريبًا:
يتعرف جوبز على ستيف وزنياك، الذي يؤسس معه أبل فيما بعد.

سبتمبر ١٩٧١م:
يتصل وز بجوبز ليخبره بالصناديق الزرقاء، التي يمكن بواسطتها الاتصال هاتفيًّا بأماكن بعيدة مجانًا. يصنع وز صندوقًا وينتهي الأمر بالاثنين إلى بيع الصناديق.

سبتمبر ١٩٧٢م:
يدخل جوبز كلية «رید» في بورتلاند، أوريجون.

ديسمبر ١٩٧٢م:
يترك جوبز كلية «رید» بعد فصل دراسي واحد فقط.

فبراير ١٩٧٤م:
يعود جوبز إلى البيت ويحصل على وظيفة في شركة «أتاري».

صيف ١٩٧٤م:
يقضي جوبز عدة أشهر في الهند بحثًا عن مرشد روحي.

مارس ١٩٧٥م:
إنشاء نادي «هومبرو» للكمبيوتر.

ديسمبر ١٩٧٩م:
يزور جوبز وعاملون آخرون في أبل «زيروكس بارك»، ويكتشفون تكنولوجيات جديدة للكمبيوتر، بما فيها واجهة جرافيك المستخدم «جوي» (GUI) والماوس.

١٧ مايو ١٩٧٨م:
ولد أول مولود لجوبز، ابنته «ليزا بريتان جوبز».

١٥–١٧ أبريل ١٩٧٧م:
يعلن جوبز عن أبل ٢ في معرض الساحل الغربي للكمبيوتر في سان فرانسيسكو.

فبراير ١٩٧٧م:
يعين «ماركولا» «مايك سكوت» رئيسًا لأبل.

٣ يناير ١٩٧٧م:
يقدم «مايك ماركولا»، وهو أحد المستثمرين، ٢٥٠ ألف دولار دعمًا ماليًّا مقابل ثلث الأسهم، ويترك وزنياك وظيفته في «هيوليت باكارد» ليعمل دوامًا كاملًا في أبل.

يناير ١٩٧٧م:
تنتقل أبل للكمبيوتر إلى أول مكاتب حقيقية لها في ستيفنز كريك بوليفرد في كوبرتينو، كاليفورنيا.

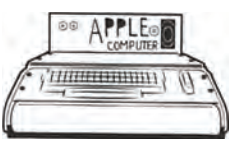

ربيع ١٩٧٦م:
يستلم جوبز أول طلب لأبل بخمسين كمبيوترًا (أصبح أبل ١)، وأنشأ محلًّا في بيت والدَيه.

١ أبريل ١٩٧٦م:
يؤسس جوبز ووزنياك و«رون وين» (الذي انسحب بعد فترة قصيرة)، أبل للكمبيوتر رسميًّا.

١٢ ديسمبر ١٩٨٠م:
طُرحت أبل للكمبيوتر للاكتتاب العام، وقُدِّرت قيمتها بمبلغ مليار دولار، لتصبح ثروة جوبز ٢١٨ مليون دولار.

فبراير ١٩٨١م:
يتولى جوبز الإشراف على فريق تطوير كمبيوتر ماكنتوش.

١٩ يناير ١٩٨٣م:
الإعلان عن كمبيوتر «ليزا أبل»، لكن نجاحه جاء أقل من المتوقع.

٨ أبريل ١٩٨٣م:
ينجح جوبز في التودد إلى مدير التسويق في شركة «بيبسيكو» «جون سكلي»، ليصبح مديرًا جديدًا لأبل.

٢٤ يناير ١٩٨٤م:
يعلن جوبز عن كمبيوتر ماكنتوش مع انطلاقة هائلة للمنتج، متضمنة إعلان «١٩٨٤م» الرائد الذي بُث في أثناء «السوبر بول».

٣١ مايو ١٩٨٥م:
بعد مكاشفة مع مجلس إدارة أبل وسكلي، يستبعد جوبز من مهام العمليات، بما في ذلك قسم «ماك ليزا» المتحد.

١٧ سبتمبر ١٩٨٥م:
يستقيل جوبز من أبل ويؤسس «نيكست»، شركة جديدة للكمبيوتر، على مدى عدة أشهر، يبيع كل أسهمه في أبل إلا سهمًا واحدًا.

٧ فبراير ١٩٨٦م:
يشتري جوبز «بكسار» من «جورج لوكاس».

نوفمبر ١٩٨٦م:
بعد موت أمه بالتبني، «كلارا جوبز»، يلتقي جوبز أمه البيولوجية، «جوان شيبل جندلي سيمبسون»، وأخته «منى سيمبسون».

١٢ أكتوبر ١٩٨٨م:
يعلن جوبز عن أول كمبيوتر «نيكست».

يوليو ١٩٩١م:
يتوصل جوبز إلى صفقة مع ديزني لصناعة ثلاثة أفلام في «بكسار»، ومنها «حكاية لعبة».

١٨ مارس ١٩٩١م:
يتزوج جوبز من «لورين باول».

سبتمبر ١٩٩١م:
مولد ابن جوبز، «ريد بول جوبز».

٦ أغسطس ١٩٩٥م:
مولد الابنة الثانية لجوبز، «إيرين سيينا جوبز».

٢٢ نوفمبر ١٩٩٥م:
عرض «حكاية لعبة» أول فيلم بالرسوم المتحركة لـ «بكسار» محطمًا الرقم القياسي لشباك التذاكر في عطلة عيد الشكر.

٢٩ نوفمبر ١٩٩٥م:
طرح أسهم «بكسار» للاكتتاب العام، ووصول الـ ٨٠ في المائة، نصيب جوبز، لفترة وجيزة إلى ما قيمته ١,١ مليار دولار.

٢٠ ديسمبر ١٩٩٦م:
موافقة أبل على شراء «نيكست»، ويعود جوبز إلى الشركة مستشارًا للمدير.

٩ يوليو ١٩٩٧م:
يُستبعَد «جيل أميليو» من رئاسة أبل، ويبقى جوبز مستشارًا، لكنه سرعان ما أرغم معظم مجلس الإدارة على الاستقالة.

٦ أغسطس ١٩٩٧م:
يظهر «بيل جيتس» على الشاشة في «ماكورلد» ليقول إن مايكروسوفت ستستثمر ١٥٠ مليون دولار في أبل.

١٦ سبتمبر ١٩٩٧م:
يصبح جوبز رئيسًا مؤقتًا للشركة.

خريف ١٩٩٧م:
يطلق جوبز الحملة الإعلانية «فكر باختلاف».

٦ مايو ١٩٩٨م:
يطرح جوبز «الآيماك».

صيف ١٩٩٨م:
ميلاد أصغر بنات جوبز، «إيف».

٢٠ نوفمبر ١٩٩٨م:
تعرض «بكسار» فيلم «حياة حشرة».

١٩ نوفمبر ١٩٩٩م:
تعرض «بكسار» «حكاية لعبة ٢».

٩ يناير ٢٠٠١م:
يكشف جوبز النقاب عن «الآيتونز».

١٩ مايو ٢٠٠١م:
يفتتح جوبز أول محل لأبل في تايسونز كورنر، بفيرجينيا.

٢٣ أكتوبر ٢٠٠١م:
يعلن جوبز عن «الآيبود» ويعرض إعلانات الظلال الشهيرة.

٥ يناير ٢٠٠٠م:
يعلن جوبز عن الجهاز الجديد Mac OS X ويُسقِط رسميًّا كلمة «مؤقت» من منصبه.

٢ نوفمبر ٢٠٠١م:
تعرض «بكسار» فيلم «شركة المرعبين المحدودة».

٧ يناير ٢٠٠٢م:
يطرح جوبز «الآيماك جي ٤»، مع أول شاشة مسطحة.

٢٨ أبريل ٢٠٠٣م:
افتتاح متجر «الآيتونز» لـ «ماك».

٣٠ مايو ٢٠٠٣م:
تعرض «بكسار» فيلم «البحث عن نيمو».

أكتوبر ٢٠٠٣م:
تشخيص إصابة جوبز بسرطان البنكرياس.

١٦ أكتوبر ٢٠٠٣م:
يفتتح جوبز متجر «الآيتونز» لـ «الويندوز».

٣١ يوليو ٢٠٠٤م:
يجري جوبز جراحة لاستئصال سرطان البنكرياس.

٥ نوفمبر ٢٠٠٤م:
تطرح «بكسار» فيلم «أبطال خارقون».

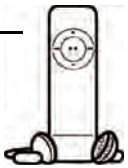

١١ يناير ٢٠٠٥م:
الإعلان عن «الآيبود شافل».

١٢ يونيو ٢٠٠٥م:
يلقي جوبز كلمة حفل التخرج في جامعة ستانفورد.

١٠ يناير ٢٠٠٦م:
يعلن جوبز عن «ماك بوك برو»، مدشنًا تحوُّل أبل إلى معالجات «إنتل» الصغيرة.

فبراير ٢٠٠٦م:
يبيع متجر «الآيتونز» الأغنية رقم مليار.

٥ مايو ٢٠٠٦م:
تشتري ديزني «بكسار» مما يجعل جوبز أكبر مساهم في ديزني .

٩ يونيو٢٠٠٦م:
تعرض «بكسار» فيلم «سيارات».

٩ يناير ٢٠٠٧م:
يطلق جوبز «الآيفون» ويُسقط كلمة كمبيوتر من اسم أبل.

٢٩ يونيو ٢٠٠٧م:
تعرض «بكسار» فيلم «الفأر الطباخ».

٧ أغسطس ٢٠٠٧م:
تعيد أبل تصميم «الآيماك».

١٥ يناير ٢٠٠٨م:
يعلن جوبز عن «ماك بوك إير».

مارس ٢٠٠٨م:
تكشف مجلة «فورتشن» المسائل المتعلقة بسرطان جوبز.

٢٧ يونيو ٢٠٠٨م:
تعرض «بكسار» فيلم الرسوم المتحركة «والي».

١١ يوليو ٢٠٠٨م:
افتتاح «الآب ستور».

١٤ يناير ٢٠٠٩م:
يأخذ جوبز ثاني إجازة مرضية.

٢١ مارس ٢٠٠٩م:
توفُّر كبد، وطيران جوبز إلى تينيسي لإجراء عملية زرع كبد.

٢٩ مايو ٢٠٠٩م:
تعرض «بكسار» فيلم «فوق».

٩ سبتمبر ٢٠٠٩م:
أول ظهور عام لجوبز بعد زراعة الكبد.

٢٧ يناير ٢٠١٠م:
يعلن جوبز عن «الآيباد».

٢٥ مايو ٢٠١٠م:
تتخطى أبل مايكروسوفت كأكبر شركة تكنولوجيا قيمةً.

١٨ يونيو ٢٠١٠م:
تعرض بكسار «حكاية لعبة ٣».

٢٤ يونيو ٢٠١٠م:
يطرح جوبز «الآيفون ٤».

١٧ يناير ٢٠١١م:
يأخذ جوبز إجازة مرضية أخرى من أبل.

٢ مارس ٢٠١١م:
يطرح جوبز، مع أنه في إجازة مرضية، «الآيباد ٢».

٧ يونيو ٢٠١١م:
يعرض جوبز خططًا للمقر الرئيسي الجديد لأبل على مجلس مدينة كوبرتينو.

٢٤ يونيو ٢٠١١م:
تعرض «بكسار» «سيارات ٢».

٢٤ أغسطس ٢٠١١م:
يستقيل جوبز رسميًّا من رئاسة أبل.

٥ أكتوبر ٢٠١١م:
موت جوبز.

صورة من داخل ماكنتوش الأصلي توضح توقيعات كل أعضاء الفريق (مقدمة من أخي المؤلفة، «براد بلومنتال»).

كلمة المؤلفة

في إطار عملي الأول كمحرِّر لأخبار الأعمال في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي، كتبتُ عن التكنولوجيا ومجال الكمبيوترات الشخصية الجديد في جريدة «دالاس مورنينج نيوز». كما كتبت وحررت مقالات عن منافسي أبل مثل «كومباك» و«دل» في جريدة الـ «وول ستريت جورنال». لم تتسن لي فرصة رؤية ستيف جوبز على أرض الواقع، لكنني تتبعت مساره المهني والتقلبات التي مرت بها أبل على مر ثلاثة عقود تقريبًا.

أُتيحت لي الفرصة في بداية ٢٠١١م للعمل في مشروع مع «سينثيا مونتجمري» الأستاذة بكلية الأعمال بجامعة «هارفارد»، وتضمن ذلك إلقاء نظرة متمعنة على استراتيجية ستيف جوبز في الإدارة على مر تاريخه المهني. كانت تلك تجربة فارقة. وعندما طرأت فكرة هذا الكتاب، تكرمت الأستاذة «سينثيا» بمنحي الإذن باستخدام ملحوظات بحثها، التي أصبحت هي نقطة انطلاقي.

كما أنني ممتنة لـ «تيري أنزور» و«كارلتون هو» لتزويدي بتفاصيل تتعلق بدفعة ١٩٧٢م من مدرسة «هومستيد» الثانوية، ولـ «روب كوك» موظف «بكسار» المتقاعد و«ديف كولايبا» من «كارنيجي ميلون»؛ لشرحهما رياضيات الرسوم المتحركة بالكمبيوتر، ولزملائي من «وول ستريت جورنال» «والت موسبرج» و«جيم كارلتون» و«ستيف يودر»؛ لتفضلهم بوقتهم لمشاركة أفكارهم حول ستيف جوبز. كما أشكر «براد بلومنتال» و«أوتيس جينوزا» لتوفيرهما الصور الفوتوغرافية.

كما أنني أدين بالفضل لأمناء المكتبة المجتهدين في مكتبة «دالاس» العامة، قسم الاستعارة بين المكتبات على وجه التحديد، والذين يحافظون على تدفق الكتب من وإلى المكتبة بالرغم من المستقطعات الهائلة واللامتناهية من الميزانية.

قالها ستيف جوبز مرة: «الفنانون الحقيقيون ينطلقون.» وكنت محظوظة لاستطاعتي العمل مع عدد من الفنانين الحقيقيين. وضعت «جين فيويل» الرائعة والمتبصرة نواة هذا الكتاب وائتمنتني عليه، وكانت هي و«لورين برنياك» أفضل المحررات، ووقفتا معي من البداية حتى النهاية. ساندتني «جاين ليدل» بتوفير أفضل خدمة تنقيح، كما أسهم كل من «كايتي كلاين» و«ريتش ديز» و«آشلي هالسي» بإبداعهم في التصميم، ونجحت «آنا روبيرتو» و«هولي وست» و«ديبي كوب» في جمع الصور، وجمعت «نيكول مولزون» و«ديف باريت» كل ذلك ليخرجا بكتاب حقيقي.

وشكر خاص لوكيلي «كن رايت»؛ أفضل شريك يمكن للمرء أن يحصل عليه في هذا المجال. سارعت «ديانا فنفس» و«إلن ماكنتوش» (اسمها على مسمى) إلى مساعدتي في البحث، وقامت «بكي بل» برحلة خاصة لأرشيف جامعة «ستانفورد» لقراءة النشرات التعريفية الأصلية لأبل.

وأخيرًا، أود أن أعبر عن تقديري الخاص لأسرتي: «سكوت» و«آبي» و«جني»، الذين قرءوا المسودات واستمعوا لي ووفروا دعمًا هائلًا حتى عندما كنتُ أختفي لأيام بطُولها. وهم فعلًا رائعون بما يفوق حدود العقل.

ببلوجرافيا

لأن ستيف جوبز اقتحم عالم الأضواء في بداية ثورة الكمبيوتر وهو في أوائل العشرينيات وبقي فيه طوال حياته، كان موضوعًا لعدد هائل من الكتب وأخبار الصحف والمجلات. توجد عشرة كتب على الأقل تؤرخ لجزء أو لآخر من قصة شركة أبل وحفنة من الكتب تتناوله وحده. بالإضافة إلى ذلك، فإن جوبز هو إحدى الشخصيات الرئيسية في الكتب المكتوبة عن «بكسار» و«أتاري»، وفي مذكرات «جون سكلي» وستيف وزنياك وآخرين.

بطلعته البهية، ولسانه البليغ، وشغفه الأصيل، كان فتى الغلاف الأول، فقد ظهر ثماني مرات على غلاف مجلة «تايم»، واثنتي عشرة مرة على الأقل على غلاف «فورتشن»، وظهر أيضًا على غلاف «رولينج ستون»، و«إنك»، و«وايرد»، و«نيوزويك»، وما تعرف الآن باسم «بلومبرج بيزنيس ويك».

في كتابة هذا الكتاب، رجعت إلى معظم الكتب المتوفرة عن أبل، وجوبز، والشركات التي ارتبط بها، وزملائه السابقين، وعدد كبير من القصص الرئيسية في الصحف والمجلات، وأخبار أخرى كثيرة جدًّا ومقالات طويلة. وبالإضافة إلى ذلك، قابلت بعض زملائه في الدراسة لأفهم سنوات المدرسة بشكل أفضل، ووجدت تواريخ شفهية، وتتبعت الوثائق المالية الأصلية لأبل و«بكسار»، وأجريت حوارات مع الصحفيين الأساسيين الذين غطوا أخباره. وسمحَت لي أعداد هائلة من فيديوهات اليوتيوب برؤيته يتحدث ويكشف النقاب عن بعضٍ من أشهر منتجات أبل.

وهناك مصادر جديرة بمزيد من الذكر: في أوائل الثمانينيات، وصل الصحفي «مايكل موريتز» إلى جوبز وأسرة جوبز وأصدقائه لكتابة كتاب عن تأسيس أبل؛ حتى ساهم «موريتز» ببعض معلوماته في بعض التقارير لمجلة «تايم». بعد أن أضاف محرر «نيويورك» لمساته الخاصة بإضافات من عنده لتتحول إلى مقال «الكتاب المحدث عن

جوبز» (The Updated Book of Jobs)، قاطع جوبز «موريتز»، لكن المقال وكتابه «المملكة الصغيرة» (The Little Kingdom)، غنيَّان بالتفاصيل عن حياة جوبز المبكرة، ويعتمد كل كتاب أو مقال عن السنوات المبكرة لجوبز على العمل الأصلي لـ «موريتز». ثمة لقاء مطول مع «بلايبوي» وتاريخ شفهي لـ «سميثسونيان»، وكلاهما موجودان على الإنترنت، يسدان كثيرًا من الثغرات فيما نعرفه عن سنوات طفولة جوبز ومراهقته وسنوات كليته.

في ٢٠٠٩م، بدأ «والتر آيزاكسون» — كاتب سيرة بارز ومحرر سابق في «تايم» — تأليف سيرة لجوبز بإذنه. التقى الاثنان حوالي أربعين مرة في سنتين، وأجرى آيزاكسون أيضًا عشرات المقابلات مع أصدقاء جوبز، وأفراد أسرته، وزملائه، وقدموا له رؤية رائعة لموضوع كتابه. سيرته التي تزْبو على خمسمائة صفحة، بعنوان ستيف جوبز، جديرة بأن يقرأها القراء الطموحون الذين يريدون الحكاية الأكثر تفصيلًا عن هذه الحياة الاستثنائية البارزة.

بالإضافة إلى الكتب، غطى بعض الصحفيين أخبار جوبز لسنوات طويلة. كتب «برينت شلندر»، الصحفي والزميل السابق في صحيفة «وول ستريت» والكاتب القديم في «فورتشن»، عددًا من القصص الرئيسية ببصيرة ثاقبة، وكتب حكايات عظيمة. وكان كل من «ستيفن ليفي» محرر «نيوزويك» و«وايرد»، و«جيف جوديل» محرر «رولنج ستون»؛ رائدًا في تغطيته، كما فعل عدد من كُتاب صحيفة «وول ستريت جورنال»، ومنهم: كاتب العمود «والت موسبيرج»، والصحفيون «جيم كارلتون» و«بوي وينج تام» و«نيك وينجفيلد»، وكاتِبا «نيويورك تايمز»: «ستيف لور» و«جون ماركوف».

بالنسبة إلى من يريدون رؤيةً أعمق للأيام الأولى، هناك خطاب مبكر والكثير من المواد القديمة المتعلقة بأبل، متوفرة من خلال موقع متحف تاريخ الكمبيوتر على الإنترنت. وإذا أردت أن تعرف كيف كان الخبير يقدم عروضه، افعل ما أوصت به شركات كثيرة: شاهد انطلاقات منتجاته على اليوتيوب.

الكتب والمقالات

Brennan, Chrisann. “Jobs at 17: Nerd, Poet, Romantic.” *Rolling Stone*, Oct. 27, 2011: 42.

Butcher, Lee. Accidental Millionaire: *The Rise and Fall of Steve Jobs at Apple Computer*. New York: Paragon House Publishers, 1988.

Carlton, Jim. Apple: *The Inside Story of Intrigue, Egomania and Business Blunders*. New York: HarperBusiness, 1998.

Cocks, Jay. “The Updated Book of Jobs.” *Time*, Jan. 3, 1983.

Cohen, Scott. *ZAP! The Rise and Fall of Atari*. New York: McGraw–Hill Book Company, 1984.

Cringely, Robert X., presenter. *Steve Jobs: The Lost Interview*. Film directed by Paul Sen, produced by John Gau and Paul Sen, 2011.

Deutschman, Alan. *The Second Coming of Steve Jobs*. New York: Broadway Books, 2000.

Elkind, Peter. “The Trouble with Steve Jobs.” *Fortune*, March 5, 2008.

Freiberger, Paul and Michael Swaine. *Fire in the Valley: The Making of the Personal Computer, 2nd edition*. New York: McGrawHill, 2000.

Goodell, Jeff. “The Steve Jobs Nobody Knew.” *Rolling Stone*, Oct. 27, 2011: 36–45.

Hertzfeld, Andy. *Revolution in the Valley*. Sebastopol, California: O'Reilly Media, Inc., 2005.

Isaacson, Walter. *Steve Jobs*. New York: Simon & Schuster, 2011.

Jobs, Steve. Excerpt of oral history interview with Daniel Morrow. Smithsonian Institution Oral and Video Histories, April 20, 1995, accessed online.

Jobs, Steve. Stanford commencement speech, June 12, 2005. Accessed at: http://news.stanford.edu/news/2005/junel5/jobs-061505.html.

Kahney, Leander. *Inside Steve's Brain*. New York: Porfolio, 2008.

Kawasaki, Guy. The Macintosh Way. Glenview, Ill.: Scott Foresman and Company, 1988, accessed viahttp://guykawasaki.typepad.com/TheMacintoshWay.pdf.

Levy, Steven. *Insanely Great: The Life and Times of Macintosh, the Computer that Changed Everything*. New York: Penguin Books, 2000.

_____, *The Perfect Thing: How the iPod Shuffles Commerce, Culture, and Coolness*. New York: Simon & Schuster, 2006.

Linzmayer, Owen W. *Apple Confidential 2.0: The Definitive History of the World's Most Colorful Company*. San Francisco: No Starch Press, 2008.

Lohr, Steve. "Creating Jobs." *New York Times Magazine*, Jan. 12, 1997.

Markoff, John. *What the Dormouse Said: How the 60s Counterculture Shaped the Personal Computer Industry*. New York: Viking, 2005.

Moritz, Michael. *The Little Kingdom: The Private Story of Apple Computer*. New York: William Morrow and Company, Inc., 1984.

Paik, Karen. *To Infinity and Beyond! The Story of Pixar Animation Studios*. San Francisco: Chronicle Books, 2005.

Price, David A. *The Pixar Touch: The Making of a Company*. New York: Vintage Books, 2009.

Rose, Frank. *West of Eden: The End of Innocence at Apple Computer*. New York: Viking, 1989.

Rosenbaum, Ron. “Steve Jobs and Me.” Slate.com, Oct. 7, 2011.

Schlender, Brent. “How Big Can Apple Get?” *Fortune*, Feb. 21, 2005.

_____, “Something’s Rotten in Cupertino.” *Fortune*, March 3, 1997.

_____, “The Three Faces of Steve.” *Fortune*, Nov. 9, 1998.

Sculley, John, with John A. Byrne. *Odyssey: Pepsi to Apple … A Journey of Adventure, Ideas and the Future*. New York: Harper & Row Publishers, 1987.

Sheff, David. “Playboy Interview: Steven Jobs.” *Playboy magazine*, Feb. 1, 1985, accessed online.

Simpson, Mona. *A Regular Guy*. New York: Vintage Books, 1996.

Stross, Randall E. *Steve Jobs and the NeXT Big Thing*. New York: Atheneum, 1993.

Wozniak, Steve, with Gina Smith. *iWoz: Computer Geek to Cult Icon*. New York: W. W. Norton & Company, 2006.

Young, Jeffrey S. *Steve Jobs: The Journey is the Reward*. Kindle edition, 1988.

مراجع الصفحات الإلكترونية

1983 annual meeting, via YouTube.com: www.youtube.com/watch?velSiQA6KKyJo.

1983 Bill Gates on the Macintosh Software Dating Game: www.youtube.com/watch?v=NVtxEA7AEHg&feature=fvwrel.

Computer History Museum, computerhistory.org.

Jobs memorial service at Apple: http://www.thedailybeast.com/articles/2011/10/25/apple-s-steve-jobs-memorial-service-watch-video-of-5-moving-moments.html.

Jobs patents, interactive chart, *New York Times*: www.nytimes.com/interactive/2011/08/24/technology/steve-jobs-patents.html.

LifeSavers ad from Pixar, via YouTube.com: 1990, http://www.youtube.com/watch?v=Fe6FfROGwqk.

Listerine ads from Pixar, via YouTube.com: 1991, http://www.youtube.com/watch?NR=18v=mFjvu3rFysA; 1992, http://www.youtube.com/watch?NR=1&v=lDU5KSMeDAs.

Pixar, How we do it: http://www.pixar.com/howwedoit/index.html.

حقوق الصور

Cover photograph by Shaun Curry/AFP/Getty Images; p. 2.

Photograph by Norman Seeff; p. 6.

Photo by Paul Grover/Rex USA, Courtesy Everett Collection; p. 8.

Associated Press/Palo Alto Daily News, Jack Arent; p. 14.

Photo by Otis Ginoza; p. 16, 27, 32.

Photos courtesy Seth Poppel/Yearbook Library; p. 42.

Reed College, Edis Jurcys; p. 52, http://en.wikipedia.org/wiki/File:Pong.png; p. 60.

Paul Saluma/Associated Press; p. 70.

Jessica Brandi Lifland/Polaris; p. 78.

http://archive.computerhistory.org/resources/text/Apple/Apple.AppleI.1976.102646518.pdf; p. 82.

Photoshot/Everett Collection; p. 89.

http://archive.computerhistory.org/resources/text/Apple.Apple.II.1977.102637933.pdf; p. 94.

Permission courtesy of Inc. magazine; p. 101.

Photo courtesy Palo Alto Historical Association; p. 104–105, 122.

Photograph Norman Seeff; p. 127.

http://www.usatoday.com/tech/columnist/kevinmaney/2004-01-28maney_x.htm; p. 128.

Photograph by Norman Seeff; p. 136.

Doug Neuez/Associated Press; p. 150.

Ed Kashi/VII; p. 155.

Ron Sachs/Polaris; p. 158.

© Najlah Feanny/CORBIS SABA; p. 164.

Randi Lynn Beach/Associated Press; p. 176.

Photo by Joe Ravi/Creative Commons Attribution-Share Alike; p. 186.

Julia Malakie/Associated Press; p. 195.

Courtesy Gastlight Ad Archives; p. 198.

Paul Sakuma/Associated Press; p. 202.

Courtesy Gastlight Ad Archives; p. 207.

Photo by Anna Roberto; p. 209.

HereToHelp/Creative Commons Attribution-Share Alike 3.0 Unported; p. 210.

Marcio Jose Sanchez/Associated Press; p. 224.

Lea Suzuki/Corbis; p. 234.

Jonathan Sprague/Redux; p. 248.

Xinhua/eyevine/Redux; p. 262.

Peter Dasilva/The New York Times/Redux; p. 265.

Associated Press; p. 269.

Photo by Justin Sullivan/Getty Images; p. 270.

Photo Courtesy Palo Alto Historical Associations; time line p. 271–274.

Illustrations by Michael Weldon; p. 275.

Photo by Brad Blumenthal; Part opener quotes by Steve Jobs.

هنـــداوي